

نواذر الكتب المطبوعة

عنوان الكتاب

روضة العقلاء ونزهة الفضلاء

المؤلف

محمد بن حبان بن التميمي البستي

دار النشر / تاريخ النشر

مطبعة السنة المحمدية

وَضَائِعُ الْعَقَائِدِ الْأَوْثَقِ الْفَضَائِلِ

للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حَبَّان البُسْتِي
المتوفى سنة ٣٥٤ من الهجرة وهو في عشر الثمانين
رحمه الله

بتحقيق وتصحيح

محمد يحيى الدين عبد الحميد
عفا الله عنه

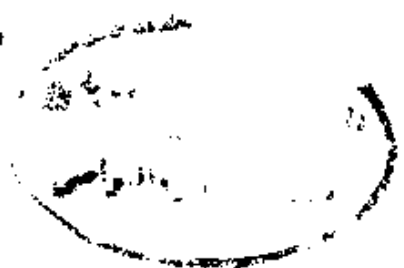
محمد حامد الفقي
رئيس جماعة أنصار السنة المهدية

محمد عبد الرزاق حمزة
المدون بالمسجد الحرام

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

مكتبة دار الفقه الإسلامي

ت ٧٩٠١٧



ترجمة الإمام ابن حبان^(١)

أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سعيد بن شهيد التميمي - كذا
نسبه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد البخاري ، المعروف بفتحجار ، وواقفه غيره
إلى معبد - ثم قال : ابن هدية بن مرة بن سعد بن يزيد بن مرة بن زيد بن عبد الله
ابن دارم بن مالك بن حفظة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن
طابخة بن إلياس بن مضر -

الإمام العلامة الفاضل المتقن ، كان مكثراً من الحديث والرحلة ، والشيخ ،
عالماً بالمتون والأسانيد ، أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره . ومن تأمل
تصانيفه تأمل منصف علم أن الرجل كان بمرأ في العلوم .

سافر ما بين الشاش والإسكندرية ، وأدرك الأئمة والعلماء ، والأسانيد
العالية ، وأخذ فقه الحديث والفرض على معانيه : عن إمام الأئمة أبي بكر بن
خزيمة ، ولازمه وتلمذ له ، وصارت تصانيفه عدّة لأصحاب الحديث ، غير أنها
عزيزة الوجود .

سمع يبلده بسّت : أبا أحمد إسحاق بن إبراهيم القاضي ، وأبا الحسن محمد
ابن عبد الله بن جنيد البستي .

وبهراة : أبا بكر محمد بن عثمان بن سعد الدارمي .

وبمرو : أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن عبد الله بن محمود بن سليمان السعدي ،

وأبا يحيى محمد بن يحيى بن خالد المدني .

(١) عن معجم البلدان لياقوت (ج ٢ ص ١٧١ - ١٧٨) .

وبقرية سنج : أبا علي الحسين بن محمد بن مصعب السنجي ، وأبا عبد الله محمد بن نصر بن ترقل الهورقاني .

وبالصفد بما وراء النهر : أبا حفص عمر بن محمد بن يحيى الهمداني .

وبنسا : أبا العباس الحسن بن سفيان الشيباني ، ومحمد بن عمر بن يوسف ، ومحمد بن محمود بن عدي النسويين .

وبنيسابور : أبا العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم السراج الثقفي ، وأبا محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن شيرويه الأزدي .

وبأرغيتان : أبا عبد الله محمد بن الميب بن إسحاق الأرغيتاني .

وبجرجان : عمران بن موسى بن مجاشع ، وأحمد بن محمد بن عبد الكريم الوزان الجرجانيين .

وباري : أبا القاسم العباس بن الفضل بن عاذان المقرئ ، وعلي بن الحسن بن مسلم الرازي .

وبالكرج : أبا عمارة أحمد بن عمارة بن الحجاج الحافظ ، والحسين ابن إسحاق الأصبهاني .

وبسكرمكرم : أبا محمد عبد الله بن محمد بن موسى الجواليقي ، المعروف بعبدان الأهوازي .

وبستَر : أبا جعفر محمد بن محمد بن يحيى بن زهير الحافظ .

وبالأهواز : أبا العباس محمد بن يعقوب الخطيب .

وبالأبلة : أبا يعلى محمد بن زهير ، والحسين بن محمد بن بسطام الأبلين .

وبالبصرة : أبا خليفة الفضل بن الحباب الجحفي ، وأبا يعلى زكرياء بن يحيى

الساجي ، وأبا سعيد عبد الكريم بن عمر الخطابي .

وبواسط : أبا محمد جعفر بن أحمد بن سنان القطان ، واخليل بن محمد
الواسطي ابن بنت تميم بن المنتصر .

وبنم الصَّحَّح : عبد الله بن قُحطبة بن مرزوق الصلحي .

وبنهر سائِسَ ، قرية من قرى واسط : خالد بن محمد بن خالد الواسطي .

وببغداد : أبا العباس حامد بن محمد بن شعيب البلخي ، وأبا أحمد الهيثم بن

خلف الدوري ، وأبا القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز اليفوي .

وبالكوفة : أبا محمد عبدالله بن زيدان البجلي .

وبمكة : أبا بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الفقيه ، صاحب

كتاب الإشراف في اختلاف الفقهاء ، وأبا سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم

الجندي .

وبسامرا : علي بن سعيد العسكري - عسكر سامرا .

وبالموصل : أبا يعلى أحمد بن علي بن المثني الموصلی ، وهارون بن المسكين

البلدي ، وأبا جابر زيد بن علي بن عبد العزيز بن حيان الموصلی ، وروح بن

عبد الحميد الموصلی .

وببلد سِنَجَار : علي بن إبراهيم بن الهيثم الموصلی .

وبنصيبين : أبا السري هاشم بن يحيى النصيبيني ، ومسدد بن يعقوب بن

إسحاق الفلومي .

وبكفرتوتی ، من ديار ربيعة : محمد بن الحسين بن أبي معشر السلمي .

وبسرخامرطا ، من ديار مضر : أبا بدر أحمد بن خالد بن عبد الملك بن

عبد الله بن مسرح الخزاعي .

وبالرافقة : محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن فروخ البغدادي .

- وبالرقّة : الحسين بن عبد الله بن يزيد القطان .
وبمَنَسِيح : عمر بن سعيد بن سنان الحافظ ، وصالح بن الأصمغ بن عامر التنوخي .
وبمَجَلب : علي بن أحمد بن عمران الجرجاني .
وبالمصيمة : أبا طالب أحمد بن داود بن محسن بن هلال المصيمي .
وبأنطاكية : أبا علي وصيف بن عبد الله الحافظ .
وبطرسوس : محمد بن يزيد الدورقي ، وإبراهيم بن أبي أمية الطرسوسي .
وبأذنة : محمد بن علان الأذني .
وبصيدا : محمد بن أبي العافى بن سليمان الصيداوى .
وببيروت : محمد بن عبد الله بن عبد السلام البيروتي المعروف بمكحول .
وبجَمَص : محمد بن عبد الله بن الفضل الكلاعى الراهب .
وبدمشق : أبا الحسن أحمد بن عمير بن حوصاء الحافظ ، وجعفر بن أحمد
ابن عاصم الأنصارى ، وأبا العباس حاجب بن أركين انقرغاني الحافظ .
وبالبيت المقدس : عبد الله بن محمد بن مسلم المقدسى الخطيب .
وبالرملة : أبا بكر محمد بن الحسن بن قتيبة السقلاني .
وبمصر : أبا عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي ، وسعيد بن داود
ابن وردان المصرى ، وعلي بن الحسين بن سليمان المعدل .
وجماعة كثيرة من أهل هذه الطبقة سوى من ذكرناهم .
وروى عنه الحاكم أبو عبد الله الحافظ ، وأبو عبد الله بن منته الأصبهاني ،
وأبو عبد الله محمد بن أحمد النجار الحافظ البخارى ، وأبو علي منصور بن عبد الله
ابن خالد الذهلي المروى ، وأبو مسلمة محمد بن محمد بن داود الشافعى ، وجعفر
ابن شعيب بن محمد السمرقندى ، والحسن بن منصور الإسبيجاني ، والحسن بن
محمد بن سهل الفارسى ، وأبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن هارون الزوزنى ،

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن خُشَام الشُّرُوطِي ، وجماعة كثيرة لا تحصى .

أخبرنا القاضي الإمام أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري الحَرَسْتَانِي - إِذْنَا - عن أبي القاسم زاهر بن طاهر الشحامى عن أبي عثمان سعيد البحرى قال : سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول :

أبو حاتم البستي القاضي كان من أوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ ، ومن عقلاء الرجال ، صنف ، فخرج له من التصنيف في الحديث ما لم يُسَبَق إليه ، وولى القضاء بسمرقند وغيرها من المدن . ثم ورد نيسابور سنة ٣٣٤ و حضرناه يوم الجمعة بعد الصلاة ، فلما سأله الحديث نظر إلى الناس ، وأنا أصفرم سنّاً - فقال : اسْتَمَلِ ، فقلت : نعم ، فاستمليت عليه ، ثم أقام عندنا ، وخرج إلى القضاء بنيسابور وغيرها ، وانصرف إلى وطنه ، وكانت الرحلة بخراسان إلى مصنفاته .

أخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي - شِقَاها - قال : أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي - إِذْنَا - عن أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت - كتابة - قال : ومن الكتب التي تكثر منافسها ، إن كانت على قدر ما ترجحها به واضعوها : مصنفات أبي حاتم محمد بن حبان البستي التي ذكرها لي مسعود بن ناصر السجزي ، ووقفني على تذكرة بأسائها ، ولم يقدر لي الوصول إلى النظر فيها ، لأنها غير موجودة بيننا ، ولا معروفة عندنا ، وأنا أذكر منها ما استحسنته ، سوى ما عدلت عنه واطرحته .

فمن ذلك : كتاب الصحابة ، خمسة أجزاء . وكتاب التابعين : اثنا عشر جزءاً . وكتاب أتباع التابعين : خمسة عشر جزءاً . وكتاب تبع الأتباع : سبعة عشر جزءاً ، وكتاب تبع التابعين : عشرون جزءاً . وكتاب الفصل بين القلة :

عشرة أجزاء . وكتاب العلل ، علل أوهام أصحاب التواريخ : عشرة أجزاء . وكتاب
علل حديث الزهري : عشرون جزءا . وكتاب علل حديث مالك : عشرة أجزاء .
وكتاب علل مناقب أبي حنيفة ومثالبه : عشرة أجزاء . وكتاب علل ما استند إليه
أبو حنيفة : عشرة أجزاء . وكتاب ما خالف الثوري [فيه] شعبة : ثلاثة أجزاء .
وكتاب ما انفرد فيه أهل المدينة من السنن : عشرة أجزاء . وكتاب ما انفرد به
أهل مكة من السنن : عشرة أجزاء ، وكتاب ما عند شعبة عن قتادة ، وليس عند
سميد عن قتادة : جزآن ، وكتاب غرائب الأخبار : عشرون جزءا . وكتاب
ما أغرب [فيه] الكوفيون عن البصريين : عشرة أجزاء . وكتاب ما أغرب
البصريون [فيه] عن الكوفيين : ثمانية أجزاء ، وكتاب أسامي من يُعرف
بالكنية : ثلاثة أجزاء . وكتاب كُني من يعرف بالأسامي : ثلاثة أجزاء .
وكتاب الفصل والوصل : عشرة أجزاء . وكتاب التمييز بين حديث النضر
الحُدائي والنضر الحزاز : جزآن . وكتاب الفصل بين حديث أشعث بن مالك
وأشعث بن سوار : جزآن ، وكتاب الفصل بين حديث منصور بن المعتمر
ومنصور بن راذان : ثلاثة أجزاء . وكتاب الفصل بين مكحول الشامى
ومكحول الأزدي : جزء . وكتاب موقوف مارفع : عشرة أجزاء . وكتاب
آداب الرجال : جزآن . وكتاب ما أسند جُفادة عن عبادة : جزء . وكتاب
الفصل بين حديث ثور بن زيد وثور بن يزيد : جزء ، وكتاب ما جعل
عبد الله بن عمر عبيد الله بن عمر : جزآن . وكتاب ما جعل شيبان سفيان ،
أو سفيان شيبان : ثلاثة أجزاء ، وكتاب مناقب مالك بن أنس : جزآن ، وكتاب
مناقب الشافعي : جزآن ، وكتاب المعجم على المدن : عشرة أجزاء ، وكتاب القلبيين
من الحجازيين : عشرة أجزاء . وكتاب القلبيين من العراقيين : عشرون جزءا .
وكتاب الأبواب المتفرقة : ثلاثون جزءا . وكتاب الجعم بين الأخبار المتضادة :

جزءان ، وكتاب وصف المعدل والمعدل : جزءان . وكتاب الفصل بين حدثنا وأخبرنا : جزء . وكتاب وصف العلوم وأنواعها : ثلاثون جزءا . وكتاب الهداية إلى علم السنن ، قصد فيه إظهار الصناعتين اللتين هما صناعة الحديث والفقہ ، يذكر حديثا ويترجم له ، ثم يذكر من يفرد بذلك الحديث ، ومن مفاريد أي بلد هو ؟ ثم يذكر كل اسم في إسناده من الصحابة إلى شيخه بما يعرف من نسبه ومولده وموته وكنيته وقبيلته وفضله وتيقظه ، ثم يذكر مافي ذلك الحديث من الفقہ والحكمة . فإن عارضه خير ذكره وجمع بينهما . وإن تضاد لفظه في خير آخر تلتطف للجمع بينهما حتى يعلم مافي كل خبر من صناعة الفقہ والحديث معا . وهذا من أنبل كتبه وأعزها .

قال أبو بكر الخطيب : سألت مسعود بن ناصر - يعني السجزي - فقلت له : أكل هذه الكتب موجودة عندهم ، ومقدور عليها ببلادكم ؟ فقال : إنما يوجد منها الشيء اليسير ، والنزر الحقيق . قال : وقد كان أبو حاتم بن حبان سبيل كتبه ووقفها ، وجمعها في دار رسمها بها . فكان السبب في ذهابها مع تطاول الزمان ، وضعف السلطان ، واستيلاء ذوى العيث والفساد ، على أهل تلك البلاد .

قال الخطيب : ومثل هذه الكتب الجليلة كان يجب أن يكثر بها النسخ ، وينافس فيها أهل العلم ويكتبوها ، ويجلدوها ، إحرازها لها . ولا أحسب المانع من ذلك إلا قلة معرفة أهل تلك البلاد بمحل العلم وفضله ، وزهدهم فيه ، ورغبتهم عنه ، وعدم بصيرتهم به . والله أعلم .

قال الإمام تاج الإسلام : وحصل عندي من كتبه بالإسناد المتصل سماعا : كتاب التقسيم والأنواع : خمس مجلدات ، قرأتها على أبي القاسم الشحامى . عن أبي الحسن البجاني عن أبي هارون الزوزنى عنه . وكتاب روضة العقلاء .

[وهو هنا] قرأه على حنبل السجزي عن أبي محمد التوني عن أبي عبد الله الشروطي عنه .

وحصل عندي من تصانيفه غير مسندة عدة كتب ، مثل كتاب الهداية إلى علم السنن ، من أوله قدر مجلدين .

وله - وهو أشهر من هذه كلها - كتاب الثقات ، وكتاب الجرح والتعديل ، وكتاب شعب الإيمان ، وكتاب صفة الصلاة ، أدرك عليه في كتاب التقاسيم . فقال : في أربع ركعات يصلحها الإنسان ستائة سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أخرجناها بفصولها في كتاب صفة الصلاة ، فأغنى ذلك عن نظمها في هذا النوع من هذا الكتاب .

قال أبو سعد : سمعت أبا بكر وجيه بن طاهر الخطيب ، بقصر الريح ، سمعت أبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندي ، سمعت أبا بشر عبد الله بن محمد بن هارون سمعت عبد الله بن محمد الأسترايادي يقول : أبو حاتم بن حبان البستي كان على قضاء سمرقند مدة طويلة ، وكان من فقهاء الدين ، وحفاظ الآثار والمشهورين في الأمصار والأقطار ، عالما بالطب والنجوم وفنون العلم . أنف كتاب المسند الصحيح والتاريخ والضمفاء والكتب الكثيرة من كل فن .

أخبرتني الحرة زينب الشعرية - إذنا - عن زاهر بن طاهر ، عن أحمد بن الحسين الإمام ، سمعت الحافظ أبا عبد الله الحاكم يقول : أبو حاتم بن حبان داره التي هي اليوم مدرسة لأصحابه ومسكن للتراباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمثقفة ، ولهم جرايات يستنشقونها ، داره ، وفيها خزانة كتبه في يدي وصي ، سلمها إليه لبيد لها من يريد نسخ شيء منها في الصفة ، من غير أن يخرجها منها ، شكر الله له عنايته في تصنيفها ، وأحسن ثوابه على جميل نيته في أمرها بفضله ورأفته ! .

وأخبرني القاضي أبو القاسم الحرستاني في كتابه ، قال : أخبرني وجيه بن طاهر الخطيب بقصر الرمح - إذنا - سمعت الحسن بن أحمد الحافظ سمعت أبا بشر النيسابوري يقول : سمعت أبا سعيد الإدريسي يقول : سمعت أبا حامد أحمد بن محمد بن سعيد النيسابوري - الرجل الصالح سمرقند - يقول : كنا مع أبي بكر محمد ابن إسحاق بن خزيمه في بعض الطريق من نيسابور ، وكان معنا أبو حاتم البستي ، وكان يسأله ويؤذيه ، فقال له محمد بن إسحاق بن خزيمه : يا بارد ، تنح عني ، لا تؤذيني ، أو كفة نحوها ، فكتب أبو حاتم مقالته ، فقيل له : تكتب هذا ؟ فقال : نعم أكتب كل شيء يقوله .

أخبرني الخطيب أبو الحسن السديدي - مشافهة بحرؤ - قال : أخبرني أبو سعد - إذنا - أخبرنا أبو علي إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي - إجازة - سمعت والدي سمعت الحاكم أبا عبد الله يقول : سمعت أبا علي الحسين بن علي الحافظ - وذكرك كتاب المرحومين لأبي حاتم البستي ، فقال : كان لعمر بن سعيد ابن سنان المنبجحي ابن رخل في طلب الحديث ، وأدرك هؤلاء الشيوخ ، وهذا تصنيفه - وأسأء القول في أبي حاتم .

قال الحاكم : أبو حاتم كبير في العلوم ، وكان يُحمد لفضله وتقدمه . ونقلت من خط صديقنا الإمام الحافظ أبي نصر عبد الرحيم بن النعيس بن هبة الله بن وهبان السلمي الحديثي - وذكر أنه نقله من خط أبي الفضل أحمد بن علي بن عمرو السليمانى البيكندى الحافظ من كتاب شيوخه - وكان قد ذكر فيه ألف شيخ في باب الكذابين - قال : وأبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي ، قدم علينا من سمرقند سنة ٣٣٠ أو سنة ٣٢٩ ، فقال لي أبو حاتم سهل بن السري الحافظ : لا تكتب عنه ، فإنه كذاب . وقد صنف لأبي الطيب المصعبى كتاباً في القرامطة حتى قلده قضاء سمرقند ، فلما أخبر أهل سمرقند بذلك أرادوا أن

يقتله ، فهرب ودخل بخاري ، وأقام دلالاً في البرازين ، حتى اشترى له ثياباً
بخمسة آلاف درهم إلى شهرين وهرب في الليل ، وذهب بأموال الناس .

قال : وسمعت السليمانى الحافظ بنيسابور قال لى : كتبت عن أبي حاتم البستي ؟
فقلت : نعم . فقال : إياك أن تروى عنه . فإنه جاءنى فكتب مصنفاً ، وروى عن
مشايخي ، ثم إنه خرج إلى سجستان بكتابه فى القرامطة ، إلى ابن بابو ، حتى قبله
وقلده أعمال سجستان ، فمات به .

قال السليمانى : فرأيت وجهه وجه الكذابين ، وكلامه كلام الكذابين .
وكان يقول : يا بني ، اكتب : أبو حاتم محمد بن حبان البستي إمام الأئمة ،
حتى كتبت بين يديه ، ثم محوته ، قال أبو يعقوب إسحاق بن أبي إسحاق
القراب : سمعت أحمد بن محمد بن صالح السجستاني يقول : توفى أبو حاتم محمد بن
أحمد بن حبان سنة ٣٥٤ .

وعن شيخنا أبي القاسم الحرستانى عن أبي القاسم الشحامى عن أبي عثمان سعيد
ابن محمد البهترى سمعت محمد بن عبد الله الضبي يقول : توفى أبو حاتم البستي ليلة
الجمعة ثمان ليالٍ يقين من شوال سنة ٣٥٤ .

ودفن بعد صلاة الجمعة فى الصفة التى ابنتها بمدينة بئست بقرب داره .

وذكر أبو عبد الله الفنجارى الحافظ فى تاريخ بخارى : أنه مات بسجستان
سنة ٣٥٤ وقبره ببئست معروف إلى الآن يزار ، فإن لم يكن نقل من سجستان
إليها بعد الموت ، وبإلا فالصواب أنه مات ببئست .

مسند الكتاب إلى المؤلف

أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الزُّهَّارِيُّ أدام الله نأيدَهُ ! وأجزل من كل خير مَزِيدُهُ ! في شهر سنة اثنتين وستائة .

قال : حدثنا الأمير القاضي الإمام عمدة الدين مُعِين الإسلام ناصر السنة أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحسين بن محمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن محمد البوسنجي من لفظه ببوسنج^(١) في شهر سنة اثنتين وستين وخمسةائة .

قال : أخبرنا الشيخ الإمام العالم الزاهد عفيف الدين أبو جعفر حنبلُ بن علي بن الحسين البخاري الصوفي السُّنِّي ، رحمه الله !

قال : أخبرنا الشيخ أبو محمد أحمد بن محمد بن أحمد القوي^(٢) سنة تسع وسبعين وأربعمائة .

قال : أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله الشُّرُوطِيُّ .

قال : أخبرنا أبو حاتم محمد بن حبان البُسْتِيُّ ، رضى الله عنه ! قال :

(١) بالسين الهمزة من قرى زبد ، وبالشين للمعجمة بليدة من نواحي هراة .
(٢) التوي : نسبة إلى تون ، مدينة من ناحية قهستان قرب قائن ، حكاه ياقوت ونسب إليها أبا محمد هذا ، وذكر روايته عن شيخه الشُّرُوطِيِّ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المنفرد بوحداية الألوهية ، المتمرزة بعظمة الربوبية ، القائم على نفوس العالم بأجلها ، والعالم بتقلبها وأحوالها ، المأن عليهم بتواتر آلائه ، المتفضل عليهم بسوانح نعماته ، الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير ، وخلق البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير ، فضت فيهم بقدرته مشيئته ، ونفذت فيهم بعزته إرادته ، فألمهم حسن الإطلاق ، وركب فيهم تشبب الأخلاق ، فهم على طبقات أقدارهم يعيشون ، وعلى تشعب أخلاقهم يدورون ، وفيما قضى وقدر عليهم يهيئون و (٥٣ : ٢٣ كل حزب بما لديهم فرحون) .

وأشهد أن لا إله إلا الله فاطر السموات والأرض ، ومنشئ الأرضين والثرى ، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه (٢٣ : ٢١ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)
وأشهد أن محمداً عبده المصطفى ، ورسوله المرتضى ، بعثه بالنور المضي ، والأمر المرضي ، على حين فترة من الرسل ، ودروس من السبل ، فدمغ به الطغيان ، وأكل به الإيمان ، وأظهره على كل الأديان ، وقع به أهل الأوثان ، فصلى الله عليه وسلم مادار في السماء فلك ، وما سبح في الملكوت ملك ، وعلى آله أجمعين .

أما بعد ، فإن الزمان قد تبين للماعل تغيره ، ولاح للبيب تبدله ، حيث يبس ضرعه بعد الغزارة ، وذبل فرعه بعد النضارة ، ونحل عوده بعد الرطوبة ، وبسح مذاقه بعد العذوبة ، فنبغ فيه أقوام يدعون التمكن من العقل باستعمال ضد ما يوجب العقل ؛ من شهوات صدورهم ، وترك ما يوجب نفس العقل بهجسات

قلوبهم ، جعلوا أساس العقل الذي يعتقدون عليه عند المضلات : النفاق والمداهنة ، وفروعه عند ورود الثابتات : حُسن اللباس والنصاحة ، وزعموا أن مَنْ أَحكم هذه الأشياء الأربع فهو العاقل ، الذي يجب الاقتداءُ به ، ومن تخلف عن إحكامها فهو الأثوك^(١) الذي يجب الازورار عنه^(٢) .

فلا رأيت الرعاع^(٣) من العالم يفكرون بأفعالهم ، والهمج من الناس يفتدون بأمثالهم ، دعاني ذلك إلى تصنيف كتاب خفيف ، يشتمل متضمنه على معنى لطيف ، مما يحتاج إليه العقلاء في أيامهم ، من معرفة الأحوال في أوقاتهم ، ليكون كالذاكرة لذوى الحجى^(٤) عند حضرتهم ، وكالمعين لأولى النهى عند غيبتهم ، يفوق العالمُ به أقرانه ، والحافظ له أترابه ، يكون النديم الصادق للعاقل في الخلوات ، والمؤنس الحافظ له في العلوات ، إن خصَّ به من يجب من إخوانه ، لم يفترقه من ديوانه ، وإن استبدَّ به دون أوليائه ، فاق به على نظرائه .

أبين فيه ما يحسن للعاقل استعماله من الخصال الحمودة ، ويقبح به إتيانه من الخلال المذمومة ، مع القصد في لزوم الاختصار ، وترك الإمعان في الإكثار ، ليحفَّ على حامله ، وتعيه أذنُ مستمعه ، لأن فنون الأخبار ، وأنواع الأشعار ، إذا استقصى المجتهد في إطالتها ، فليس يرجو النهاية إلى غايتها ، ومن لم يرجُ التمكن من الكمال في الإكثار ، كان حقيقاً أن يقنع بالاختصار .

والله الموفق للسداد ، والهادي إلى الرشاد ، وإياه أسأل إصلاح الأسرار ، وترك المعاقبة على الأوزار ، إنه جواد كريم ، روهف رحيم .

(١) الأثوك : أي الأحمق .

(٢) الازورار : الاتقياض والتباعد .

(٣) الرعاع : أي الجهلة والدماء (٤) الحجى - بالكسر مقصوراً - العقل .

والنهي : جمع نهيّة - بالضم - وهي العقل أيضا .

ذكر الحث على لزوم العقل

وصفة العاقل اللبيب

حدثنا محمد بن يوسف بن مطر حدثنا عبد الله بن أحمد بن شَبُوبَةَ حَدَّثَنَا
أحمد بن يونس حدثنا فضيل بن عياض عن محمد بن ثور عن معمر عن أبي حازم
عن سهل بن سعد قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَكَارِمَ
الْأَخْلَاقِ ، وَيَكْرَهُ سَفَافَهَا ^(١) » .

قال أبو حاتم : لست أحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم خبراً صحيحاً في
العقل ؛ لأن أبان بن أبي عياش ، وسلمة بن وردان ، وعمير بن عمران ، وعلي
ابن زيد ، والحسن بن دينار ، وعبد بن كثير ، وميسرة بن عبد ربه ، وداود
ابن المحبّر ، ومنصور بن صقر وذويهم ، ليسوا ممن أحتج بأخبارهم ، فأخرج
ما عندهم من الأحاديث في العقل ^(٢) .

وإن حجة المرء المكارم من الأخلاق وكراهته سفافها هو نفس العقل .

فالعقل به يكون الحفظ ، ويؤنس العربية ، ويثني القاعة ، ولا مال أفضل
منه ، ولا يتم دين أحد حتى يتم عقله .

والعقل : اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب ، والعلم باجتنب الخطأ ، فإذا
كان المرء في أول درجته يسمى أديباً ، ثم أريباً ، ثم لبيباً ، ثم عاقلاً . كما أن الرجل
إذا دخل في أول حدّ الدهاء قيل له : شيطان ، فإذا عمّتا في الطغيان قيل : مارِدٌ ،
فإذا زاد على ذلك قيل : عَبْقَرِيٌّ ^(٣) ، فإذا جمع إلى خُبْنِهِ شِدَّةً شَرِيَّةً قيل : عِفْرِيَّةٌ

(١) سفافها : أي دنيتها وخسيسها (٢) أي أن هؤلاء الضعفاء والمجروحين

رووا أحاديث في فضل العقل لا يراها المؤلف حجة لسقوط رواياتها

(٣) عبقرى : نسبة إلى عبقر ، وهو مسكن الجن في زعم العرب ، وهم ينسبون

كل ما يتعاطونه ويرونه فوق متناولهم إلى عبقر

وكذلك الجاهل ، يقال له في أول درجته : المائق ، ثم الرقيق ، ثم الأنوك ، ثم الأحق .

وأفضل مواهب الله لعباده العقل ، ولقد أحسن الذي يقول :
وأفضل قسم الله للمرء عقله فليس من الخيرات شيء يقاربه
إذا أكل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه
يميش القتي في الناس بالعقل ، إنه على العقل يجري علمه وتجاربه
يزيد القتي في الناس جودة عقابه وإن كان محظوراً عليه مكاسبه

أخبرنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا أحمد بن سيار حدثنا حبيب الجلاب
قال : قيل لابن المبارك « ما خير ما أعطى الرجل ؟ قال : غريزة عقل ، قيل :
فإن لم يكن ؟ قال : أدب حسن ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : أخ صالح يستشيره ،
قيل : فإن لم يكن ؟ قال : صمت طويل ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : موت عاجل »
أخبرنا محمد بن داود الرازي حدثنا محمد بن حميد حدثنا ابن المبارك قال
« سئل عقيبي : ما أفضل ما أعطى العبد ؟ قال : غريزة عقل ، قال : فإن لم يكن ؟
قال : فأدب حسن ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : فأخ شفيق يستشيره ، قال : فإن لم
يكن ؟ فطول صمت ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : فوت عاجل »

قال أبو حاتم : العقل نوعان : مطبوع ومسموع ، فالمطبوع منها كالأرض ،
والمسموع كالبذر والماء . ولا سبيل للعقل المطبوع أن يخلص له عمل محصول دون
أن يرد عليه العقل المسموع ، فبينه من رقدته ، ويطلقه من مكانه ، كما يستخرج
البذر والماء ما في قعر الأرض من كثرة الرّيع .

فالعقل الطبيعي من باطن الإنسان بموضع عروق الشجرة من الأرض ، والعقل
للمسموع من ظاهره كتندي ثمرة الشجرة من فروعها .
أنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

رأيت العقل نوعين فطبوع ومسموع^(١)
ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

أخبرنا القطان بالرقعة حدثنا موسى بن مروان حدثنا بقية عن عبد الله بن حسان.
حدثني ابن عامر، قال : قلت لعطاء بن أبي رباح « يا أبا محمد ، ما أفضل ما أعطى
العبد ؟ قال : العقل عن الله »

أنشدني أحمد بن محمد بن عبد الله الصنعاني لعبد الله بن عكراش :

يَزِينُ الفتي في الناس صحة عقله وإن كان محظوراً عليه مكاسبه
يَشِينُ الفتي في الناس خفة عقله وإن كرمت أعراقه وتناسبه

قال أبو حاتم : فالواجب على العاقل : أن يكون بما أحيا عقله من الحكمة
أَكْفَتْ^(٢) منه بما أحيا جسده من القوت ، لأن قوت الأجساد المطاعم ، وقوت
العقل الحكم ، فكما أن الأجساد تموت عند فقد الطعام والشراب ، كذلك
العقول إذا فقدت قوتها من الحكمة ماتت .

والتقلب في الأمصار والاعتبار بخلق الله مما يزيد المرء عقلاً ، وإن عدم المال
في قلبه .

أنشدني عبد الرحمن بن محمد المقاتلي :

إن ذا العقلِ يرى غنا له عَدَمَ المالِ ، إذا ما العقلُ صح
ما على المرءِ بَعْدَ سُبَّةٍ إنْ وَفَا العقلُ ، وإن دِينُ صلح

أخبرنا محمد بن المسيب حدثنا أحمد بن إسماعيل المدني قال : سمعت حاتم بن
إسماعيل يقول « ما استودع الله عقلاً عبداً إلا استنقذه به يوماً ما »

(١) حفظي * رأيت العقل عقليين *

(٢) أكلف : أي أشد كلفاً ، والكلف : الهبة

قال أبو حاتم : العقل دواء القلوب ، ومَطِيَّةُ الْمُجْتَهِدِينَ ، وبذر حرثاة الآخرة ، وتاج المؤمن في الدنيا ، وعُدَّتُهُ في وقوع النوائب ، ومن عدم العقل لم يزد السُّلْطَانُ عِزاً ، ولا المال يرفسه قدراً ، ولا عَقْلٌ لِمَنْ أَغْفَلَهُ عَنْ أَخْرَاهُ مَا يَجِدُ مِنَ لَذَّةِ دُنْيَاهُ ، فكما أن أشدَّ الزَّمَانَةَ الجَهْلُ ، كذلك أشدُّ الفَاقَةَ عَدَمُ العَقْلِ .

والعقل والهوى متعاديان ، فالواجب على المرء : أن يكون رأيه مُسْتَفِئاً^(١) ، وهواه مُتَوَفِّاً^(٢) . فإذا اشتبه عليه أمران اجتنب أقربهما من هواه ؛ لأن في مجانبته الهوى إصلاح السمائر ، وبالعقل تصلح الضائر .

أخبرنا عمرو بن محمد الأنصاري ثنا^(٣) ثنا محمد بن عبيد الله الجشمي حدثنا المدائني ، قال : قال معاوية بن أبي سفيان لرجل من العرب عُمرٌ دهرًا « أخبرني بأحسن شيء رأيت ، قال : عقل طُلبَ به مروءة مع تقوى الله وطلب الآخرة »

وأشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا تم عقل المرء تمت أموره وتمت أياديه ، وتم بناؤه
فإن لم يكن عقل تبين نقصه ولو كان ذا مال كثيراً عطاؤه

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو كامل الجحدري^(٤) حدثنا عمران بن خالد الخزامي قال : سمعت الحسن^(٥) يقول « ماتم دين عبدٍ قطُّ حتى يتم عقله »
قال أبو حاتم : أفضل ذوى العقول منزلة أدومهم لنفسه محاسبة ، وأقلهم عنها فترة .

فبالعقل تعمر القلوب ، كما أن بالعلم تستخرج الأحلام ، وعمود السادة العقل ،

(١) مستفيا : معينا مساعدا (٢) التسوييف : التأخير عن كمل (٣) ياض بالأصل (٤) اسمه : فضيل بن حسين (٥) هو ابن أبي الحسن البصري

ورأس العقل الاختيار ، ولو صور العقل صورة لأظلمت معه الشمس لنوره ، فقرب
العاقل مَرَجُوْ خيره على كل حال ، كما أن قرب الجاهل تخوف شره على
كل حال .

ولا يجب للعاقل أن يقم ؛ لأن الغم لا ينفع ، وكثرته تُزْرِى بالعقل ،
ولا أن يحزن ؛ لأن الحزن لا يردُّ المَرَزِيَّةَ ^(١) . ودوامه ينقص العقل .

والعاقل يحسم الداء قبل أن يتلى به ، ويدفع الأمر قبل أن يقع فيه ،
فإذا وقع فيه رضى وصبر ، والعاقل لا يخيف أحداً أبداً ما استطاع ، ولا يقم على
خوف وهو يجد منه مَذْهَباً ، وإذا خاف على نفسه الهوان طابت نفسه عما يملك
من الطارف والتالد ^(٢) ، مع لزوم العفاف ، إذ هو قُطْبُ شَعْبِ العقل .

أنشدني المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصاري :

أولت تأمر بالعفاف وبالتقى وإليه آل الأمر حين يؤول ؟
فإن استطعت فخذ بعقلك فضلة إن العقول يرى لها تفضيل

أخبرنا الحسين بن إسحاق الأصبهاني بالسكرج حدثنا محمد بن علي الطاحي
حدثنا عمرو بن عثمان الخزاز الحراني حدثنا مفضل بن صالح قال : قال علي ^(٣) « لما
أهبط الله آدم من الجنة أتاه جبريل ، فقال : إني أمرت أن أخيرك في ثلاثة ، فاختر
واحدة ، ودع اثنتين ، فقال آدم : وما الثلاث ؟ قال : الحياء والدين والعقل ، فقال
آدم : فإني قد اخترت العقل ، قال : فقال جبريل للحياء والدين : انصرفا ودعاه ،
فقالا : إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان ، ثم عرج جبريل وقال :
شانكم »

(١) النصية التي ترزأ ؛ أي تثقل الكاهل فينوء بها (٢) الجديد والقديم (٣) أي

ابن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين

قال أبو حاتم : من حسن عقله وقبح وجهه فقد أفقد فضائل نفسه قباح وجهه ، ومن حسن وجهه وقل عقله فقد أذهب تحاسين وجهه نقائص نفسه ، فلا يجب للعاقل أن يتم إذا كان معدماً^(١) ، لأن العاقل قد يرجى له النقي ، [ولا] يوثق للجاهل المكثّر ببقاء ماله ، ومال العاقل عقله وما قدم من صالح عمله . وآفة العقل الصّنف^(٢) والبلاء المردي ، والرّخاء المفرط ؛ لأنّ البلايا إذا تواترت عليه أهلك عقله ، والرّخاء إذا تواتر عليه أبطره ، والعدو العاقل خير للمرء من الصديق الجاهل .

أنشدني علي بن محمد البسامي :

عدوك ذو العقل أبقى عليك من الجاهل الوايق الأحق^(٣)
وذو العقل يأتي جميل الأمور ويقصد للأرشد الأرفق

أخبرنا محمد بن الحسين بن قتيبة بسفلان حدثنا ابن أبي السرى حدثنا داود ابن الجراح وضمرة بن ربيعة عن خلود بن دعلج قال : سمعت معاوية بن قرّة يقول « إن القوم ليحجون ويمتمرون ، ويجاهدون ويصلون ، ويصومون ، وما يُعطون يوم القيامة إلا على قدر عقولهم »

سمعت محمد بن محمود بن عدى النسائي يقول : سمعت علي بن خشرم يقول :

سمعت حفص بن حميد الأكَاف يقول : « العاقل لا يغبّن ، والورع لا يغبّن »

قال أبو حاتم : هذه لفظة جامعة ، تشتمل على معان شتى ، فكما لا ينفع الاجتهاد بغير توفيق ، ولا الجمال بغير حلاوة ، ولا السرور بغير أمن ، كذلك لا ينفع العقل بغير ورع ، ولا الحفظ بغير عمل ، وكما أن السرور تبع للأمن ، والقراءة تبع للعودة ، كذلك المروءات كلها تبع للعقل .

(١) أي فقيراً (٢) أي الكبير (٣) الواثق : الهب ، ومق يق مقة : أحب

وعقول كل قوم على قدر زمانهم ، فالعاقل يختار من العمر أحسنه وإن قل ، فإنه خير من الحياة النكدة وإن طالت ، والعقل الموعى - غير المنتفع به - كالأرض الطيبة الخراب .

والعاقل لا يتبدىء الكلام إلا أن يُسأل ، ولا يكثر التماهى^(١) إلا عند القبول ، ولا يسرع الجواب إلا عند التثبت .

والعاقل لا يستحقر أحداً ؛ لأن من استحقر السلطان أفسد دنياه ، ومن استحقر الأتقياء أهلك دينه ، ومن استحقر الإخوان أفنى مروءته ، ومن استحقر العام^(٢) أذهب صيافته .

والعاقل لا يخفى عليه عيب نفسه ؛ لأن من خفى عليه عيب نفسه خفيت عليه محاسن غيره ، وإن من أشد العقوبة للمرء أن يخفى عليه عيبه ؛ لأنه ليس بمقلع عن عيبه من لم يعرفه ، وليس بنائل محاسن الناس من لم يعرفها ، وما أنفع التجارب للمبتدى .

أنشدنى المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصارى :

ألم ترأت العقل زين لأهله وأن كمال العقل طول التجارب
وقد وعظ الماضى من الدهر ذا النهى^(٣) ويزداد فى أيامه بالتجارب
أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الحكم
ابن عبد الله قال « كانت العرب تقول : العقل التجارب ، والحزم سوء الظن »
قال أبو حاتم : لا يكون المرء بالمصيب فى الأشياء حتى تكون له خبرة بالتجارب
والعاقل يكون حسنَ المأخذ فى صنعه ، صحيح الاعتبار فى صباه ، حسن العفة عند

(١) التماهى : أى البحث والمحاورة (٢) العام : أى العوام والجمهور (٣) النهى :

جمع نية أى العقل

إدراكه ، رضى الشامل فى شبابه ، ذا الرأى والحزم فى كهولته يضع نفسه دون غاية برتوة^(١) . ثم يحمل نفسه غاية يقف عندها ، لأن من جاوز الغاية فى كل شىء صار إلى النقص .

ولا ينفع العقل إلا بالاستعمال ، كما لا تنفع الأعوان إلا عند الفرصة ، ولا ينفع الرأى إلا بالانتحال^(٢) ، كما لا تتم الفرصة إلا بحضور الأعوان .
ومن لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه أخاف أن يكون حقه^(٣) فى أقرب الأشياء إليه .

ورأس العقل : المعرفة بما يمكن كونه قبل أن يكون .

والواجب على العاقل أن يحتنب أشياء ثلاثة ، فإنها أسرع فى إفساد العقل من النار فى يديس العوسج : الاستغراق فى الضحك ، وكثرة التمنى ، وسوء التثبت ؛ لأن العاقل لا يتكلف ما لا يطيق ، ولا يسعى إلا لما يدرك ، ولا يعد إلا بما يقدر عليه ، ولا ينفق إلا بقدر ما يستفيد ، ولا يطلب من الجزاء إلا بقدر ما عنده من الغناء^(٤) ، ولا يفرح بما نال إلا بما أجدى^(٥) عليه نعمة منه .

والعاقل يبذل لصديقه نفسه وماله ، ولمعرفته رفده ومحضره ، ولعدوه عدله وبره ، ولعامته بشره ونحيته ، ولا يستعين إلا بمن يحب أن يظفر بمحاجته ، ولا يحدث إلا من يرى حديثه مغنيا ، إلا أن يغلبه الاضطراب عليه ، ولا يدعى ما يحسن من العلم لأن فضائل الرجال ليست ما اكتسبها ولكن ما سبها الناس منهم ، ولا يبلى ماقاته من حطام الدنيا ، مع ما رزق من الحظ فى العقل .

(١) فى القاموس - الرتوة : البناء الشاة - الخطوة (٢) الانتحال : الاستخلاص والتحصين من نخل الطحين لأخذ حواراه (٣) حقه : أى هلاكه (٤) الغناء : النفع (٥) أجدى : أى عاد عليه بالنفع .

أنشدني عبد الرحمن بن محمد المقاتلي :

فمن كان ذا عقل ، ولم يك ذا غنى يكون كذى رجل ، وليست له نعل
ومن كان ذا مال ، ولم يك ذا حجي يكون كذى نعل ، وليست له رجل

قال أبو حاتم : كنى بالعقل فضلا وإن عدم المال : بأن تُصَرَّف مساوي أعماله إلى المحاسن ، فتجعل البلادة منه حلما ، والمكر عقلا ، والهدر^(١) بلاغة ، والحدة ذكاء ، والعي صمتا ، والعقوبة تأديبا ، والجرأة عزما ، والخبث تأنيا ، والإسراف جودا ، والإسك تقديرا ، فلا تكاد ترى عاقلا إلا موقرا للرؤساء ، ناصحا للأقران ، مواتيا للاخوان ، متحرزا من الأعداء ، غسيرا حاسدا للأصحاب ، ولا مخادعا للأحباب . ولا يتجرش بالأشرار ، ولا يبغض في الغنى ، ولا يشره في الفاقة ، ولا يتقاد للهوى ، ولا يجمع في الغضب ، ولا يبرح في الولاية ، ولا يتعنى مالا يجد ، ولا يكتنز إذا وجد ، ولا يدخل في دعوى ، ولا يشارك في مراء ، ولا يبدل بحجة حتى يرى قاضيا ، ولا يشكو الوجد إلا عند من يرجو عنده البرء ، ولا يمدح أحدا إلا بما فيه ؛ لأن من مدح رجلا بما ليس فيه فقد بالغ في هجائه ، ومن قبل المدح بما لم يفعله فقد استهدف للسخرية .

والعقل يكرم على غير مال كالأسد يهاب وإن كان رابضا^(٢) .

وكلام العاقل يعتدل كاعتدال جسد النصحیح ، وكلام الجاهل يتناقض كاختلاط جسد المريض .

وكلام العاقل وإن كان تزا^(٣) خطوة عظيمة ، كما أن مقارفة المائم وإن كان تزا مصيبة جليلة .

ومن العقل التثبت في كل عمل قبل الدخول فيه .

(١) الهدر : كثرة الكلام (٢) ربيض الأسد : جثم (٣) تزا : قليلا

وآفة العقل المجب ، بل على العاقل أن يوطن نفسه على الصبر على جار
السوء ، وعشير السوء ، وجليس السوء ، فإن ذلك مما لا يخطيه على عمر الأيام .
ولا يجب للعاقل أن يحب أن يسى به ، لأن من عرف بالدهاء حذر ، ومن
عقل العاقل دفن عقله ما استطاع ، لأن اليدر وإن خفي في الأرض أياما فإنه لا بد
ظاهر في أوانه ، وكذلك العاقل لا يخفي عقله وإن أخفى ذلك جهده .
وأول تمكن المرء من مكارم الأخلاق هو لزوم العقل .

أشدني على بن محمد البسامي :

إن المكارم أبوابٌ مُصنَّفةٌ فالعقل أولها والصمت ثانيها
والعلم ثالثها ، والحلم رابعها ، والجود خامسها ، والصدق سادسها^(١)
والصبر سابعها ، والشكر ثامنها ، واللين تاسعها ، والصدق عاشيها
أخبرنا عمر بن عبد الله بن عمر المجرى بالأبلة حدثنا عبد الله بن خبيق حدثنا
موسى بن طريف قال شعيب بن حرب : قال لى شعبة « عقولنا قليلة ، فإذا
جلسنا مع من هو أقل عقلا منا ذهب ذلك القليل ، وإني لأرى الرجل يجلس
مع من هو أقل عقلا منه فأمته^(٢) »

قال أبو حاتم : أول خصال الخير للمرء في الدنيا العقل ، وهو من أفضل
ما وهب الله لعباده فلا يجب أن يدنس نعمة الله بمجالسة من هو بضدها قائم .
والواجب على العاقل : أن يكون حسن السمّت^(٣) طويل الصمت ، فإن ذلك
من أخلاق الأنبياء ، كما أن سوء السمّت وترك الصمت من شيم الأشقياء .
والعاقل لا يطول أمله ؛ لأن من قوى أمله ضعف عمله ، ومن أتاه أجله
لم ينفعه أمله .

(١) سادسها : ثلثة في سادسها (٢) التقت : أشد البغض (٣) السمّت : أى
الهيئة والنظر .

والعاقل لا يقاتل من غير عُدّة ، ولا يخاصم بغير حجة ، ولا يصارع بغير قوة ، لأن بالنقل تحيا النفوس ، وتنور القلوب ، وتمضى الأمور ، وتعمر الدنيا .

والعاقل يقبس ما لم ير من الدنيا بما قد رأى ، ويضيف ما لم يسمع منها إلى ما قد سمع ، وما لم يصب منها إلى ما قد أصاب ، وما بقي من عمره بما فنى ، وما لم ينل منها بما قد أوتى ، ولا يتكلم على المال وإن كان في تمام الحال ؛ لأن المال يحل ويرتحل ، والعقل يقيم ولا يبرح ، ولو أن العقل شجرة لكانت من أحسن الشجر ، كأن الصبر لو كان ثمرة لكان من أكرم الثمر .

والذى يزداد به العاقل من نساء عقله هو التقرب من أشكاله ، والتباعد من أصدائه .

ولقد أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أبو جعفر ابن ابنة أبي سعيد الثعلبي حدثنا محمد بن أبي مالك النري ، قال : سمعت أبي يقول « جالسوا الألباء : ^(١) أصدقاء كانوا أو أعداء ؛ فإن العقول تلقح ^(٢) العقول »

قال أبو حاتم : مجالسة العقلاء لا تخلو من أحد معنيين : إما تذكر الحالة التي يحتاج العاقل إلى الانتباه لها ، أو الإفادة بالشيء الخطير الذي يحتاج الجاهل إلى معرفتها .

فقرّب العاقل غم لأشكاله ، وعيبرة لأصدائه ، على الأحوال كلها .
ولا يجب لمن نسي به أن يتدلل إلا على من يحتمل دلاله ، ويقبل إلا على من يجب إقباله ، ولو كان للعقل أيوان لكان أحدهما الصبر ، والآخر التثبت .
جلنا الله ممن رُكّب فيه حسن وجود العقل ، فسلك بتمام النعم مسلك الخصال التي تقر به إلى باربه ، في دارى الأمد والأبد ؛ إنه الفعال لما يريد .

(١) الألباء : جمع لبيب ، واللبيب : ذو اللب وهو العقل

(٢) أى : تفيدها وتنورها .

ذكر إصلاح السرائر بلزوم تقوى الله

أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن زهير - بِسْتَر - حدثنا عمر بن شبة حدثنا مؤمل ابن إسماعيل حدثنا شعبة عن زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما كرهه الله منك شيئاً فلا تفعله إذا خلوت »

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل الحازم أن يعلم أن للعقل شعباً من المأمورات والمزجورات ، لا بد له من معرفتها ، واستعمالها في أوقاتها ، لمباينة العام ، وأوباش الناس بها

وإني ذاكر في هذا الكتاب - إن الله قضى ذلك وشاءه - خمسين شعبة من شعب العقل من المأمورات والمزجورات ، ليكون الكتاب مشتملاً على خمسين باباً ، بناء كل باب منها على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تتكلم في عقيب كل سنة منها بحسب ما يئمن الله به من التوفيق لذلك إن شاء الله

فأول شعب العقل هو لزوم تقوى الله ، وإصلاح السريرة ، لأن من صلح جواريه أصلح الله برآئيه ، ومن فسد جواريه أفسد الله برآئيه .

ولقد أحسن الذي يقول :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ، ولكن قل : على رقيب

ولا تحبن الله يفتل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يفتب

لم تر أن اليوم أسرع ذاهب وأن غداً للناظرين قريب ؟

أخبرنا عبد الله بن محمود بن سليمان السعدي حدثنا شعبة بن هيرة حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال « اتخذ طاعة الله تجارة تأتلك الأرباح

من غير بضاعة »

قال أبو حاتم : قطب الطاعات للمرء في الدنيا : هو إصلاح السرائر ، وترك إفساد الضمائر .

والموجب على العاقل الاهتمام بإصلاح سريره ، والقيام بحراسة قلبه عند إقباله وإدباره ، وحركته وسكونه ؛ لأن تكثُر الأوقات وتنصُّ اللذات لا يكون إلا عند فساد

ولو لم يكن لإصلاح السرائر سبب يؤدي العاقل إلى استعماله إلا إظهار الله عليه كيفية سريره ، خيراً كان أو شراً ، لكان الواجب عليه قلة الإغضاء عن تماهدها .

أشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

يُلبس الله في العلانية العبد الذي كان يَخْتَفِي في السريرة حسناً كان ، أو قبيحاً سيئاً كل ما كان ثم من كل سيئة فاستح الله أن تُرائي للناس فإن الرياء بثس الذخيرة

أخبرنا أبو يعلى حدثنا شريح بن يونس حدثنا عبدة بن حميد عن منصور عن عطاء بن أبي رباح عن أبيه قال : قال كعب « والذي فلق البحر لبني إسرائيل ، إنى لأجد في التوراة مكتوباً : يا ابن آدم ، اتق ربك ، وصلى رحمتك ، وبرّ والدك ، يُجِدْ لك في عُمرِكَ ، وييسر لك يسرك ، ويصرف عنك عُسرِكَ » .

حدثنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا محمد بن علي الشقيق حدثنا أبي حدثنا جعفر بن سليمان الضبيعي عن مالك بن دينار قال « إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب ، كما تخرب البيت إذا لم يكن فيه ساكن . وإن قلوب الأبرار تنلى بأعمال البرّ ، وإن قلوب الفجار تنلى بأعمال الفجور . والله يرى همومكم ، فانظروا ما همومكم ؟ رحمكم الله »

أشدنى محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

وإذا أعلنتَ أمراً حسناً فليكنَ أحسنَ منه ما تُسِرُّ
فيسرُّ الخيرَ موسومٌ به ومُسِرُّ الشرِّ موسومٌ بشرِّ

أخبرنا أبو يعلى حدثنا شريح بن يونس حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم
قال « إن الرجل ليتكلم بالكلام ينوي فيه الخير ، فيلقى الله في قلوب العباد ،
حتى يقولوا : ما أراد بكلامه هذا إلا الخير . وإن الرجل ليتكلم بالكلام الشر
لا ينوي فيه الخير ، فيلقى الله في قلوب الناس حتى يقولوا : ما أراد بكلامه هذا
إلا الشر »

حدثنا محمد بن عمر الهمداني حدثنا القطواني حدثنا سييار حدثنا حماد بن زيد
عن أيوب قال : سمعت الحسن يقول « إنكم وقوفٌ هاهنا تنتظرون آجالكم ،
وعند الموت تلقونَ الخير ، فخذوا مما عندكم لما بعدكم » .

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يأخذ مما عنده لما بعده من التقوى
والعمل الصالح : بإصلاح السريرة ، ونفى الفساد عن خلل الطاعات عند إجابة
القلب وإيائه . فإذا كان حجة السبيل في إقباله موجوداً أفذه بأعضائه . وإن
كان عدم وجوده موجوداً كبحه عنها ، لأن بصفاء القلب تصفو الأعضاء
وأشدنى المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصاري :

وإنَّ امرأً لم يصفُ لله قلبه آتِي وَحْشَةٍ مِنْ كُلِّ نَظْرَةٍ نَاطِرٍ
وإنَّ امرأً لم يرتحل بيضاعة إلى داره الأخرى فليس بتاجر
وإنَّ امرأً ابتاع دنيا بدينه لمنقلبٍ منها بصفقة خاسر

أخبرنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار الصوفي ببغداد حدثنا أبو نصر التمار
حدثنا أبو الأشهب عن خالد الربعي قال « كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً ، فأسره
سيده أن يذبح شاة ، فذبح شاة ، فقال : اتنى بأطيب مضغتين في الشاة ، فأتاه

باللسان والقلب، ثم مكث أياماً، فقال: اذبح شاة، فذبح، فقال: ائتني بأخبث مضعتين في الشاة، فألقى إليه اللسان والقلب، فقال له سيده: قلت لك حين ذبحت ائتني بأطيب مضعتين في الشاة، فأتيتني باللسان والقلب، ثم قلت لك الآن حين ذبحت الشاة: ائتني بأخبث مضعتين في الشاة، فألقيت اللسان والقلب؟ فقال: إنه لا أطيب متعماً إذا طاب، ولا أخبث متعماً إذا خبثا»

وأشدني منصور بن محمد الكريزي:

وما المرء إلا قلبه ولسانه إذا حصلت أخباره ومداخله
إذا ما رده المرء لم يك ظاهراً فبهات أن ينقيه بالماء غاسله
وما كل من تخشى ينالك شره وما كل ما أملت أنت نائله

أخبرنا أحمد بن عيسى بن السكيني - بواسطة - حدثنا عبد الحميد بن محمد بن

مستقام حدثنا محمد بن يزيد حدثنا صالح بن حسان المؤذن قال « دخلت على عمر ابن عبد العزيز، فسمعت يقول: لا يتقى الله عبداً حتى يجد طعم الذل »

قال أبو حاتم: العاقل يفتش قلبه في ورود الأوقات، ويكبح نفسه عن جميع المزجورات، ويأخذها بالقيام في أنواع المأمورات، ولزوم الانقباه عند ورود الفترة في الحالات، ولا يكون المرء يشاهد ما قلنا قائماً حتى يوجد منه حصة التثبت في الأعمال.

أشدني علي بن محمد البسامي:

وإذا بحثت عن التقى وجدته رجلاً يصدق قوله بفعله
وإذا اتقى الله امرؤ وأطاعه فبداه بين مكارم ومعال
وعلى التقى إذا تراسخ في التقى تاجان: تاج سكينه، وجمال
وإذا تناسبت الرجال، فما أرى نسباً يكون كصالح الأعمال

أخبرنا القطان بالرقه حدثنا عبد الله بن روى البراز عن أبيه قال : قلما دخلت على إسحاق بن أبي ربهى الرافقى إلا وهو يتمثل بهذا البيت :

خيرٌ من المال والأيامُ مقبلةٌ جيبٌ تقيُّ من الآثامِ والدَّسِّ (١)

أخبرنا محمد بن عبيد الله بن الجعيد حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله أخبرنا الربيع عن الحسن قال « أفضل العمل الورع والتفكر »

قال أبو حاتم : العاقل يدبر أحواله بصحة الورع ، ويمضى لسانه بلزوم التقوى ، لأن ذلك أول شعب العقل ، وليس إليه سبيل إلا بصلاح القلب . ومثل قلب العاقل إذا لزم رعاية العقل - على ما نذكرها في كتابنا هذا إن الله قضى ذلك وشاءه - كأن قلبه شرَّح بسكا كين التقية ، ثم ملَّح بملاح الخشية ، ثم جفَّ بريح العظمة ، ثم أحيى بماء القرية ، فلا يوجد فيه إلا ما يرضى للمولى جل وعلا ، ولا يبالي المرء إذا كان بهذا النعت أن يتنصع عند الناس ، ومحال أن يكون ذلك أبداً .

سمعت أحمد بن موسى بواسط يقول « وجد [ت] على خف عطاء السلى مكتوبا ، وكان حائكا » :

ألا إنما التقوى هو العز والكرم وفركك بالدنيا هو النذل والعدم وليس على عبد تقي تقيصة إذا صحح التقوى ، وإن حاك أو حجَّم

أخبرنا محمد بن زنجويه القشيري حدثنا عمرو بن علي حدثنا طريف بن سعيد حدثنا القاسم بن عبد الله الأنصاري عن محمد بن علي بن حسين قال « إذا بلغ الرجل أربعين سنة ناداه مناد من السماء : دفا الرحيل ، فأعدَّ زاداً » .

وأشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

(١) نقاء الجيب : كناية عن طهارة القلب

إذا انتسب الناس كان التقى يتقوا أفضل من يتسب
ومن يتق الله يكسب به من الخظ أفضل ما يكتب
ومن يتخذ سبباً للنجاة فإن تقى الله خير السبب
وأشدنى أحمد بن محمد بن عبد الله الصنعاني لابن عكراش :

ومها يسر المرء يبدؤ لربه وما ينسه الإنسان لا ينس كاتبه
ومن كان غلاباً بجهد ونجدة فذو الخظ في أمر المعيشة غابته
وأشدنى أبو بدر أحمد بن خالد بن عبيد الله بن عبد الملك بجران :

يا نفس ، ما هو إلا صبر أيام كأن لذاتها أضغاث أحلام
يا نفس ، جوزى عن الدنيا مبادرة وحل عنها ، فإن العيش قدامى

أخبرنا الحسين بن إدريس الأنصارى أخبرنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله
أخبرنا سفيان عن «من قال : قال عبد الله « إن طغاة القلوب شهوة وإقبالاً ،
وإن لها قوة وإدباراً ، فخذوها عند شهوتها وإقبالها ، ودعوها عند قهرتها
وإدبارها » .

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن لا ينسى تعاهد قلبه بترك ورود
السبب الذي يورث القساوة له عليه ؛ لأن بصلاح الملك تصلح الجنود ، وبفساده
تفسد الجنود ، فإذا اهتم بإحدى الخصلتين تجنب أقربهما من هوان ، وتوخى (١)
أبعدهما من الردى .

ولقد أحسن الذي يقول :

وإذا تشاجر في فؤادك مرةً أسران ، فاعتمد للأعف الأجل
وإذا همت بأمر سوء ، فأتند إذا همت بأمر خير فاقفل

(١) توخى : قصد ، والردي : الهلاك .

أخبرنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي بالبصرة حدثنا إبراهيم بن عزة الشامي عن مسعر بن كدام عن عَوْن بن عبد الله قال : قال عمر بن الخطاب « جالسوا التوابين ، فإنهم أرقُّ أفئدة »

أخبرنا أبو يعلى حدثنا محمد بن عمرو بن جبلة حدثنا محمد بن مروان حدثنا عطاء الأزرق قال : قال رجل للحسن « يا أبا سعيد ، كيف أنت ؟ وكيف حالك ؟ قال : كيف حال مَنْ أُمسى وأصبح ينتظر الموت ، ولا يدري ما يُصنع به .
وأشدنى منصور بن محمد الكُرَيْزِي :

تَحَيَّرَ قَرِينًا مِنْ فِيمَالِكَ ، إِنَّمَا بَرِّزَ الْفَتَى فِي الْقَبْرِ مَا كَانَ يَفْعَلُ
إِن كُنْتَ مَشغُولًا بِشَيْءٍ ، فَلَا تَكُنْ بِغَيْرِ الَّذِي بَرَّهْتَهُ بِهِ اللَّهُ تُشغَلُ
فَلَا بَدَّ بَعْدَ الْقَبْرِ مِنْ أَنْ تُعَدَّه لِيَوْمِ يَسَادَى الْمَرْءَ فِيهِ ، فَيَسْأَلُ
فَلَنْ يَصْحَبَ الْإِنْسَانَ مِنْ قَبْلِ مَوْتِهِ وَلَا بَعْدَهُ إِلَّا الَّذِي كَانَ يَفْعَلُ
أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ ضَيْفٌ لِأَهْلِهِ يُقِيمُ قَلِيلًا بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ يَرْحَلُ

أخبرنا علي بن سعيد العسكري حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا محمد بن الحسين حدثنا إسماعيل بن زياد قال « قدم علينا عبد العزيز بن سليمان عبَّادَانِ فِي بَعْضِ قَدَمَاتِهِ ، فَأَتَيْنَاهُ نُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَنَا : صَفُّوا لِلْمَنِيْمِ قُلُوبَكُمْ ، يَكْفِيكُمُ الْمَوْتُ عِنْدَ هَمِّكُمْ » ثُمَّ قَالَ « لَوْ خَدَمْتَ مَخْلُوقًا فَأَطَاعَتْ خِدْمَتَهُ ، أَلَمْ يَكُنْ يَرْعَى خِدْمَتَكَ حَرَمَةً ؟ فَكَيْفَ بِنِ يُنْعَمَ عَلَيْكَ وَأَنْتَ مُسِيءٌ إِلَى نَفْسِكَ ، تَتَقَلَّبُ فِي نَعْمِهِ ، وَتَتَمَرَّضُ لِنَفْسِهِ ؟ هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ ، هِمَّةَ الْبَطَالِينِ ، لَيْسَ لِهَذَا خَلْقَتُمْ ، وَلَا بَدَأَ أَسْرَتُمْ ، الْكَيْسَ الْكَيْسَ ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ » وَكَانَ يَفْطِرُ عَلَى مَاءِ الْبَحْرِ .

قال أبو حاتم : لن تصفو القلوب من وجود الدرن فيها حتى تكون الهم في الله هما واحداً ، فإذا كان كذلك كفى الهم في الهموم إلا الهم الذي يؤول

مَجْعَبُهُ^(١) إلى رضا الباري جل وعز ، بلزوم تقوى الله في الخلوة والملا ، إذ هو أفضل زاد العقلاء في دارتهم ، وأجل مَطِيَّةِ الحكماء في حاليتهم .

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

عليك بتقوى الله في كل أمره تَجِدُ غِيَةَ يَوْمِ الْحِسَابِ الطَّوَّلِ^(٢)
ألا إن تقوى الله خَيْرُ مَغْبَةٍ وَأَفْضَلُ زَادِ الطَّاعِنِ الْمَتْرَحِّلِ

قال أبو حاتم : قد ذكرت هذا الباب بكلامه بالعلل والحكايات في كتاب مَحَبَّةِ الْمُتَبَدِّئِينَ بما أرجو الفئدة للناظر إذا ما تأملها ، فأغنى ذلك عن تكراره في هذا الكتاب .

ذكر الحث على لزوم العلم والمداومة على طلبه

أخبرنا محمد بن إسحاق بن خزيمه حدثنا محمد بن يحيى ومحمد بن رافع قالا :
حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عاصم بن أبي النجود عن زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ :
« أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالِ الْمُرَادِيِّ ، فَقَالَ : مَا جَاءَ بِكَ ؟ قُلْتُ : جِئْتُ أَنْبِطَ الْعِلْمِ^(٣) »
قَالَ : فَإِنِ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مِنْ خَارِجٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ يَطْلُبُ الْعِلْمَ إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنَحَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ »

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل إذا فرغ من إصلاح سريرته : أن يُبْنِيَ بطلب العلم والمداومة عليه ، إذ لا وصول للمرء إلى صفاء شيء من أسباب الدنيا

(١) متعبه - بضم الميم وفتح التاء والعين ، وتشديد القاف مفتوحة - أراد

عاقبته .

(٢) اللعب ، بالكسر : عاقبة الشيء كالغنية ، بالفتح

(٣) نبط العلم : استخرجه ، والأصل فيه استنباط الماء من البئر ونحوه

إلا بصفاء العلم فيه ، وحكمُ العاقل أن لا يُقَصِّرَ في سلوكِ حالةٍ توجب له بسْطَ
الملائكة أجنحتها رضاً بصنيعه ذلك .

ولا يجب أن يكون متأملاً في سعيه الدنو من السلاطين ، أو نوال الدنيا
به ، فما أقبح بالعالم التذلل لأهل الدنيا ! .

حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي حدثنا داود بن أحمد المصيطلي حدثنا
عبد الرحمن بن عَمَّان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « ما أقبح بالعالم يؤتى
إلى منزله ، فيقال : أين العالم ؟ فيقال : عند الأمير ، أين العالم ؟ فيقال : عند
القاضي ، ما للعالم وما للقاضي ؟ ما للعالم وما للأمير ؟ ينبغي للعالم أن يكون في
مسجده يقرأ في مُصَحِّفه » .

حدثنا أبو يعلى حدثنا غسان بن الربيع حدثنا سليم مولى الشعبي عن الشعبي
قال « يا طلابَ العلم ، لا تطلبوا العلم بفاهةٍ وطَيْشٍ ، اطلبوه بسكينةٍ ووقارٍ
وتؤدّة » .

وأشدنى محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

وفي العلم والإسلام للمرء وازرع وفي ترك طاعاتِ الفؤاد المتيمِّ

بصائرُ رُشيدٍ للفتى مُستَبِينةٌ وإخلاص صدق علمها بالتعلم

أخبرنا إبراهيم بن نصر^(١) حدثنا عبيد بن حميد حدثنا سعيد بن عامر

عن حميد بن الأسود عن عيسى بن أبي عيسى الخياط قال قال الشعبي : « إنما

كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان : العقل ، والنسك ، فإن كان

عاقلاً ولم يك ناسكاً قيل : هذا أمر لا يناله إلا النساك ، فلم يطلبه ، وإن كان

ناسكاً ولم يكن عاقلاً قيل : هذا أمر لا يناله إلا العقلاء ، فلم يطلبه » قال :

(١) يياض بالأصل .

الشعبي « فلقد رهبت أن يكون يطلبه اليوم من ليس فيه واحدة منهما ،
لا عقل ولا نك »

قال أبو حاتم : العاقل لا يبيع حظ آخرته بما قصد في العلم لما يناله من
حطام هذه الدنيا ؛ لأن العلم ليس القصد فيه نفسه دون غيره ؛ لأن المبتغى من
الأشياء كلها نفعها لانفسها ، والعلم ونفس العلم شيان ، فمن أغضى عن نفعه لم
ينفع بنفسه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، والعلم له أول وآخر .

كما حدثنا أحمد بن علي بن المثنى حدثنا عمرو الناقد حدثنا يحيى بن الجمان
قال : سمعت سفیان يقول « أول العلم الإنصات ، ثم الاستماع ، ثم الحفظ ،
ثم العمل به ، ثم النشر » وأنشدني الأبرش :

تعلّم فليس المرء يولد عالماً وليس أخو علمٍ كمن هو جاهلٌ
وإن كبر القوم لا علمٍ عنده صميراً إذا التفت عليه الخجولُ

أخبرنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني حدثنا جرير عن
بريد بن سنان عن سليمان بن موسى قال : قال أبو الدرداء « لا تكون عالماً
حتى تكون متعلماً ، ولا تكون بالعلم عالماً حتى تكون به عاملاً » .

قال أبو حاتم : العاقل لا يشتغل في طلب العلم إلا وقصده العمل به ، لأن
من سعى فيه لغير ما وصفنا ازداد غرماً وتجبراً ، وللعمل تركاً وتضييعاً ، فيكون
فساداً في المتأسين به فيه أكثر من فساده في نفسه ، ويكون مثله كما قال الله تعالى
(١٦ : ٢٥) وَمِن أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، أَلْسَاءٌ مَا يَرَوْنَ

أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدي حدثنا داود بن أحمد حدثنا عبد الرحمن
ابن عفان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « في جهنم أرحية تطحن العلماء
طحنًا ، فقيل : من هؤلاء ؟ قال : قوم علموا فلم يعملوا »

أخبرنا عبد الله بن محمد السعدي حدثنا محمد بن النضر بن مساور حدثنا جعفر

بن سليمان عن مالك بن دينار قال « إذا طلب الرجل العلم ليعمل به سرَّه علمه ،
وإذا طلب العلم لغير أن يعمل به زاده علمه فخرأه »

أخبرنا محمد بن عمرو بن سليمان حدثنا محمد بن رافع حدثنا محمد بن بشر حدثني
سليمة بن الخطاب عن عبد الحميد بن أبي جعفر الفراء قال: قال الحسن « مَنْ أَحَب
الدنيا وسرته ذهب خوف الآخرة من قلبه ، ومن أراد علماً ثم ازداد على الدنيا
حرصاً لم يزد من الله إلا بعداً ، ولم يزد من الله إلا بغضاً »

أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثني أحمد بن إبراهيم الخدثي حدثني إسماعيل
ابن الحارث حدثني محمد بن الحسن المدني حدثنا أبو العوام « أن إبراهيم سمع
صوت هاتف ، وهو يقول :

يا طالب المسلم بائس الورع	وباين النوم ، واهجر الشَّبَعَا
ماضر عبداً صحت إرادته	أجاج يوماً في الله أو شِما
ماضر عبداً صحت عزائمه	أين من الأرض ، أينما صقعا (١)
ما طمعت نفس عابد فنوى	سؤال قوم إلا لم خصما
يا أيها الناس ، ما لعالمكم	في بحر ماء الملوك قد كرعاً (٢)
يا أيها الناس ، أتم زرع	يحصده تلوت كلنا طلعا

أخبرنا ابن سالم حدثنا الحسين بن عبيد الرحمن الاحتياطي حدثنا يحيى بن
اليمان العجلي عن سفيان الثوري قال « العالم طيب الدين ، والدرهم داء الدين ،
فإذا اجتر الطيب الداء إلى نفسه ، فمتى يداوى غيره ؟ »

أنشدني أحمد بن محمد الصنعاني أنشدني محمد بن عبد الله العراقي :

(١) أو « أينما وقع » والصقع : الوقوع على الأرض اليابسة المستحجرة

(٢) كرع من الماء : عب وشرب

عُتُوا يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ شَبَابًا ، فَلَمَّا حَصَلُوهُ وَحَشَرُوا
 وَصَحَّحُوا فَمِنْ إِسْنَادِهِ وَأَصُولِهِ وَصَارُوا شَيْوخًا صَيِّمِيهِمْ وَأَدْبَرُوا
 وَمَالُوا عَلَى الدُّنْيَا ، فَهَمَّ يَحْتَبُونَهَا بِأَخْلَافِهَا مَفْتُوحًا لَا يُصَرَّرُ (١)
 فَيَا عِلْمَاءَ السُّوءِ ، أَيْنَ عَقُولُكُمْ ؟ وَأَيْنَ الْحَدِيثُ الْمُسْنَدُ الْمُتَخَيَّرُ ؟
 أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْهَمْدَانِيُّ - بِصُورَ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَغْلَبِيُّ قَالَ :
 سَمِعْتُ عَمِّي مُحَمَّدَ بْنَ زَيْدٍ قَالَ « كُنْتُ مَعَ ابْنِ الْمُبَارَكِ بِيَنْخَدَادَ ، فَرَأَى إِسْمَاعِيلَ
 ابْنَ عَلِيَّةَ رَاكِبًا بَعْفَةً عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ ، فَانْتَأَى يَقُولُ :

يَا جَاعِلَ الدِّينِ لَهُ يَا زِيَا يَصْطَادُ أَمْوَالَ السُّلْطَانِ
 لَا تَبِعِ الدِّينَ بِدُنْيَا ، كَمَا يَفْعَلُ ضَلَالُ الرَّهَائِينِ
 احْتَلَّتْ لِلدُّنْيَا وَلَدَاتُهَا بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالدِّينِ
 وَصَرَتْ مَجْنُونًا بِهَا بَعْدَمَا كُنْتُ دَوَاءَ الْمَجَانِينِ
 فَتُكْرَمُ النَّاسُ جَمِيعًا بِأَنْ زَلَّ حِمَارُ الْعِلْمِ فِي الطَّيْنِ

أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْحَسَنِ الْبَرْذَعِيُّ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ
 عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ قَالَ « لَأَوَّلِي ابْنُ عَلِيَّةَ صَدَقَاتِ الْإِبِلِ وَالنَّمْرِ بِالْبَصْرَةِ ، كَتَبَ
 إِلَيْهِ ابْنُ الْمُبَارَكِ كِتَابًا ، وَكَتَبَ فِي أَسْفَلِهِ :

يَا جَاعِلَ الدِّينِ لَهُ يَا زِيَا يَصْطَادُ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ
 احْتَلَّتْ لِلدُّنْيَا وَلَدَاتُهَا بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالدِّينِ
 يَا فَاضِحَ الْعِلْمِ وَمَنْ كَانَ ذَا لَبٍّ وَمَنْ عَابَ السُّلْطَانِ (٢)

(١) أخلاف : جمع خلف ، وهو ثدي الشاة ونحوها من كل حالب ، والنصرية :
 جمع اللبن واختزانه في الضرع

(٢) قد وقع هنا إقواء : قال في القاموس : أحمى في الشعر ، خالف في قوافيه برقع
 بيت وجر آخر ، وقتلت تصيدة لهم بلا إقواء ، وأما الإقواء بالنصب فقليل اه وقد
 تكرر في هذا الكتاب ، فينبغي أن يتنبه له

أين رواياتك في سرّها عن ابن عون وابن سيرين؟
وزاد غير أحمد بن عبد الله :

إن قلت : أكرهت ، فماذا كذا زلّ حمار العلم في الطين
فلما قرأ ابن عُلَيَّةَ الكتاب بكي ، ثم كتب جوابه ، وكتب في أسفله :
أفّ لنديا أبت تواتيني إلا بنقضي لها عُرَى ديني
عيني لِحَيْبِي^(١) تدير مقلتها تطلب ما سرّها لترديني

أخبرنا محمد بن علي الصيرفي بالبصرة حدثنا العباس بن الوليد الثرسي حدثنا
وهيب عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن مسعود قال « عليكم بالعلم قبل أن يقبضَ
وقبضه أن يذهب أصحابه ، وإنكم ستجدون أقواما يزعمون أنهم يدعونكم إلى
كتاب الله ، وقد نبذوه وراء ظهورهم ، وعليكم بالعلم ، فإن أحدكم لا يدري متى
يفتقر ، أو يفتر إليه عنده ؟ وعليكم بالعلم ، وإياكم والبدع ، وعليكم بالعتيق »
حدثنا محمد بن زنجوية القشيري حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو قتيبة حدثنا
قرة بن خالد عن عون بن عبد الله قال : قال ابن مسعود « ليس العلم بكثرة
الرواية ، إنما العلم الخشية » .

حدثني إسحاق بن إبراهيم القاضي ، حدثنا الحارث بن مسكين حدثنا ابن
القاسم قال : سمعت مالكا يقول « ليس العلم بكثرة الرواية ، إنما العلم الخشية »
قال أبو حاتم : الواجب على العاقل : مجانية ما يدنس علمه من أسباب هذه
الدنيا ، مع القصد في لزوم العمل بما قدرَ عليه ، ولو استعمال نخة أحاديث من
كل مائتي حديث ، فيكون كأنه قد أدى زكاة العلم ، فمن عجز عن العمل بما جمع
من العلم فلا يجب أن يعجزَ عن حفظه .

وقد أبانا ابن قحطبة حدثنا حسين بن محمد الكوفي قال : سمعت محمد
ابن بشير الخزازي يقول :

أما لو أعي كل ما سمع
ولم استغ غير ما قد جمه
ولكن نفسي إلى كل شيء
وأحضر بالجهل في مجلسي
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت
ومن يك في علمه هكذا
إذا لم تكن حافظاً واعياً
وأشدني محمد بن عبد الله المؤدب :

جامع العلم تراه أبدأ
وتراه حسن الخط إذا
فإذا نقشته عن علمه
في كراريس جواد أحكت
فإذا قلت له : هات لنا
غير ذي حفظ ولكن ذا غلط
كتب الخط بصيراً بالنقط
قال : علمي يا خليلي في السقط
ومخط أي خط أي خط
حك نحييه جميعاً وامتخط

أخبرنا محمد بن يعقوب الخطيب بالأهواز حدثنا حفص بن عمرو الربالي^(١)
حدثنا الحجاج بن نصير حدثنا عبد القدوس قال : سمعت وهب بن منبه يقول :
« من تعلم علماً في حق وسنة لم يذهب الله بعقله أبداً »

(١) شاهد مقنع كقعد : أي رضى يرضع به

(٢) السقط - محررة كما في القاموس : كالجوالق ، أو كالقفة .

(٣) الربالي بالفتح ولام : نسبة إلى ربال اسم جده اه باب الأنساب

حدثنا عبد الله بن قحطبة حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتز بن سليمان قال « كتب إلى أبي ، وأنا بالكوفة : اشتر الصنف ، وأكتب العلم ؛ فإن المال ينفي والعلم يبقى »

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى أنبأنا عبد الله بن المبارك ، قال « كتب حكيم من الحكماء ثلاثين صحيفة حكيم ، فأوحى الله إليه : إنك قد ملأت الأرض نفاقاً ، وإن الله لم يتقبل شيئاً من نفاقك »

قال أبو حاتم : إغناء المرء عمره بكثرة الأسفار ، ومباينة الأهل والأوطان في طلب العلم دون العمل به ، أو الحفظ له ، ليس من شيم العقلاء ، ولا من زى الألباء ، وإن من أجود ما يستعين المرء به على الحفظ : الطبع الجيد ، مع الهمة واجتناب المعاصي ، وأنشدني الأبرش :

نعم عون الفتي الطلّوب لعلم أول بعض العقول صحة طبع
فإذا الطبع فاته بطلّ العالم وصار العناء في غير نعم

سمعت إبراهيم بن نصر العنبري يقول : سمعت علي بن خشرم يقول سمعت وكيعاً يقول « استعينوا على الحفظ بترك المعصية »

قال أبو حاتم : يجب على العاقل أن لا يطلب من العلم إلا أفضله ، لأن الأزدية من العلم آثر عند العاقل من الذكر بالعلم ، والعميرين في الرخاء ، ومنجاة في الشدة ، ومن تعلم ازداد ، كما أن من حاتم ساد ، وفضل العلم^(١) في غير خير مهلكة ، كما أن كثرة الأدب في غير رضوان الله موبقة ، والعاقل لا يسعى في فنونه إلا بما أجدى عليه نفعا في الدارين معاً ، وإذا رزق منه الحظ لا يبخل بالإفادة ، لأن أول بركة العلم الإفادة ، وما رأيت أحداً قط يبخل بالعلم إلا لم ينتفع به ، وكما

(١) أي : الفاضل والزائد من العلم عن الحاجة

لا ينفع بالماء الساكن تحت الأرض ما لم ينبثق ، ولا بالذهب الأحمر ما لم يُستخرج من معدنه ، ولا بالثور الأبيض ما لم يخرج من بخره ، كذلك لا ينفع بالعلم ما دام مكتوناً لا ينشر ولا يفاد .

أبانا أحمد بن مضر الرباطي حدثنا محمد بن سهيل بن عسكر حدثنا أبو صالح الثراء قال : سمعت ابن المبارك يقول « من بخل بالحديث يتلى بإحدى ثلاث : إما أن يموت فيذهب علمه ، أو ينسى ، أو يتلى بالسلطان »

حدثنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا جرير عن يرد عن سليمان ابن موسى قال : قال أبو الدرداء « الناس عالم ومتعلم ، ولا خير فيما بين ذلك »
وانشدني الكريزي :

أفد العلم ، ولا تبخل به وإلى علمك علما فاستفد
استفدما استطعت من علم وكن عاملاً بالعلم والناس أفد
من يقدم بجزء الله به وسيفتي الله عن لم يقد
ليس من ناقس فيه عاجزاً إنما العاجز من لا يجتهد

حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا عمر بن حفص الشيباني حدثنا حماد ابن واقد عن هشام بن حسان عن الحسن قال « لأن يتعلم الرجل باباً من العلم فيعبد به ربه ، فهو خير له من أن لو كانت الدنيا من أوها إلى آخرها له فوضعها في الآخرة »

قال أبو حاتم : قد ذكرت أسباب المتعلمين وأخلاق العلماء بعلمها في كتاب « العالم والمتعلم » ، بما أرجو أن يكون فيه غنية لمن أراد الوقوف على معرفتها ، فأغنى ذلك عن التكرار ؛ لأنها شرطنا في هذا الكتاب الاختصار ، كراهية سلوك التطويل والإشارة إلى قصد نفس التحصيل .

ذکر الحث علی لزوم الصمت وحفظ اللسان

أخبرنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي - ببغداد - حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو الأخص عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » قال أبو حاتم : الواجب على العاقل إذا ذكر للطيبتين - اللتين ذكرتهما قبل إصلاح السريرة ولزوم العلم : أن يبلغ مجهوده حينئذ في حفظ اللسان حتى يستقيم له ، إذ اللسان هو المورد للمره موارد العطب ، والصمت يكسب المحبة والوقار ، ومن حفظ لسانه أراح نفسه ، والرجوع عن الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام ، والصمت منام العقل ، والمنطق يقظته .

حدثنا محمد بن زنجويه حدثنا عبد الأعلى بن حماد ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن لقمان قال « إن من الحكم الصمت ، وقليل قاعله » .
وأشدني الكريزي .

أقلل كلامك واستعد من شره إن البلاء ببعضه مقرون^(١)
واحفظ لسانك ، واحتفظ من غيبه حتى يكون كأنه مسجون
وكل فؤادك باللسان ، وقل له إن الكلام عليك موزون
فزيادته وليك محكما ذا قلة^(٢) في البلاغة في القليل تكون

أخبرنا ابن قتيبة حدثنا جعفر بن نوح حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع قال : سمعت مالك بن أنس يقول « كل شيء ينتفع بفضله^(٣) إلا الكلام فإن فقله يضُرُّ »
أخبرنا القطان حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا مروان بن محمد عن سعيد

(١) عجز هذا البيت من قولهم في مثل « إن البلاء موكل بالمنطق » .

(٢) الفضل هنا : الزيادة

ابن عبد العزيز قال : قال أبو الدرداء « لا خير في الحياة إلا لأحد رجلين :
مُنْصِتٍ وواع ، أو متكلم عالم »

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن لا يغالب الناس على كلامهم ، ولا
يعترض عليهم فيه ؛ لأن الكلام وإن كان في وقته حظوةً جلية فإن الصمت
في وقته مرتبة عالية ، ومن جهل بالصمت عي بالمنطق ^(١) . والإنسان إنما هو
صورة مثلة أو ضاللة مهملة ، لولا اللسان ، والله جل وعز رفع جارحة اللسان على
سائر الجوارح ، فليس منها شيء أعظم أجراً منه إذا أطاع ، ولا أعظم ذنباً منه
إذا جنى .

وأشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي .

لئن كان يحني اللوم ما أنت قائل ولم يك منه النفع فالصمت أسير
فلا تبد قولاً من لسانك لم يرض مواهبة من قبل ذلك التفكر
أخبرنا ابن قتيبة حدثنا هارون بن محمد بن بكار قال : سمعت أبا مسهر ينشد
هذا البيت :

قد أرى كثرة الكلام قبيحا كل قول يشينه الإكثار
أخبرنا محمد بن سعيد القرزاز حدثني محمد بن داود بن سليمان الرملي حدثنا
المسيب بن واضح قال : سمعت بن المبارك يقول :

تماهد لسانك إن اللسان سريع إلى المرء في قتله
وهذا اللسان برید القواد يدلُّ الرجال على عقله
أخبرنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا محمد بن علي الشقيق أنبأنا إبراهيم بن

(١) أي من وصفه الناس بالجهل لصمته كان منطقه عيا

الأشعث قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « شيطان يقسيان القلب : كثرة الكلام ، وكثرة الأكل »

أخبرنا أبو يعلى حدثنا عمرو بن محمد الناقد قال : سمعت يحيى بن اليمان يقول : قال سفيان الثوري « أول العبادة الصمت ، ثم طلب العلم ، ثم العمل به ، ثم حفظه ، ثم نشره »

حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا العتيبي عن علي بن جرير عن أبيه قال : قال الأحنف بن قيس « الصمت أمان من تحريف اللفظ ، وعصمة من زبغ المنطق ، وسلامة من فضول القول ، وهيبة لصاحبه »
قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يلزم الصمت إلى أن يلزمه التكلم ، فما أكثر من ندم إذا نطق ، وأقل من يندم إذا سكت ، وأطول الناس شقاء وأعظمهم بلاء من ابتلى بلسان مطلق ، وفؤاد مطبق .

واللسان فيه عشر خصال يجب على العاقل أن يعرفها ، ويضع كل خصلة منها في موضعها : هو أداة يظهر بها البيان ، وشاهد يخبر عن الضمير ، وناطق يردّ به الجواب ، وحاكم يفصل به الخطاب ، وشافع تدرك به الحاجات ، وواصف تعرف به الأشياء ، وحاصد تذهب الضغينة ، ونازع يجذب المودة ، ومسلّ يذكي القلوب ، ومُعزّ تردّ به الأحران .

ولقد أحسن الذي يقول :

قد كان يعجب قبلك الأخيارا	إن كان يعجبك السكوت فإنه
فلقد ندمت على الكلام مرارا	ولئن ندمت على سكوت مرة
زرع الكلام عداوة وضرارا	إن السكوت سلامة ، ولربما
زادا بذلك خسارة وتبارا ^(١)	وإذا تقرّب خاسر من خاسر

(١) التبار : الهلاك .

أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا كثير بن عبد الله التيمي حدثنا العلاء
ابن سعيد الكندي حدثني أبو حية قال « كنت أماشي إسماعيل بن سهل، وكان
أحد الحكماء، فقال لي : ألا أخبرك ببيت شعر خير لك من عشرة آلاف
درهم ؟ قال : نعم قال : أيما أحب إليك ؟ نفسك أو عشرة آلاف درهم ؟ قال :
قلت : نفسي ، فأنشأ يقول :

انخفض الصوت إن نطقت بليلٍ والتفت بالنهار قبل المقال
قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يكون ناطقاً كعبي وعالماً كجاهل ،
وساكناً كناطق ؛ لأن الكلام لا بد له من الجواب ، والجواب لو جعل له جواب
لم يكن للقول نهاية ، وخرج المرء إلى ما ليس له غاية ، والمتكلم لا يسلم من أن
ينسب إليه ^(١) الصلف والتكلف ، وانصلت لا يليق به إلا الوفاق وحسن السمات .
ولهذا حسن مدى يقول :

حُتِّفَ امرئٌ لسانه في حذِّه أولعبه
بين اللها مقتله رُكِبَ في مركبه ^(٢)

أخبرنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الفلابي حدثنا ابن عائشة حدثنا دريد
ابن مجاشع عن غالب القطان عن مالك بن دينار عن الأحنف بن قيس قال : قال
عمر بن الخطاب « يا أحنف ، من أكثر كلامه أكثر سقطه ، ومن أكثر سقطه قلَّ
حياؤه ، ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه ، ومن قلَّ ورعه مات قلبه »
وأنشدني الأبرش :

ما زلَّ ذرصمت ، وما من مكثر إلا يزلُّ ، وما يُعاب صموتُ
إن كان منطق ناطق من فِضة فالصمتُ دُرٌّ زانه الياقوت

(١) الصلف : الكبر

(٢) اللها : جمع لهاة ، وهي لحمة في سقف الخلق ، أي حنقه وهلاكه في لسانه

وهو بما ينسب إليه صلى الله عليه وسلم « مقتل المرء بين فكبيه »

أَبَانَا ابْن قَتِيْبَةَ حَدَّثَنَا الْمَسِيْبُ بْنُ وَاضِحٍ قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ بَكْرٍ يَقُولُ
« جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ بَابَيْنِ ، وَجَعَلَ لِللِّسَانِ أَرْبَعَةَ : الشَّفَتَيْنِ مَصْرَاعَيْنِ ،
وَالْأَسْنَانَ مَصْرَاعَيْنِ »

أَبَانَا بَكْرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ الطَّاحِيِّ بِالْبَصْرَةِ حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْمِيُّ
أَبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ خَنْسِيسٍ عَنْ وَهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ « أَنْ شَابَا كَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَ
عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَيُحَسِّنُ الْإِسْتِمَاعَ ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَكَلَّمَ ، فَقَطَّاعًا لَهُ
عَمْرٌ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ تَحْضُرُ مَجْلِسَنَا ، وَتُحَسِّنُ الْإِسْتِمَاعَ ، ثُمَّ تَنْصَرِفُ مِنْ قَبْلِ أَنْ
تَتَكَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ الشَّابُّ : إِنِّي أَحْضَرُ فَأَتَوَقَّى وَأَتَّقِي ، وَأَصْمَتُ فَأَسْمُ »

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ! - الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُنْصَفَ أُذُنِيهِ مِنْ
فِيهِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ إِنَّمَا جَعَلَتْ لَهُ أُذُنَانِ وَفَمٌ وَاحِدٌ لِيَسْمَعَ أَكْثَرَ مِمَّا يَقُولُ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا
قَالَ رِيْمًا نَدِمَ ، وَإِنْ لَمْ يَقُلْ لَمْ يَنْدَمْ ، وَهُوَ عَلَى رَدِّ مَا لَمْ يَقُلْ أَقْدَرُ مِنْهُ عَلَى رَدِّ
مَا قَالَهُ ، وَالْكَلِمَةُ إِذَا تَكَلَّمَ بِهَا مَلَكَتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهَا مَلَكَتَهَا ، وَالْعَجَبُ
مَنْ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ إِنْ هِيَ رُفِفَتْ دَبَّحًا ضَرَّتَهُ ، وَإِنْ لَمْ تُرْفَعْ لَمْ تَضُرْ ، كَيْفَ
لَا بَصَمَتْ أَوْ رُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً ! »

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ قُرَيْشٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ السُّهْلِيُّ قَالَ :
أَشَدُّهُ رَجُلٌ مِنْ رِيْبَةِ :

لِعَمْرِكَ مَا شِئَ عَمِلْتَ مَكَانَهُ أَحَقَّ بِسَجْنٍ مِنْ لِسَانٍ مُذَلَّلٍ
عَلَى فَيْكِ مِمَّا لَيْسَ بِعَيْنِكَ شَأْنُهُ يَقُولُ وَثَبِيحٍ مَا اسْتَطَعْتَ فَأَقُولُ
فَرُبَّ كَلَامٍ قَدْ جَرَى مِنْ تُمَارِحِ فَسَاقَ إِلَيْهِ سَهْمٌ حَتْفٍ مَعْجَلٍ
وَاللَّصْتُ خَيْرٌ مِنْ كَلَامٍ بِمَاءِمْ فَكُنْ صَامِتًا تَسْلَمُ ، وَإِنْ قُلْتَ فَاعْدِلْ

أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ بَرْدٍ عَنْ سَلْمَانَ

ابن موسى قال : قال أبو الدرداء « كفى بك ظلماً أن لا تزال مخاصماً ، وكفى بك
آثماً أن لا تزال مमारياً ، وكفى بك كاذباً أن لا تزال محدثاً ، إلا حديثاً في ذات
الله تبارك وتعالى »

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا معروف بن الحسن الكنانى حدثنا كثير
ابن هشام عن عيسى بن إبراهيم عن سعيد بن أبي سعيد عن كعب قال « العافية
عشرة أجزاء ، نعمة منها في الكوت »

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا يحيى
القطان عن شعبة قال « من الناس من عقله بفنائه ، ومنهم من عقله معه ،
ومنهم من لا عقل له ، فأما الذى عقله معه فالذى يبصر ما يخرج منه
قبل أن يتكلم ، وأما الذى عقله بفنائه فالذى يبصر ما يخرج منه بعد أن يتكلم .
ومنهم من لا عقل له ، فحدثت به عبد الرحمن بن مهدى ، بعد ما رجعنا من عند
يحيى ، فقال : هذه صفتنا ، يعنى الذى عقله بفنائه ، واستحسن الكلام ،
وقال : لا ينبغي أن يكون هذا من كلام شعبة ، لعله سمعه من غيره »

وأشدنى البغدادي محمد بن عبد الله بن زنجى

أنت من الصمت آمن الزلل^(١) ومن كثير الكلام فى وجلي
لا تنقل القول ثم كُنْبيعه ياليت ما كنت قلت لم أقل
سمعت محمد بن المسيب يقول : سمعت العباس بن الوليد بن زيد يقول : سمعت
أبي يقول سمعت الأوزاعي يقول « ما بلى أحد فى دينه ببلاء أضر عليه من
طلاق لسانه »

سمعت محمد بن محمود النعماني يقول : سمعت أبا أحمد بن أبي قديد يقول :

(١) الزلل : السقوط ، والوجل : الخوف ، وكلاهما بفتح أوله وثانيه

سمعت العباس بن عبد العظيم يقول : سمعت عارماً يقول : سمعت خالد بن الحارث يقول « الكوت زين للعاقل ، وشين للجاهل »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لو لم يكن في الصمت خصلة تحمد ، إلا تزئينُ العاقل وتشينُ الجاهل به لكان الواجب على المرء أن لا يفارقه الصمت ما وجد إليه سبيلاً ، ومن أحب السلامة من الآثام فليقل ما يقبل منه ، وليقل مما يقبل منه : لأنه لا يجترىء على الكلام الكثير إلا فائق أو مائق^(١) ،

وقد ترك جماعة من أهل العلم حديث أقوام أكثروا الكلام فيما لا يليق بهم . من ذلك ما حدثنا به محمد بن الحسن بن مكرم بالبصرة حدثنا عمرو بن علي حدثنا أمية بن خالد عن سعيد قال : قلت للحكم : مالك لا تكتب عن زاذان ؟ قال : كان كثير الكلام .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لسان العاقل يكون وراء قلبه ، فإذا أراد للقول رجوع إلى القلب ، فإن كان له قال ، وإلا فلا ، والجاهل قلبه في طرف لسانه ، ما أتى على لسانه تكلم به ، وما عقل دينه من لم يحفظ لسانه . واللسان إذا صلح تبين ذلك على الأعضاء ، وإذا فسد فكذلك .

أخبرنا محمد بن عبيد الله بن الجنيد حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله أنبأنا سفيان عن رجل قال « إني لأكذب الكذبة فأعرفها في عملي » أنبأنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم بن إسحاق حدثنا الفضل بن عبد الجبار حدثنا أبو إسحاق الطالقاني عن الوليد بن مسلم قال : قال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير أنه قال « ما صلح منطلق رجل إلا عرف ذلك في سائر عمله » .

(١) الفائق : المتفوق على القدرة على حسن التأتى وانتقاء القول من واسع ما علم . فهذا يقدم على الكلام وانقاً متبناً فيفيد . والمائق : الأحمق السفه الذى لا يهجم أن يلقى بنفسه في كل ورطة ، وأن يزج بنفسه في كل بلية لا خلاص له منها لأنه لا يقدر العواقب ، ولا يفكر في المصائر .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : والمائل لا يتدىء الكلام إلا أن يسأل
ولا يقول إلا لمن يقبل ، ولا يجيب إذا سُئِمَ ، ولا يجازي إذا أُسْعِمَ ؛ لأن
الابتداء بالصمت وإن كان حسناً ، فإن السكوت عند التقيح أحسن منه .
وأشدني المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصاري :

الصمت عند التقيح يسهه صاحبُ صدقٍ لكل مضطحبِ
فأتر الصمتَ ما استطعت ، فقد يُؤثِرُ قولَ الحكيمِ في الكتبِ
لو كان بعضُ الكلامِ من وريق فكان جِلَّ السكوتِ من ذهبِ

أخبرنا بكر بن محمد بن عبد الوهاب القزاز حدثنا إسماعيل بن إبراهيم
أبو بشر حدثنا أبي حدثنا المبارك بن فضالة عن المغيرة بن مسلم المجببي عن أسير
ابن جابر قال « ما رضعت عنزاً قط ، ولو قلت لا أرضعها خفت أن يصير بي
البلاء إلى أن أرضعها ، إن البلاء مؤكث بالقول »
وأشدني الكريزي

استر العينَ ما استطعت بصمت إن في الصمت راحةً للصموتِ
واجعل الصمت إن عيت جواباً رب قول جوابه في السكوتِ

أخبارنا محمد بن المنذر حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور حدثنا عبد الرحمن
ابن مهدي حدثنا سفيان عن يزيد بن حيان عن عيسى بن عتبة قال : سمعت
ابن مسعود يقول « والله الذي لا إله غيره ما شيء أحق بطول سجن من لسان »
قال أبو حاتم رضي الله عنه : المائل يحفظ أحواله من ورود الخلل عليها في
الأوقات ، وإن من أعظم الخلل للفسد لصحة السرائر والمذهب لصلاح الضمائر ؛
لإكثار من الكلام ، وإن أبيع له كثرة النطق ، ولا سبيل للعز إلى رعاية
الصمت إلا بترك ما أبيع له من النطق .

كما أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى حدثنا عبد الله عن

سفيان عن نسير بن دعلوق عن إبراهيم التيمي أخبرني من صحب الربيع بن خَيمَ عشرين عاماً فلم يسمع منه كلمة تعاب .

أبناؤنا الجنيدي حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله أبناؤنا سفيان عن أبي طعمة عن رجل من الحلي قال : أتيت الربيع بن خَيمَ بنعي ^(١) الحسين .

وقالوا : اليوم يحكم مغانة ، فآوّه ومدّتها صوتّه ، ثم قال : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك بالحق فيما كانوا فيه يختلفون .

أبناؤنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا إبراهيم بن عمرو بن حبيب حدثنا الأصمعي قال « بينا أنا أطوف بالبادية إذا أنا بأعرابية تمشي وحدها

على بعير لها ، فقلت : يا أمة الجبار من تطلبين ؟ فقالت : من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، قال : فعلت أنها قد أضلت أصحابها ، فقلت لها : كأنك

قد أضلت أصحابك ؟ قالت : فهمناها سليمان ، وكلاً آتينا حكماً وعلماً ، فقلت لها : يا هذه من أين أنت ؟ قالت : سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد

الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ، فعلت أنها مقدسية ، فقلت لها : كيف لا تشككين ؟ فقالت : ما يلقظ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد ، فقال بعض

أصحابي : ينبغي أن تكون هذه من الخوارج ، فقالت : ولا تنف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كلٌ أولئك كان عنه مسؤولاً ، فبينما نحن نمشيها

إذ رفعت لنا قباب وخيم ، فقالت : وعلامات وبالنجم هم يهتدون ، قال : فلم أفطن لقولها ، فقلت : ما تقولين ؟ فقالت : وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال

يا بشرى هذا غلام ، قلت : بمن أصوت وبمن أدهو ؟ فقالت : يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، يا زكريا إنا نبشرك ، يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ،

قال : فإذا نحن بثلاثة أخوة كاللآلئ ، فقالوا : أمنا ورب الكعبة أضلناها منذ

(١) النعي - جتمع النون وكسر العين - الخبر بالثبوت .

ثلاث ، قالت : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ، فأومأت إلى أحدكم فقالت : فابشروا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة ، فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه ، فقالت : أيها أمرتهم أن يزودونا ، فجاءوا بنخبز وكهك ، فقالت : لا حاجة لنا في ذلك ، فقالت للفتية : من هذه منكم ؟ قالوا : هذه أمنا ماتكلمت منذ أربعين سنة إلا من كتاب الله مخافة الكذب ، فدنوت منها فقالت : يا أمة الله ، أوصني ، فقالت : ما أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ، فقلت أنها شيعية^(١) ، فأنصرفت .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : قد ذكرت ما شاكل هذه الحكايات في كتاب حفظ اللسان فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

فالتواجب على العاقل أن يروض نفسه على ترك ما أيسح له من النطق ، لئلا يقع في المزجورات ، فيكون خذفه في يخرج منه : لأن الكلام إذا كثرت منه أورت صاحبه التلذذ بصد الطاعات ، فإذا لم يوفق العبد لاستعمال اللسان فيما يُجدي عليه نفعه في الآخرة ، كان وجود الإمساك عن السوء أولى به .

وأشدني للتناصر بن بلال الأنصاري :

ولن يهلك الإنسان إلا إذا أتى من الأمر ما لم يرصه نصحاؤه
وأقلل إذا ما قلت قولاً ، فإنه إذا قل قول المرء قل خطأؤه

أبانا محمد بن الحسين بن الخليل حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطواني حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا العلى بن زياد قال قال مؤرق العجلى

(١) إن صحت - فلها مقصد غير ما فهم ، وهي إنما توصيه أن يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يؤذيه أهله ، وهو يبرهم ويحسن إليهم ، ويلفهم رسالة ربه ، رجاء نجاتهم من عذاب الله ، ورجاء سعادتهم في الدنيا والآخرة ، لما كان بينهم وبينه من القربى .

« أمر أنا في طلبه منذ عشر سنين ، واست بتارك طلبه ، قال : وما هو يا أبا المعتز ؟ قال : الصمت عما لا يعنيني . »

أبنا إبراهيم بن نصر الصبزي حدثنا علي بن الأزهر الرازي حدثنا إبراهيم ابن رستم قال : سمعت خارجة يقول « صحبت عبد الله بن عون خمس عشرة سنة فما أظن الملائكة كتبت عليه شيئاً . »

ذكر الحث على لزوم الصدق ومجانبة الكذب

أخبرني أحمد بن محمد بن حبيب الجندي قال : حدثنا حميد بن زنجويه حدثنا محاسن بن المودع حدثنا الأعمش عن أبي سميان قال قال عبد الله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب له أجر ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن الله جل وعلا فضل اللسان على سائر الجوارح ، ورفع درجته ، وأبان فضيلته ، بأن أنطقه من بين سائر الجوارح بتوحيده ، فلا يجب للعاقل أن يعود آله خلقها الله للنطق بتوحيده بالكذب ، بل يجب عليه المداومة برعايته بلزوم الصدق ، وما يعود عليه نفعه في داريه ، لأن اللسان يقتضى ما عود : إن صدقاً فصدقاً ، وإن كذباً فكذباً .

وتقد أحسن الذى يقول :

عود لسانك قول الخير تحفظ به إن اللسان لما عودت معتاد

موكل بتقاضى ما سنت له فاختر لنفسك ، وانظر كيف ترتاد

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا الفضل بن العباس البغدادي حدثنا الهيثم

ابن خارجة حدثنا الهيثم بن عمران قال : سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول :
« كان عبد الملك بن مروان يأمرني أن أَجَنَّبَ بَنِي السَّعْنِ ، وكان يأمرني أن
لا أطعم طعاماً حتى يخرجوا إلى البراز ، وكان يقول : عَلَّمَ بَنِي الصَّدَقِ كَمَا تَعْلَمُهُم
القرآن ، وجنبهم الكذب وإن فيه كذا وكذا يعني القتل »
وأشدني الأبرش :

الكذبُ مُرْدِيكَ ، وإن لم تحفِ والصَّدقُ منجيك على كل حال
فانطق بما شئت تجد غيبه لم تُبْتَحَسْ وزنة متقال^(١)

أخبرنا أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سليم
ابن حيان عن قتادة عن حميد بن عبد الرحمن الحميري أن عمر بن الخطاب قال « إن
أبا بكر قام فينا عام أول ، فقال : إنه لم يقسم بين الناس شيء أفضل من المعافاة
بعد اليقين ، ألا إن الصدق والبر في الجنة ، ألا وإن الكذب والفجور في النار »
أخبرنا أبو خليفة حدثنا أبو الوليد الطيالسي حدثنا عكرمة بن عمار حدثني
حليسة بن علي البهدي قال « كنت مع ابن عمر يوماً في أصول الأركان يوم عرفة ،
و بين يديه رجل من أهل العراق ، فقال له الرجل : يا ابن المنافق ، قال : المنافق ،
— وينحك ! — الذي إذا حدث كذب ، وإذا وعد لم ينجز ، وإذا أوتن لم يؤد » .
سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول : سمعت محمد بن حنف بن أبي الأزهر
يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول « ما من مضعفة أحب إلى الله من لسان
صدوق ، وما من مضعفة أبغض إلى الله من لسان كذوب »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : كل شيء يستعمار ليتجمل به سهل وجوده ،
خلا اللسان ، فإنه لا ينبي إلا عما عود ، والصدق ينجي ، والكذب يردي ،

(١) غيب الشيء : عاقبه ، ولم تبتحس : معناه لم تنقص .

ومن غلبَ لسانه أمره قومه ، ومن أكثر الكذب لم يترك لنفسه شيئاً يصدق به ، ولا يكذب إلا من هانت عليه نفسه .

حدثنا أحمد بن محمد بن زنجويه حدثنا جعفر بن أبي عثمان الطيالسي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا أنس بن عياض عن صالح بن حسان عن محمد بن كعب القرظي قال « إنما يكذب الكاذب من مهانة نفسه » وأنشدني الكريزي .

كذبت ، ومن يكذب فإن جزاءه إذا ما أتى بالصدق أن لا يُصدقاً
إذا عرف الكذاب بالكذب لم يزل لدى الناس كذاباً ، وإن كان صادقاً
ومن آفة الكذاب نسيان كذبه وتلقاهُ ذا فقه إذا كان حاذقاً

قال أبو حاتم : لو لم يكن للكذب من الشين إلا إزاله صاحبه بحيث إن صدق لم يُصدق ، لكان الواجب على الخلق كافة لزوم التثبت بالصدق الدائم ، وإن من آفة الكذب أن يكون صاحبه نسياً ، فإذا كان كذلك كان كالمنادى على نفسه بالخزي في كل لحظة وطرفة .

سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول سمعت نصر بن علي الجهضمي يقول : « إن الله أعانا على الكذابين بالنسيان » وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

إذا ما المرء أخطأه ثلاث فبعه ، ولو بكفٍ من رَماد
سلامة صدره ، والصدق منه ، وكتان السرائر في الفؤاد

أنبأنا بكر بن أحمد الطاحي بالبصرة حدثنا إبراهيم بن عزة حدثنا سفيان ابن عيينة عن معمر قال قال الزهري « لو رأيت طاووساً لعلمت أنه لا يكذب »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : اللسان سبغ عقور ، إن ضبطه صاحبه سلم ، وإن خلى عنه عقرة ، وبغمه يفتضح الكذوب ، فالماقل لا يشتغل بالخوض فيما لا يعلم فيتهم فيما يعلم ، لأن رأس الذنوب الكذب ، وهو يبدى الفضائح ويكتم

المحاسن ، ولا يجب على المرء إذا سمع شيئاً يعيبه أن يحدث به لأن من حدث عن كل شيء أزرى برأيه ، وأفسد صدقه .

ولقد أنبأنا أبو خليفة حدثنا ابن كثير أنبأنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن الأحمس عن عبد الله قال « حَسْبُ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْكُذْبِ أَنْ يَحْدُثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » .

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا حبان بن موسى ، أنبأنا عبد الله أنبأنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد قال قال عيسى بن مريم عليه السلام « طَوَيْتُ لِمَنْ خَوَّنَ لِسَانَهُ ، وَوَسَّعَتْهُ يَدُهُ ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ »
أنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

وإذا الأمور تراوجت فالصدق أكرمها نكاحاً
الصدق يستعد فوق رأ من خفيفه بالصدق تاجاً
والصدق يقدح زنده في كل ناحية سراجاً

أنبأنا القطان بالرقه حدثنا نوح بن حبيب حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن منصور عن ربيعي قالوا « من ذكرت يا أبا سفيان ؟ قال : ذكرت ربيعا ، وتدررون من كان ربيعي ؟ كان رجلا من أشجع ، زعم قومه أنه لم يكذب قط ، فسي به ساع إلى الحجاج ، فقال : ها هنا رجل من أشجع ، زعم قومه أنه لم يكذب قط ، وإنه يكذب لك اليوم ، فإنك ضربت على ابنته البعث قعصيا ، وهما في البيت ، وكان عمرة الحجاج للعاصي ضرب السيف ، قال : فدعاه ، فإذا شيخ منعم ، فقال له : أنت ربيعي ؟ قال : نعم ، قال : ما فعل ابناك ؟ قال : ها هما ذان في البيت . قال : غمله وكساه وأوصى به خيراً »

أنبأنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا عبيد الله بن محمد التميمي عن أبيه قال « كان عمر بن الخطاب يمتي ، فطش ، فأتتهي إلى عجوز ، فاستقها ماء .

فقلت : ما عندنا ، فقال : لبنا ، فقلت : ما عندنا ، فبدرت جارية فقالت لها :
تكذبين ، وما تستحين ؟ ثم قالت لعمر : هذا السقاء فيه لبن ، فسأل عمر عن
الجارية فإذا أبوها تقي فخطبها على عاصم بن عمر ، فزوجها منه ، فولد له منها
أم عاصم ، فزوجها عبد العزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز بن
مروان ، رحمة الله عليه ! » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الصدق يرفع المرء في الدارين ، كما أن الكذب
يهوى به في الحالين ، ولو لم يكن للصدق خصلة تحمد إلا أن المرء إذا عرف به
قيل كذبه ، وصار صدقا عند من يسمعه - لسكان الواجب علي العاقل أن يبلغ
مجهوده في رياضة لسانه ، حتى يستقيم له على الصدق ومجانبة الكذب ، والعنى
في بعض الأوقات خير من النطق ؛ لأن كل كلام أخطأ صاحبه موضعه فالعنى
خير منه

أنشدني المنتصر بن بلال :

تحدث بصدق إن تحدثت ، وليكن لكل حديث من حديثك حين
فما القول إلا كالثياب ، فبعضها عليك ، وبعض في الثخوت مصون^(١)
وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

كم من حبيب كريم كان ذا شرف
قد شانه الكذب وسط الحى إن عمدا
وآخر ، كان صعلوكا ، فشرفه
صدق الحديث وقول جانب القندا
فصار هذا شريفا فوق صاحبه
وصار هذا وضيعا تحت أبدأ

(١) الثخوت : جمع تحت ، وهو كل ما يحفظ فيه الثياب

أبانا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير ، أبانا سفيان الثوري عن حبيب بن
أبي ثابت ، عن ميمون بن أبي شبيب ، قال : قال عمر « لا يجد عبد حقيقة الإيمان
حتى يدع المراء وهو محق ، ويدع الكذب في المزاج وهو يرى أنه لو شاء
لغلب »

أبانا ابن سعيد القزاز ، حدثني يوسف بن سعيد بن مسلم حدثنا علي بن بكار
عن يونس بن عبيد ، عن حميد بن هلال ، عن عبد الله بن عمرو قال « دَرُّ
عالمت منه في شيء ، ولا تنطق فيما لا يعينك ، وأخرن لسانك كما تخزن دراهمك »

وأحدثني محمد بن المنذر بن سعيد الهروي :

القول كالسبن المحلوب ، ليس له ردٌّ وكيف يردُّ الخالب اللبنا
في ضربه ، وكذلك القول ليس له في الجوف ردٌّ قبيحا كان أو حسنا
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل ترك الإغضاء عن تعهد
اللسان ؛ لأن من كثر كلامه كثرت سقطه ، والسقط ربما تمدى غيره فيهلكه في
ورطة لا حيلة له في التخلص منها ، لأن اللسان لا يندمل جرحه ، ولا يلتئم ما قطع
به ، وكلم القول إذا وصل إلى القلب لم ينزع إلا بعد مدة طويلة ، ولم يستخرج
إلا بعد حيلة شديدة ، ومن الناس من لا يكرم إلا لسانه ، ولا يهان إلا به ؛
فالواجب على العاقل أن لا يكون ممن يهان به .

أبانا عبد الله بن محمد الأنماطي الهمداني ، حدثنا محمد بن عمير ، حدثنا
عبد الله بن الحسين العقيلي ، حدثنا أبو سلمة الخزازي ، حدثنا شبيب بن شبة ،
قال : سمعت ابن سيرين يقول « الكلام أوسع من أن يكذب فيه ظريف »

ذكر الحث على لزوم الحياء وترك القحة^(١)

أبانا الفضيل بن الحباب الجعفي ، حدثنا القمعي عن شعبة ، عن منصور ،

(١) القحة - بكسر القاف وفتحها - مصدر قولهم: وقع الرجل - بالضم - إذا قل جياؤه

عن ربيع ، عن ابن مسعود : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحي فاصنع ما شئت »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الحياء لأنه أصل العقل وبذر الخير ، وتركه أصل الجهل وبذر الشر ، والحياء يدل على العقل كما أن عدمه دال على الجهل ، ومن لم ينصف الناس منه حياؤه ، لم ينصفه منهم قبحته ، ولقد أحسن الذى يقول :

وليس بمنسوب إلى العلم والشهى فتى لا تُرى فيه خلانق أربع
فواحدة : تقوى الإله التى بها يُنال جسيم الخير والفضل أجمع
وثانية : صدق الحياء فإنه طباع عليه ذو المروءة يطبع
وثالثة : حلم إذا الجهل أطلعت إليه خبايا من فجور تسرع
ورابعة : جود بملك يمينه إذا نابه الحق الذى ليس يدفع
وأشدنى محمد بن عبد الله البغدادي :

إذا قلّ ماء الوجه قلّ حياؤه فلا خير في وجه إذا قلّ ماؤه
حياءك فاحفظه عليك ، فانما يدل على وجه الكريم حياؤه

أنا أبو خليفة حدثنا ابن كثير حدثنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال « الأم شيء في المؤمن الفحش » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحياء اسم يشتمل على مجازية المكروه من الخصال والحياء حيآن : أحدهما : استحياء العبد من الله جل وعلا عند الاهتمام^(١) بمباشرة ما حظر عليه .

والثاني : استحياؤه من المخلوقين عند الدخول فيما يكرهون من القول والفعل معاً .

(١) الاهتمام : أراد به الهم بالشئ والعزم على فعله

والحياء أن جميعاً محمودان ، إلا أن أحدهما فرضٌ والآخر فضل ، فلزوم الحياء عند مجانبة ما نهى الله عنه فرض ، ولزوم الحياء عند مقارفة ما كره الناس فضل .
وأشدني محمد بن المنذر بن سعيد عن محمد بن خلف التيمي قال : أشدني رجل من خراعة :

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ، ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحميا بخير ويبقى العود ما بق الحياء

حدثنا إسحاق بن إبراهيم القاضي حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث بن سعد عن عقيل عن الزهري : أن أبا بكر الصديق قال يوماً وهو يخاطب « أيها الناس ، استحموا من الله ، فوالله ما خرجت لحاجة منذ بايعت رسول الله صلى الله وسلم أريد الفائط إلا وأنا مُقَنَّع رأسي حياء من الله » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحياء من الإيمان ، وللمؤمن في الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجافي في النار ، إلا أن يفضل الله عليه برحمته فيخلصه منه .
فإذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة ، كما أن الوقوع إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدوماً ، وتواتر الشر منه موجوداً ؛ لأن الحياء هو الخائل بين المرء وبين اللزجورات كلها ، فبقوة الحياء يضمن ارتكابه إيها ، وبضعف الحياء تقوى مباشرته إيها .

ولقد أحسن الذي يقول :

ورب قبيحةٍ ما حال بيني وبين ركوبها إلا الحياء
فكان هو الدواء لها ، ولكن ، إذا ذهب الحياء فلا دواء
وأبناؤنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا عمر بن شبة حدثنا عبد الأعلى .

ابن عبد الأعلى حدثنا هشام عن محمد عن كثير بن أفلح عن زيد بن ثابت قال :
« من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يعود نفسه لزوم الحياء
من الناس ، وإن من أعظم بركته تعويد النفس ركوب الخصال الحمودة
ومجانبتها الخلال المذمومة ، كما أن من أعظم بركة الحياء من الله الفوز من النار
بلزوم الحياء عند مجانبته ما نهى الله عنه ؛ لأن ابن آدم مطبوع على الكرم
واللؤم معافى المعاملة بينه وبين الله والمِشْرة بينه وبين المخلوقين ، وإذا قوى
حياؤه قوى كرمه ، وضعف لؤمه ، وإذا ضعف حياؤه قوى لؤمه ، وضعف
كرمه ، ولقد أنشدنى علي بن محمد البسامى :

إذا رُزِقَ الفَتَى وَجْهًا وَقَاحًا تَقَبَّ في الأمور كما يشاء
ولم يَكْ لِلدَّوَاءِ وَلَا لشيءٍ يعالجه به فيه عَنَاءُ
فمالك في معاتبته الذي لا حياء لوجهه إلا العناء

قال أبو حاتم : إن المرء إذا اشتد حياؤه صان عِرضه ، ودفن مساويه ،
ونشر محاسنه ، ومن ذهب حياؤه ذهب سروره ، ومن ذهب سروره هان على
الناس ومِيتَ ، ومن مُتَّ أودى ، ومن أودى حزين ، ومن حزين فقد عقله ،
ومن أصيب في عقله كان أكثرُ قوله عليه لاله ، ولا دواء لمن لا حياء له ،
ولا حياء لمن لا وفاء له ، ولا وفاء لمن لا إخاء له ، ومن قل حياؤه صنع ما شاء
وقال ما أحب .

وأُشْدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا لم تَصُنْ عِرضاً ولم تخش خالقاً وتستحي مخلوقاً فاشتت فاصنع
إذا كنت تأتي المرء تُعْظِمُ حَمَّهُ ويجهل منك الحق فالصرم أوسع

أبنا محمد بن سعيد القزاز حدثني عبد الله بن مسعود الثعلبي باليمن حدثنا
أحمد بن زيد بن السكن الجندی عن سفیان بن عینة قال : قال يحيى بن جعدة
« إذا رأيت الرجل قليل الحياء فاعلم أنه مدخول في نبيه »

ذكر الحث على لزوم التواضع ومجانبة التكبر

أبنا أبو خليفة حدثنا موسى بن إسماعيل التبوذكي حدثنا إسماعيل بن جعفر
عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « ما نقصت صدقة من مال ، ولا زاد الله عبداً بغوا إلا عزاً
ولا تواضع أحدثه إلا رفه الله » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم التواضع ومجانبة
التكبر ، ولو لم يكن في التواضع خصلة تحمد إلا أن المرء كلما أكثر تواضعه أزداد
بذلك رقةً فكان الواجب عليه أن لا يتزيراً بغيره .

والتواضع تواضعان : أحدهما محمود ، والآخر مذموم . والتواضع المحمود :
ترك التصاول على عباد الله ، والإذراء بهم . والتواضع المذموم : هو تواضع المرء
لذی الدنيا رغبة في دنياه .

فالعاقل يلزم مفارقة التواضع المذموم على الأحوال كلها ، ولا يفارق التواضع
المحمود على الجهات كلها .

ولقد أبنا الحسن بن سفیان ، حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن
مجلان عن بكير بن عبد الله ، عن عبيد الله بن عدي أن عمر بن الخطاب قال « إن
الرجل إذا تواضع لله رفع الله حكمته »^(١) وقال : امتسح نمشك الله ، فهو في

(١) الحكمة - فتحات - حديدية في اللجام تكون على أنف الفرس وحكمة تمنعه عن
مخالفة راکبه ، ومنه حديث عمر « إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكته » ورفعها
كتابة عن الإعراز ، لأن من صفة الدليل تنكيس رأسه

نفسه صغير ، وفي أعين الناس كبير ، وإذا تكبر العبد وعدا طوره وهصه الله إلى الأرض ، وقال : أخسأ ! أخسأك الله ، فهو في نفسه كبير ، وفي أعين الناس صغير . قال أبو حاتم رضى الله عنه : التواضع يرفع المرء قدراً ، ويعظم له خطراً ، ويزيده نبلاً .

والتواضع لله جل وعز على ضربين :

أحدهما : تواضع العبد لربه عند ما يأتي من الطاعات غير معجب بفعله ، ولا راء له عنده حالة يوجب بها أسباب الولاية ، إلا أن يكون المولى جل وعز هو الذى يتفضل عليه بذلك ، وهذا التواضع هو السبب الدافع لنفس العُجْب عن الطاعات والتواضع الآخر هو ازدراء المرء نفسه واستحقاره إياها عند ذكره ما قارف من المآثم حتى لا يرى أحدا من العالم إلا ويرى نفسه دونه في الطاعات وفوقه في الجنایات .

كما أتينا أحد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ببغداد ، حدثنا يحيى بن معين . حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المزني قال : قال أبي « يا بني لو لم أحضر الموسم لرجوت أن يغفر لهم » .

أتينا عبد الرحمن بن يحيى بن معاذ البرازي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا ابن سميع ، حدثنا زهير بن محمد عن ابن جريح عن مجاهد في قوله (كانوا لنا خاشعين) قال « متواضعين »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم مجانبة التكبر ، لما فيه من الخصال الذمومة

إحداها : أنه لا يتكبر على أحد حتى يعجب بنفسه ، ويرى لها على غيرها الفضل

والثانية : ازدراؤه بالعالم ، لأن من لم يستحقر الناس لم يتكبر عليهم ، وكفى بالمستحقر من أكرمه الله بالإيمان طعيانا .

والثالثة : منازعة الله جل وعلا في صفاته ، إذ الكبرياء والعظمة من صفات الله جل وعلا ؛ فمن نازعه إحداهما ألقاه في النار ، إلا أن يتفضل عليه بفضوه .

ولقد أحسن الذي يقول :

التيهُ مفسدة للدين ، منقصة للعقل ، مهتكة للعرض ، فانتبه
لا أشترهنَّ ؛ فإن الذل في الشره والعز في الحلم لا في البطش والسفه

سمعت محمد بن محمود النسائي يقول : سمعت أبا داود السنجي يقول : سمعت الأصمعي يقول : سمعت يحيى بن خالد البرمكي يقول « الشريف إذا تقرأ ^(١) تواضع ، والدنيء إذا تقرأ تكبر »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يمتنع من التواضع أحد ، والتواضع يكسب السلامة ، ويورث الألفة ، ويرفع الخقد ، ويذهب الصد ، وثمره التواضع المحبة ، كما أن ثمرة القناعة الراحة ، وإن تواضع الشريف يزيد في شرفه ، كما أن تكبر الوضيع يزيد في ضيعته ، وكيف لا يتواضع من خلق من نطفة مذبذبة ، وآخره يعود جيفة فذرة ، وهو بينهما يحمل العذرة ؟

سمعت أبا يعلى يقول : سمعت إسحاق بن أبي إسرائيل يقول : سمعت ابن عيينة يقول : لو قيل أخرجوا خيار هذه القرية لأخرجوا من لانعرف .

وأشدنى الكريزى :

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعا فكم تحتها قوم ثم منك أرفع
فإن كنت في عز وخير ومنعة فكم مات من قوم هم منك أمتع ؟

(١) تقرأ : تنسك

أنشدنا أبو عمرو أبو ابن قتيبة ، أنشدنا المسيب بن واضح عن يوسف بن أسباط :
وكفى بلمتس للتواضع رفعةً وكفى بلمتس العلو سَفَلاً
أبانا ابن خزيمة ، حدثنا محمد بن هشام المروزي ، حدثنا حفص بن غياث
عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال « حج الحسين بن علي عشر حجج ماشياً
وَنُجِبَهُ ^(١) تقاد إلى جنبه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : أفضل الناس مَنْ تواضع عن رفعة ، وزهد عن
قدرة ، وأنصف عن قوة ، ولا يترك المرء التواضع إلا عند استحكام التكبر ، فلا
يتكبر على الناس أحد إلا بإعجابه بنفسه ، وعجب المرء بنفسه أحد حساد عقله ،
وما رأيت أحداً تكبر على مَنْ دونه إلا ابتلاه الله بالذلة لمن فوقه .

وأنشدني محمد بن أبي علي الخلابي :

ودع التيه والعبوس على الناس فإن العبوس رأس الحماقة
كلما شئت أن تعادى عادياً ست صديقاً وقد تفر الصداقه

قال أبو حاتم رضي الله عنه : ما استجلبت البغضة بمثل التكبر ، ولا اكتسبت
الحبة بمثل التواضع ، ومن استطال على الإخوان فلا يثقن منهم بالصفاء ، ولا
يجب لصاحب الكبر أن يطمع في حسن الثناء ، ولا تكاد ترى ثائها إلا وضيعاً
فالعاقل إذا رأى من هو أكبر سنّاً منه تواضع له ، وقال : سبقني إلى
الإسلام ، وإذا رأى من هو أصغر سنّاً تواضع له ، وقال : سبقته بالذنوب ، وإذا
رأى من هو مثله عده أخاً ، فكيف يحسن تكبر المرء على أخيه ، ولا يجب استحقار
أحد ، لأن العود المنبوذ ربما انتفع به فحكّ الرجل به أذنه .

أخبرنا محمد بن المسيب بن إسحاق ، حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد ،

(١) نجب - بضم النون والجيم - جمع نجيب ، وهو الجمل

قال : سمعت محمد بن شعيب بن شابور يقول « دخل رجل الحمام وزيد بن أبي حبيب فيه ، وكان أسود ، فقال له : يا أسود قم فاغسل رأسى ، قال : قمام قشد عليه إزاره ففسل رأسه ، وذلك جسده ، فلما فرغ قال له الرجل : كثر الله في السودان مثلك ، قال : أحسبت أن يكثر من يخدمك »

أبنا محمد بن زنجويه القشيري ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله اللدائني ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال « لو بغى جبل على جبل لذلك الله الباغى منهما . »

أبنا الحسن بن سفيان ، حدثنا نصر بن علي ، حدثنا نوح بن قيس عن أخيه عن قتادة قال : « مانسبت شيئاً قط » ثم قال لعلامة « ناولنى نعلى ، قال : نعلك في رجلك »^(١)

أبنا عبد الله بن محمد بن عمر ، أبنا علي بن حشرم ، قال : سمعت الفضل بن موسى يقول « كان مالك ينسى ، فقال قهرمانه^(٢) : اشترى غلاماً وسمه باسم خفيف حتى لا أنساه ، قال : فاشتري له غلاماً ، وأدخله عليه ، فقال : اشتريت لك هذا الغلام ، وسميته باسم خفيف ، قال : ما سميته ؟ قال : فرقد ، قال : فنظر إلى الغلام ، وقال : اجلس يا واقد »

ذكر استعجاب التعجب إلى الناس من غير مقارفة المأثم^(٣)

أبنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار ببغداد ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عمرو ، عن موسى بن عقبة ، عن عبد الله بن عمرو

(١) العبرة في هذا : أنه أنسى ما لا يصح أن ينسى ، فكان دليلاً على فساد دعواه

(٢) القهرمان : الخادم . ومالك : هو ابن أنس إمام دار الهجرة

(٣) أى مع التحفظ والحنو أن يدنو مما فيه إثم وخطيئة تغضب الله

الأزدى ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يحرم على النار كل هين بين قريب سهل »^(١)

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يتجنب إلى الناس بلزوم حسن الخلق ، وترك سوء الخلق ؛ لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا ، كما تذيب الشمس الحديد ، وإن الخلق السيء يفسد العمل ، كما يفسد الخل العسل ، وقد تكون في الرجل أخلاق كثيرة صالحة كلها ، وخلق سيء ، فيفسد الخلق السيء الأخلاق الصالحة كلها . وأنشدني البغدادي :

خالق الناس بخلق حسن لا تكن كلباً على الناس يهراً
وأنتهم منك يبشر ، ثم صن عنهم عرضك عن كل قدر

أبانا حامد بن شعيب البلخي ببغداد ، حدثنا سريج بن يونس ، حدثنا سفيان عن إبراهيم عن ميسرة عن طاوس قال : سمعت ابن عباس يقول « إن الرحم تُقَطَّع ، وإن النعم تُكْفَر ، ولم أرَ مثل تقارب القلوب » .

أبانا الخلابي ، حدثنا محمد بن المغيرة النوفلي ، ثنا عبد العزيز بن منيب حدثنا إبراهيم بن الأشعث ، قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « إذا خالطت خالط حسن الخلق ، فإنه لا يدعو إلا إلى خير ، وصاحبه منه في راحة ، ولا تخالط سيئ الخلق فإنه لا يدعو إلا إلى شر ، وصاحبه منه في عناء ، ولأن بصحبي فاجر حسن الخلق أحب إلى من أن بصحبي قارىء سيء الخلق ، إن الفاسق إذا كان حسن الخلق عاش بعقله وخف على الناس وأحبوه ، وإن العابد إذا كان سيء الخلق ثقل على الناس ومقتوه » .

(١) هين : ليس نافرأ مستصياً ، لين الجانب ليس خشنا ، قريب الخلق ليس شكماً

وأشدني محمد بن المهاجر المعدل ، أشدني محمد بن إبراهيم اليمصري :
حافظ على الخلق الجميل ومُرّ به ما بالجميل وبالقيح خفاء
إن ضاق مالك عن صديقك فالقه بالبر منك إذا يحين لقاء
أبانا الحسين بن إسحاق الأصبهاني ، حدثنا يحيى بن حكيم القومى ، حدثنا
الخليل بن عبد العزيز ، قال : سمعت حماد بن سلمة يقول « الصوم في البستان من
التقل » (١)

قال أبو حاتم رضى الله عنه : حسن الخلق بذر اكتساب المحبة ، كما أن سوء
الخلق بذر استجلاب البينة ، ومن حسن خلقه صان عرضه ، ومن ساء خلقه
حتك عرضه ؛ لأن سوء الخلق يورث الضغائن ، والضغائن إذا تمكنت في القلوب
أورثت العداوة ، والعداوة إذا ظهرت من غير صاحب الدين أهوت صاحبها إلى
النار ، إلا أن يتداركه المولى بتفضل منه وعضو .

أبانا محمد بن المنذر ، حدثنا أبو حاتم الرازى ، حدثنا أبو عمير النخاس ،
حدثنا ضمرة ، عن رجاء بن أبي سلمة عن الزهري قال : « وهل يُنتفع من السيئ
«خلق بشيء ؟ »

وأشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

للخير أهل لاترا ل وجوهم تدعو إليه
طوبى لمن جرت الأمور ر الصالحات على يديه
ما لم يضق خلق الفتى فالأرض واسعة عليه

أبانا أبو يعلى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا مهدي بن ميمون ،

(١) أى صوم التنقل مع وجود الرقعة الدين خرجوا فلزهة والتفرج في بستان

كثير الفاكهة التي قلما ينالها طلاب العلم ، فمن صام كذلك كان منتظما

عن موسى بن عبيد ، عن ميمون بن مهران قال « التوؤد إلى الناس نصف العقل ، وحسن المسألة نصف العلم واقتصادك في معيشتك يُنقى عنك نصف المؤونة »
 قال أبو حاتم رضى الله عنه : التحبب إلى الناس أسهل ما يكون وجها ، وأظهر ما يكون بشرا ، وأخصر ما يكون أمرا ، وأرقق ما يكون نهيا ، وأحسن ما يكون خلقا ، وألين ما يكون كفا ، وأوسع ما يكون يدا ، وأدفع ما يكون أذى ، وأعظم ما يكون احتمالا ؛ فإذا كان المرء بهذا النعت لا يجزن من يحبه ولا يفرح من يحسده ؛ لأن من جعل رضاه تبعا لرضا الناس ^(١) ، وعاشرهم من حيث هم استحق الكمال بالسؤدد . وأنشدني علي بن محمد البسامي :

عاشر معشري في كل أمرٍ بأحسن ما أريت وما رأيت
 واجتنب المقامح حيث كانت وأترك ما هويت وما قرئت ^(٢)

قال أبو حاتم رضى الله عنه : حاجة المرء إلى الناس مع محبتهم إياه خير من غناه عنهم مع بغضهم إياه ، والسبب الداعى إلى صدّ محبتهم له : هو التضايق في الأخلاق ، وسوء الخلق ؛ لأن من ضاق خلقه ستمه أهله وجيرانه ، واستنقله إخوانه ، فحينئذ تمنوا الخلاص منه ، ودعوا بالهلاك عليه .

سمعت عمر بن سعيد بن سنان الطائى يقول : سمعت أبا الحسن الرهاوى يقول : سمعت يزيد بن هارون يقول :

فقدت ثقال الناس في كل بلدةٍ فياربٍ لا تغفر لكل ثقیل

(١) على شرط أن لا يرضيهم بما يغضب الله ، ويعنى بذلك أن يكون موطأ الكنف يالف ويؤلف .

(٢) وما قرئت : أى ما أتيت من الأعمال العجيبة . يقال « فلان يفرى القرا » إذا كان يأتي بالجب . اه من لسان العرب

أنيابنا أحمد بن محمد بن الحسن البلخي حدثنا محمد بن إدريس الحافظ حدثنا
محمد بن عبيد الله بن إسرائيل قال : سمعت عمرو بن الحارث يقول : تسخين
العين النظر إلى من نكره^(١)

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الاستئصال من الناس يكون سببه شيئين :
أحدهما : مقارفة المرء ما بهي الله عنه من الآثام ؛ لأن من تعدى حرمان الله
أبغضه الله ، ومن أبغضه الله أبغضته الملائكة ، ثم يوضع له البغض في الأرض ،
فلا يكاد يراه أحد إلا استقله وأبغضه .

والسبب الآخر هو استعمال المرء من الطغصال ما يكره الناس منه ، فإذا
كان كذلك استحق الاستئصال منهم . وأشدني الكريزي :

ليتني كنت ساعة ملك الموت ، فأفنى الثقال حتى يبيدوا
ولو أني وأنت في جنة الخلد لقلت : انخرج منها أريد
لدخول الجحيم أهون من جنة خلد ، أراك فيها تروء

أنيابنا عمر بن حفص البزاز يجندي يابور حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا
أبو مسهر حدثنا هشام بن يحيى قال « كان نقش خاتم أيك - يعني أبا أبي مسهر -
أبرمت^(٢) قم ، قال : فكان إذا جلس إليه الرجل فتأقل حرك خاتمه ، وقال :
اقرأ نقش خاتمي ، وكان إذا قرأ قام »

أنيابنا أحمد بن محمد بن الحسن حدثنا محمد بن إدريس حدثنا موسى بن
إسماعيل حدثنا موسى بن رباح قال : سمعت مخلداً أبا أبي عاصم يقول : إذا
أبغضت الرجل أبغضت شقي الذي يليه .

(١) من قولهم « أسخن الله عينه » أي أحزنه . كما قالوا « أقر الله عينه » إذا
دهوا بأن يبره الله ويفرحه .

(٢) تقول : أبرم الرجل إراما : أي أضجره وأمله وأسأمه .

سمعت محمد بن السرى البغدادي يقول : سمعتُ أبا بكر المروزي يقول :
سألت أحمد بن حنبل عن الثقلاء ، فقال : سألت عنهم بشراً الحافي ، فقال :
النظر إليهم سُخْنَةٌ العين ، قلت لأحد : من الثقلاء ؟ قال : أهل البدع .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الذى قال أحمد بن حنبل رحمة الله عليه
هو استئصال الخالص : إذا عرفَ أحدهم من بعض الناس تُلَمّاً في السنة^(١) أبغضه
على بدعته ، فأما العام^(٢) فلا يكادون يصادون ويوالون إلا على المحبوب من
الخصال ، والمكروه من الفعال ، ألا ترى المقتنع الكندي حيث يقول لبعض
من صحبه :

ألا يامرُ كَبَّ المقت الذى أرسى ، فلا يبرخ
ويامن سكرات الموات من طلعت أرواح^(٣)
لقد صوّرت في فكرى فلا أدري لما تصلح ؟
فلا تصلح أن تهجى ولا تصلح أن تمدح
بلى ، تصلح أن تُقتل أو تصلب أو تُذبح

سمعت أحمد بن محمد البلخي الذهبي يقول : قال محمد بن أبي الورد قال يحيى
ابن ماسويه : النظر إلى الثقل حُمى تعترى بين الجلدين .

حدثنا أحمد بن عمر بن يزيد يقول : سمعت سلمة بن شبيب يقول : سمعت
أبا أسامة يقول : اثنتونى بمسْتَمَلٍ خفيف على القواد ، إياى والثقلاء ، إياى والثقلاء
أبانا أحمد بن محمد بن الحسن حدثنا عباس بن أبي طالب حدثنا إبراهيم

(١) التلثة : فرجة المكسور والمهدوم ، ويسمى به التجافى عن السنة

(٢) أى العامة والجمهور من الناس

(٣) من الراحة ، أى أكثر راحة

ابن المنذر حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن ابن سيرين قال : سمعت رجلا من أهل البادية يقول : نظرت إلى ثقيل مرة ، ففُشى عليّ

وأنشدني المنتصر بن بلال :

وأنت على مودتنا حريص ولكن لا تخف على الفؤاد
وأنتل من رجا يزر علينا^(١) كأنك من بقايا قوم عاد

حدثنا إبراهيم بن مضر بن عدير حدثنا يوسف بن عيسى حدثنا وكيع حدثنا أبو سهل عن إبراهيم بن بكير قال : كان أبو هريرة إذا استقل جليسا له قال « اللهم اغفر لنا وله ، وأرحنا منه في عافية »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل مجانبة الخصال التي تورثه استئصال الناس إياه ، وملازمة الخصال التي تؤديه إلى محبتهم إياه .

ومن أعظم ما يتوسل به إلى الناس ، ويستجلب به محبتهم : البذل لهم مما يملك المرء من خُطام هذه الدنيا ، واحتماله عنهم ما يكون منهم من الأذى ، فلو أن المرء صحبه طائفتان : إحداهما تحبه ، والأخرى تبغضه ، فأحسن إلى التي تبغضه ، وأساء إلى التي تحبه ، ثم أصابته نكبة فاحتاج إليهما ، لكان أسرعها إلى خذلانه وأبعدهما عن نصرته الطائفة التي كانت تحبه ، وأسرعهما إلى نصرته وأبعدهما عن خذلانه الطائفة التي كانت تبغضه ، لأن الكلب إذا شبع قوى ، وإذا قوى أمثل ، وإذا أمل تبع المأمول ، وإذا جاع ضعف ، وإذا ضعف أيس ، وإذا أيس ولى عن التبوع .

(١) أي الرحي إذا طحن حب البزر الرطب بخلاف الرحا يطحن بها ما يبعد بالتجفيف للطعام

فمن عدم المال فليبسط وجهه للناس^(١) . فإن ذلك يقوم مقام بذل المعروف ،
إذ هو أحد طرفيه .

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا هارون بن عبد الخالق المازني قال : سئل
ابن المبارك عن حسن الخلق ، فقال « هو بسط الوجه ، وبذل المعروف »

أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث حدثنا محمد
ابن القاسم الأسدي عن متعة بن عمرو قال « خرج غلام لنا بقمامة الدار ، أو بكناسة
الدار ، عريان ، وسعيد بن جبير على الباب ، فقال : يا خبيث ارفع إزارك » .

أنبأنا محمد بن إبراهيم البدوري بالبصرة حدثنا إبراهيم بن يشار الرمادي
حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : إذا لقي المسلم أخاه
فصاحه وكثر^(٢) في وجهه تحانت ذنوبه ، كما تحانت العِدق من النخلة . فقال
رجل لمجاهد : يا أبا الحجاج ، إن هذا من العمل اليسير . فقال مجاهد : (٨ : ٦٢)
هو الذي أيدك بنصره وبالؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً
ما ألفت بين قلوبهم (أفسير هذا؟) .

ذكر استعمال لزوم المداراة ، وترك المداهنة مع الناس

أنبأنا محمد بن قتيبة اللخمي بسقلاان وعمر بن سعيد بن سنان الطائي
بتنبيج قالوا : حدثنا ابن واضح حدثنا يوسف بن أسباط حدثنا سفيان عن محمد
ابن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مداراة الناس
صدقة » .

(١) أي يسعهم يبشروه وحسن أخلاقه ، حيث لم يسعهم بحاله ، فإن في الأثر
« إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم »
(٢) كثر : تبسم وضحك ، لأنه يقال : كثر عن أسنانه أي أبداها .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يلزم المداراة مع من دفع إليه في العشرة من غير مقارفة المداهنة ؛ إذ المداراة من المداير صدقة له ، والمداهنة من اللداهن تكون خطيئة عليه ، والفصل بين المداراة والمداهنة : هو أن يجعل المرء وقته في الرياضة لإصلاح الوقت الذي هو له مقيم بلزوم المداراة ، من غير تلم في الدين من جهة من الجهات ، فتمت ما تخلق المرء بخلق شابه^(١) بعض ما كره الله منه في تخلقه ، فهذا هو المداهنة ، لأن عاقبتها تصير إلى تمل ، ويلزم المداراة ؛ لأنها تدعو إلى صلاح أحواله . ومن لم يدار الناس منؤه كما أنشدني علي بن محمد البساس :

دار من الناس ملالاً لهم من لم يدار الناس منؤه
ومكرم الناس حبيب لهم من أكرم الناس أحيوه

أنيأنا محمد بن أحمد بن أبي عون المرياى حدثنا أحمد بن متيع حدثنا ابن المبارك عن الحسن بن عمرو عن منذر الثورى عن ابن الحنفية قال « ليس بحكيم من لم يماثر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدءاً ، حتى يأتيه الله منه بالفرج أو الخرج . »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يدارى الناس مداراة الرجل الساج في المساء الجارى ، ومن ذهب إلى عشرة الناس من حيث هو كدّر على نفسه عيشه ، ولم تصف له مردّته ؛ لأن وداد الناس لا يستجلب إلا بمساعدتهم على ما هم عليه إلا أن يكون مأثماً ، فإذا كانت حالة معصية فلا سمع ولا طاعة ، والبشر قدر كذب فيهم أهواء مختلفة وطباع متباينة ، فكما يشق عليك ترك ما جيلت عليه ، فكذلك يشق على غيرك مجانبته مثله ، فليس

(١) أى : خالطه . يقال : شاب اللبن ماء ، أى خالطه .

إلى صفو ودادهم سبيل ، إلا بمعاشرتهم من حيث هم ، والإغضاء عن مخالفتهم في الأوقات. أنشدني الأبرش :

وقالت ، وهزت رأسها وتضحكت : على الود تُجفَى ، أم على العهد تُوصَلُ ؟
فقلت : فلم أفعل ، فقالت : تُريده فقلت : فلم أفعل ، فقالت : ستفعل

أنا أنا ابن قحطبة حدثنا أحمد بن المقدم حدثنا حرم^(١) قال : سمعت حبيب ابن الشهيد يقول : سمعت الحسن يقول « يا ابن آدم ، أحب الناس بأى خلق شئت يصحبوك عليه » وأنشدني الكريزي :

تجنى علي بما قد جنى وبُغِلظ في القول ، إن لنت له
ويسبق بالعذل لي ظالما كأن الصواب له لاليه
كما قال في مثل عالم خذ اللص بالذنب لا تُفِله^(٢)

قال أبو حاتم رضي الله عنه : من التمس رضا جميع الناس التمس مالا يُدرك ، ولكن يقصد العاقل رضا من لا يجد من معاشرته بدأ ، وإن دفعه الوقت إلى استحسان أشياء من العادات كان يستقبها ، واستقباح أشياء كان يستحسنها ، ما لم يكن مائتاً ؛ فإن ذلك من المداراة ، وما أكثر من داري فلم يسلم . فكيف توجد السلامة لمن لا يداري ؟ أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

ياذا الذي أصبح لا والد له على الأرض ولا والده
قد مات من قبلهما آدم فأى نفس بعده خالده ؟
إن جئت أرضاً أهلها كلهم عوراً ، فقمض عينك الواحده

(١) في الخلاصة في ترجمة أحمد بن مقدم : وروى عن حماد بن زيد ،

وجزم القطيبي — بالجيم والزاي

(٢) من أمثال العرب « خذ اللص قبل يأخذك »

أبنا أبو يعلى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا مهدي بن ميمون
حدثنا معاذ بن سعد الأعور قال « كنت جالساً عند عطاء بن أبي رباح فحدث
رجل بحديث ، فعرض رجل من القوم في حديثه ، قال : فغضب ، وقال : ماهذه
الطباع ؟ إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به ، فأريه كأنني لأحسن منه
شيئاً »

أبنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن محمد الصيداوى ، حدثنا حماد بن إسحاق
عن المدائني ، قال : قال معاوية « لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ،
قيل : وكيف ؟ قال : لأنهم إن مَدَّوْهَا خَلَّتِيْهَا ، وإن خَلَّوْهَا مَدَدْتَهَا »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون
من المكروه ، وترك التوقع لما يأتون من المحبوب ، كان إلى تكدير عيشه أقرب
منه إلى صفائه ، وإلى أن يدفعه الوقت إلى العداوة والبغضاء أقرب منه إلى أن
ينال منهم الوداد ، وترك الشحناء ، ومن لم يدارِ صديق السوء كما يدارى صديق
الصدق ليس بحازم . ولقد أحسن الذى يقول :

تجنب صديق السوء واصرمُ حباله وإن لم تجد عنه تحيصاً فداره

وأحب حبيب الصدق ، واحذر مراده تنل منه صفو الود ما لم تماره

أبنا الحسن بن سفيان ، حدثنا إبراهيم الحوراني ، حدثنا أبو مسهر ، حدثنا
سهل بن هاشم عن إبراهيم بن آدم قال : قال أبو الدرداء لأُم الدرداء « إذا
غضبتُ قرصيني ، وإذا غضبتِ رصيتك ، فإذا لم تكن هكذا ما أسرع ما انفترق »
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل إذا دفعه الوقت إلى صحبة من لا يثق
بصداقته ، أو صداقة من يثق بأخوته ، فرأى من أحدهما زلةً قرأه لفته ،
بقى وحيداً لا يجد من يعاشره ، فريداً لا يجد من يخادق ، بل ينضى على الأخر

الصادق زلاته ، ولا يناقش الصديق السيء على عثراته ؛ لأن المناقشة تلزمه في تصحيح أصل الوداد أكثر مما تلزمه في فرعه .

ومن أنواع المداراة : ما حدثني الحسن بن سفيان ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن كُتَيْبٍ ، حدثنا الحسن بن واقع ، حدثنا ضمرة عن ابن شوذب قال « كانت لرجل جارية ، فوطئها سرا ، فقال لأهله : إن مريم كانت تغتسل في هذه الليلة ، فاغتسلوا ، فاغتسل هو واغتسل أهله ، قال ابن شوذب : وكانت مريم تغتسل في كل ليلة »

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

أَغْمَضُ عَيْنِي عَنْ صَدِيقِي ، كَأَنِّي لَدَيْهِ بِمَا يَأْتِي مِنَ الْقَبِيحِ جَاهِلٌ
وَمَا بِي جَهْلٌ ، غَيْرَ أَنْ خَلِيقَتِي تَطْلِقُ احْتِمَالَ الْكُفْرِ فَيَا أَحَاوِلُ
مَتَى مَا يَرِبُنِي مَفْصِلُ قَطْعَتُهُ بَقِيَتْ وَمَالِي فِي نَهْوَضِي مَفَاصِلُ (١)
وَلَكِنْ أَدَارِيهِ ، وَإِنْ صَحَّ شِدَّتِي فَإِنْ هُوَ أَعْيَا كَانَ فِيهِ تَحَامِلُ (٢)

أبناؤنا محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن أبي السائب قال : قال علي « لاتعامل بالخدِيعَة ، فإنها تُخْلِقُ اللثام ، وأغض أخاك النصيحة حسنة كانت أم قبيحة ، وساعده على كل حال ، وزل معه حيث زال »

(١) يقول : لو أني كلما رايت من صديق أمر يسبب فصل ما بيننا من مودة

لم أجد عند احتياجي إلى من ينهض بي عند عثرتي صديق . كما قال بشار بن برد :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لاتعابه

فصن واحداً ، أو صل أخاك فإنه مقارن ذنب مرة ومجانبه

(٢) يقول : إن من الحكمة أن أداري صديقي وأغض عن زلاته ، حتى إذا صح

وده قويت به ، وأعطاني شدة في أمري ، وإن ضعف وعجز وجدت منه بعض

عائتعامل به من قوة أنتفع بها

ذكر استحباب إفشاء السلام ، وإظهار البشر والتبسم

أبناؤنا أحمد بن صالح الطبري ، حدثنا الفضل بن سهل الأعرج ، حدثنا محمد ابن جعفر المدائني ، حدثنا ورقاء عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن السلام اسم من أسماء الله ، وضعه في الأرض ، فأفشوه بينكم ؛ فإن الرجل المسلم إذا أمر بالقوم فلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم بالسلام ، فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم وأطيب »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على الماقل أن يلزم إفشاء السلام على العام ؛ لأن من سلم على عشرة كان له عتق رقبة ، والسلام مما يذهب إفساؤه بالمكثن من الشحناء^(١) ، وما في الخلد من البغضاء ، ويقطع الهجران ، ويصافي الإخوان .

والبادئ بالسلام بين حنتين : إحداهما : تفضيل الله عز وجل إياه على المسلم عليه بفضل درجة ، لتذكيره إياهم بالسلام ، وبين رد الملائكة عليه عند تحفتهم عن الرد .

ولقد أبناؤنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا العلابي ، حدثنا شعيب بن واقد حدثنا جرير ، قال : قال زبيد اليامي^(٢) « إن أجود الناس من أعطى مالا لا يريد جزاءه ، وإن أحسن الناس عفواً من عفا بعد قدرة ، وإن أفضل الناس من وصل من قطعه ، وإن أبجل الناس من بخل بالسلام » .

(١) المكثن : ما أكنه الضمير فأخفاه . والشحناء : الخصومة . والخلد - بفتح الحاء واللام - البال والقلب والنفس . وجمعه : أخلاذ . يقال « وقع ذلك في خلدي » أي في روعي وقلبي (٢) هو زيد - مصفرا - بن الحارث ، اليامي ، ويقال : الإيامي -

أخبرنا أبو خليفة ، حدثنا محمد بن كثير ، أنبأنا سفيان عن أبي إسحاق عن
صلة بن زفر العبسي ، قال حدثنا عمار بن ياسر قال « ثلاث من جمع جمع
الإيمان : الإنفاق من الإقتار ، والإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم »
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على المسلم إذا لقي أخاه المسلم أن يسلم
عليه متبسما إليه ، فإن من فعل ذلك تحات عنها خطاياهما كما تحات^(١) ورق
الشجر في الشتاء إذا تيسر ، وقد استحق المحبة من أعظام بشر وجهه .

ونقد أخبرني محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام العنبري ،
حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا إسماعيل بن حماد عن أسيد بن الحسن
قال : قيل له « ما أبشك ؟ قال : إنه يقوم على برخيص^(٢) وأنشدني الأبرش :

أخو البشر محبوب على حسن بشره وإن يعدم البغضاء من كان عابسا

ويسرع بخل المرء في هتك عرضه ولم أر مثل الجود للمرء حارسا

قال أبو حاتم : البشاشة إدام العلماء ، وسجية الحكماء ، لأن البشر يطفىء نار

المعادنة ، ويحرق هيجان المباغضة ، وفيه تحصين من الباغى ، ومنجاة من
الساعى^(٣) ، ومن بش للناس وجهاً لم يكن عندهم بدون الباذل لهم ما يملك .

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن محمد العبادي حدثنا سويد عن
علي بن منهر عن هشام بن عروة عن أبيه قال « أخبرت أنه مكتوب في الحكمة :
يا بني ، ليسكن وجهك بسطاً ، ولتسكن كلتك طيبة . تكن أحب إلى الناس
من أن تعطيمهم العطاء . »

(١) تحات : سقط لحفافه ويبسه .

(٢) يقول : إن البشاشة رخيصة لا تكلفه مالا ولا جهدا ، وإنها غالية وقيمة ،

لأنها تجذب القلوب ، وتقتلع أسباب البغضاء .

(٣) الذي يسعى بالوقعة ليفرق بين الأجرة .

وأنشدني الخلابي أنشدنا أحمد بن بكر بن خالد اليزيدي سعيد بن
عبيد الطائي :

إلقَ بالبشر من لقيت من الناس جميعاً ، ولا قيِّم بالطلاقه
تجنّ منهم حتى تمار ، فخذها طيباً طامئاً لذيذ المذاقه

أخبرنا محمد بن صالح الطبري حدثنا محمد بن حميد حدثنا حكام بن مسلم
عن سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي قال « يعجبني من القراء كل سَمَلٍ تَلُوقِ
يَضْحَاك . فأما من تلقاه يبشر ويلقاك بهُوسٍ يَمُنُّ عَلَيْكَ بِعَمَلِهِ ، فلا أكره الله
في القراء ضربَ هذا (١) »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب على العاقل إذا رزق السلوك في ميدان
طاعة من الطاعات إذا رأى من قَصَرَ في سلوك قَصْدِهِ أَنْ يُعَيَسَ عَلَيْهِ بِعَمَلِهِ
وَجَهِّهْ ، بل يُظْهِرِ الْبِشْرَ وَالْبِشَاةَ لَهُ ، فلعله في سابق علم الله أن يرجع إلى صحة
الأوبة إلى قصده مع ما يجب عليه من الحمد لله والشكر له على ما وفقه لخدمته ،
وحرّم غيره مثله .

أخبرنا محمد بن أبي علي الخلابي أخبرني محمد بن موسى السمرى أن حماد
بن إسحاق أنشدني :

فتى مثل صفولاء ، أما لقاءه فبِشْرٌ ، وأما وعدده فجميل
يسرك مُقْتَرَأً ، وبشرك وجهه إذا اعتلّ مذموم القِعال بخيل
عبيٌّ عن القمشاء ، أما لسانه ففتّ ، وأما طرفه فكليل

(١) الضرب والضرب : المثل في الشكل والقصد والخلق . ويقال « فلان
ضرب فلان » أي نظيره وشبيهه . والجمع ضروب وضرائب .

وأشدني منصور بن محمد الكريزي :

لن تستمَّ جيلاً أنت فاعلهُ إلا وأنت طليقُ الوجه بهلوكُ

ما أوسط الخيرَ فابسطِ راحتك به وكن كأنك دون الشرِّ مغبولُ

أخبارنا محمد بن المهاجر العدل حدثنا الدارمي حدثنا موسى بن إسماعيل

حدثنا أبو عوانة عن إسماعيل بن سالم عن حبيب بن أبي ثابت قال « من حسن

خلق الرجل أن يحدث صاحبه وهو يتبسم »

ذكر ما أبيض من المزاح للمرء ، وما كره له منه

أخبارنا أحمد بن علي بن المشي حدثنا هدية بن خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا

قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان له خادم يقال له : أنجشة ،

وكان حسن الصوت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أنجشة لا تكسر

القوارير^(١) » قال قتادة : يعني ضمعة النساء .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يستميل قلوب الناس

إليه بالمزاح ، وترك التعبس .

والمزاح على ضربين : فمزاح محمود ، ومزاح مذموم .

فأما المزاح المحمود : فهو الذي لا يشوبه^(٢) ما كرهه الله عز وجل ، ولا يكون

بإثم ولا قطيعة رحم .

وأما المزاح المذموم : فالذي يُشير العداوة ، ويذهب البهائم ، ويقطع الصداقة ،

ويجريء الدين عليه ، ويُحقد الشريف به .

أخبرنا محمد بن المنذر حدثنا إبراهيم بن محمد الرقي حدثنا أبو موسى الأنصاري

(١) كان أنجشة رضي الله عنه يحدو الإبل وينشطها في السير بحميل صوته ،

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم « يا أنجشة رققا بالقوارير » (٣) يشوبه : يخالطه

حدثنا بكر بن سليم قال : سمعت ربيعة يقول « إياكم والمزاح ، فإنه يُفسد المودة ، ويُبيلُ الصدر » .

أبانا محمد بن سعيد القزاز حدثنا الفضيل بن الغضنر التميمي حدثنا عبد الله بن حبيب قال : كان يقال « لا تمازح الشريف ، فيحقد عليك ، ولا تمازح الوضيع ، فيجتريء عليك »

وأشدني محمد بن عبد الله :

أكرم جليسك ، لا تمازح بالأذى إن المزاح تُرى به الأضغان^(١)

كم من مزاح جَدَّ حَبْلَ قَرِينِهِ فتجذمت من أجله الأقران^(٢)

قال أبو حاتم رضى الله عنه : المزاح في غير طاعة الله مَسْلَبَةٌ للبهاء ، مقطعة للصدقة ، يورث الضغن ، وينبت الغل .

وإنما سُمى المزاح مزاحاً لأنه زاح عن الحق ، وكم من افتراق بين أخوين ، وهجران بين متآلفين ، كان أول ذلك المزاح .

أبانا محمد بن أحمد بن الحسين القرشي حدثنا الأسود بن عامر عن أبي إسرائيل عن الحكم قال : كان يقال « لا تمازج صديقك ولا تمازجه ، فإن مجاهداً كان له صديق ، فآزحه ، فأعرض كل واحدٍ منهما عن صاحبه ، فآزاده عن السلام حتى مات »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : وإن من المزاح ما يكون سبباً لتبهيج المرء ، والواجب على العاقل اجتنابه ؛ لأن المرء مذموم في الأحوال كلها ، ولا يخلو المأوى

(١) ترى : إما من الرؤية ، فعناه : تتكشف وتظهر به الأضغان ، وإما من الورى . ومعناه تفدح به شرارة العداوة ، وتشتعل به نار البغضاء .

(٢) جذ الحبل وجذمه : قطعه ، غير أن الجذ يستعمل كثيراً في الثمار والزررع لأن فيه معنى الاستئصال ، والجذم في القطع مع سرعة .

من أن يفوته أحد درجلين في المراء : إما رجلٌ هو أعلم منه ، فكيف يجادل من هو دونه في العلم ؟ أو يكون ذلك أعلم منه ، فكيف يمارى من هو أعلم منه ؟ ولقد سمعت حفص بن عمر البزاز يقول : سمعت إسحاق بن الضيف يقول : سمعت جعفر بن عون يقول : سمعت مسعر بن كدام يقول لابنه كُدام :

إني نَحَلْتُكَ^(١) يا كدام نصيحتي فاسمع مقال أبي عليك شفيق
أما المِزَاحُ والمِراءُ فدَعَمَها خُطبانُ لا أرضاهما لصديق
إني بَلَوْتُهُما ، فلم أَحَدِهما لمجاورٍ جاراً ، ولا لشفيق
والجهلُ يُزِرُّ بالفتى في قومه وعروقه في الناس أي عروق
قال أبو حاتم رضى الله عنه : المراء أخو الشنآن^(٢) ، كما أن المناقشة أخت
العداوة ، والمراء قليل نفعه ، كثير شره ، ومنه يكون السباب ، ومن السباب
يكون القتال ، ومن القتال يكون هراقة الدم^(٣) وما ماري أحد أحداً إلا وقد
غَيَّرَ المِراءُ قَلْبِيهِما ، واتقد أحسن الذي يقول :

وإياك من حلوا المِزَاحِ ومُراءٍ ومن أن يراك الناس فيه مَمارِيا
وإن مِراءَ المِراءِ يُحَلِّقُ^(٤) وجهه وإن مزاح المرء يبدي الشنانيا
دعاه مزاح أو مراء إلى التي بها صار مَقَلِّبِ الإخاء وقاليا^(٥)
أخبرني محمد بن المنذر حدثني كثير بن عبد الله التميمي حدثني إسماعيل

ابن محمد الطلحي حدثنا أبو الأَخْفَشِ السَّكَنَانِيُّ أنه قال لابن له :

(١) إما أن يكون بالحاء المعجمة ، من نَحَلَ الدقيق : صفاه ، واستخلص نقيه ،
يقصد أني استخلصت لك أصدق نصيحة وأصفاها ، وإما من النحلة - بالحاء المهملة -
وهي العطية الخالصة على ود وتكريم (٢) الشنآن : شدة البغض والعداوة
(٣) « هراقة » أصله إرواقه ، ويقال : أراق ، وهراق ، وأهراق ، بمعنى سفع
وأسال (٤) أخلفت الثوب : أبلت جدته ، وأذهبت رونقه وبهجته
(٥) « القلى » اسم مفعول ، من قلت : بمعنى هجرت وأبغضت .

أَبِي لَاتِكُ مَا حَيَّتَ عَمَارِيَا وَدَعِ السَّفَاهَةَ ، إِنَّمَا لَا تَنْفَعُ
لَا تَعْمَلِينَ ضَعِيفَةً لِقَرَابَةٍ إِنْ الضَّعِيفَةَ لِلْقَرَابَةِ تَقْطَعُ
لَا تَحْسِبَنَّ الْحِلْمَ مِنْكَ مَدَّةً إِنْ الْحَلِيمُ هُوَ الْأَعَزُّ الْأَمْنَعُ

أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدي الهروي حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد
قال : سمعت أبي عن الأوزاعي قال : قال بلال بن سعد « إذا رأيت الرجل
لجوجاً عمارياً معجباً برأيه ، فقد تمت خسارته »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : المزاح إذا كان فيه إثم فهو بسود الوجه ،
ويُدعى القلب ، ويورث البغضاء ، ويحیی الضعيفة ، وإذا كان من غير معصية
يُسَلَّى الهم ، ويرقع الخلة^(١) ، ويحیی النفوس ، ويذهب الحشمة ، فالواجب
على العاقل أن يستعمل من المزاح ما ينسب بفعله إلى الخلاوة ، ولا ينوى به أذى
أحد ، ولا سرور أحد بمساءة أحد .

أخبرنا عبد الله بن محمد بن عائذ - كان جهراً - حدثنا أحمد بن عبد الله
ابن حكيم العرياني - قرية من قرى مَرَوْ - حدثنا سهل بن يحيى عن أبيه عن
الأعمش عن إبراهيم قال « لا يمازحك إلا من يحبك »

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن الجعيد حدثنا الصلت
ابن مسعود حدثني ابن عيينة قال : أظنني سمعته من داود بن شابور ، عن محمد
ابن المنكدر قال : قالت لى أمى وأنا غلام « لا تمازح الغلمان ، فتَهونَ عليهم ،
أو يحترثوا عليك »

حدثنا عمرو حدثنا القلابي حدثنا ابن عائشة حدثنا دريد بن مجاشع عن
غالب القطان عن مالك بن دينار قال : قال عمر بن الخطاب « من كثر ضحكك

(١) الخلة ، بضم الحاء : الصداقة ، أى يرقع ويصلح من الصداقة والمحبة
ما مزقته اللالة والسأم .

قَالَتْ هَيْبَتُهُ ، وَمَنْ مَزَحَ اسْتُخِفَّ بِهِ ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ «
 أَنبَأَنَا الْحَسَنُ بْنُ سَفْيَانَ حَدَّثَنَا أَبُو الدَّرْدَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الطَّائِقَانِيُّ عَنْ مُبَشَّرِ
 ابْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ رَاشِدِ بْنِ أَبِي قِبَالٍ قَالَ « اسْتَسْقَى سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ ، فَأَنْبَتَهُ
 بِسُوقِ مُحَلَّمِي ، فَقَالَ : يَا رَاشِدُ شَكَرَ أَرْدَسْتُ شِيرِينَ ^(١) »
 قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ مَزَحَ رَجُلًا مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ هَانَ عَلَيْهِ
 وَاجْتَرَأَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ الْمَزَاحُ حَقًّا ، لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَا يَجِبُ أَنْ يَسْلُكَ بِهِ غَيْرُ
 مَسْلُكِهِ ، وَلَا يَظْهَرُ إِلَّا عِنْدَ أَهْلِهِ .

عَلَى أُنَى أَكْرَهُ اسْتِعْمَالَ الْمَزَاحِ بِحَضْرَةِ الْعَامِ ، كَمَا أَكْرَهُ تَرْكَهُ عِنْدَ حُضُورِ
 الْأَشْكَالِ .

وَلَقَدْ أَخْبَرْنَا كَامِلَ بْنَ مَكْرَمٍ حَدَّثَنَا رَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ الْجَيْلَانِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ
 ابْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْجَبَّارِيُّ قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجُ « كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَمَ
 يَحْدُثُنَا ، وَيُضَاحِكُنَا ، وَإِذَا رَأَى غَيْرَنَا قَالَ : هَذَا جَاسُوسٌ »

ذِكْرُ اسْتِحْبَابِ الْإِعْتِزَالِ مِنَ النَّاسِ عَامًّا

أَنبَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلْمٍ - بَيْتِ الْمَقْدِسِ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ
 ابْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ
 عَنِ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ قَالَ « قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ :
 الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَالَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : رَجُلٌ فِي شَعْبٍ مِنَ الشَّعْبِ يَتَّقِي اللَّهَ ،
 وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ »

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ لُزُومُ الْإِعْتِزَالِ عَنِ النَّاسِ

(١) بِالْفَارْسِيَةِ - الشُّكْرُ : الشُّكْرُ . أَرَضِي : مِنْ . دَسْتُ : يَدُ . شِيرِينَ : حُلْوٌ . وَمَعْنَاهُ

الشُّكْرُ يَكُونُ مِنْ يَدِكَ حُلْوًا

عاماً ، مع توقى مخالطهم ؛ إذ الاعتزال من الناس لو لم يكن فيه خصلة تُحمد
إلا السلامة من مقارفة المأثم لكان حقيقاً بالمرء أن لا يُكدر وجود السلامة
ب لزوم السبب المؤدى إلى المناقشة

ولقد أخبرنى الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى ، أنبأنا عبد الله ، أخبرنا
شعبة عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن عمر بن الخطاب قال :
« خذوا بحظكم من العزلة »

أنبأنا عمرو بن سعيد بن سنان الطائى حدثنا حامد بن يحيى البلخى قال :
سمعت سفيان بن عيينة يقول « رأيت الثورى فى المنام ، فقلت له : أوصنى ،
فقال : أقل معرفة الناس ، أقل معرفة الناس ، أقل معرفة الناس »

أنبأنا القطان بالرقّة حدثنا المروروذى قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول
« رأيت ابن السّمك يكتب إلى أخ له : إن استطعت أن لا تكون لغير الله عبداً
ما وجدت من العبودية بدءاً ، فأفضل » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يستعبد نفسه لأمثاله بالقيام فى رعاية
حقوقهم ، والتصبر على ورود الأذى منهم ، ما وجد إلى ترك الدخول فيه سبيلاً ،
لأنه إذا حسم عن نفسه ترك الاختلاط بالعالم ، والمخالطة بهم تمكّن من صفاء
القلب ، وعدم تكدر الأوقات فى الطاعات .

ولقد استعمل العزلة جماعة من المتقدمين مع العام والخاص معاً .

كما أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدى حدثنا داود بن أحمد بن سليمان
الدمياطى حدثنا عبد الرحمن بن عفان قال : سمعت ابن المبارك يقول « عادّ مُفضّل
داود الطائى ، فأغلق داود الباب ، وجلس فضيل خارج الباب يبكي ، وداود
داخل البيت يبكي »

أخبارنا الحسين بن محمد السنجى حدثنا علي بن المنذر حدثنا الحسن بن مالك قال : سمعت بكر بن محمد العابد يقول : قال لي داود الطائي « يا بكر ، استوحش من الناس كما استوحش من السبع »

أخبارنا محمد بن أحمد بن الفرج البغدادي بالأبلة حدثنا إبراهيم بن حماد بن زياد حدثنا عبد العزيز بن الخطاب قال « روى إلي جنب مالك بن دينار كلب عظيم ضخم أسود رابض ، فقبل له : يا أبا يحيى ، ألا ترى هذا الكلب إلى جنبك ؟ قال : هذا خير من جليس السوء »^(١)

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الذي ذهب إليه داود الطائي وضرب باؤه من القراء من لزوم الاعتزال من انطاص ، كما يلزمهم ذلك من العام - أرادوا بذلك عند رياضة الأنفس على التصبر على الوحدة ، وإيثار ضد الخلطة على المعاشرة ؛ فإن المرء متى لم يأخذ نفسه بترك ما أبيح له فأنا خائف عاينه الوقوع فيما حظر عليه .

(١) إن ما يمدحونه من العزلة والاختباء عن الحياة العامة لا يجوز أن يكون حال أهل الخير جميعاً ، وإنما هو حال الضعيف الذي لا يقدر عن أن يدفع عن نفسه ما يصاب به من شرور المجتمع . ومن ثم لم يكن حال الأنبياء ، ولا حال ورثتهم الصادقين كبار النفوس أولى العزم والاحتمال . وفي الحديث الصحيح « المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف » خير لنفسه ، لأنه يزداد إيماناً وتقوى بأمرهم ونهيهم ، ويزداد يقظة وقوة وصلاحاً بتجنب ما يرى ويعلم من فسادهم وتحكم أهوائهم في عقولهم ودينهم ؛ فإن التزم أهل الخير جميعاً العزلة فمن للناس يلغهم عن الله إذا انكش الذين يقولون عن أنفسهم إنهم صالحون ؟ ومن ينكر المنكر إذا هرب من اللبدان من يزعمون أنفسهم أنهم المتقون ؟ أليس بهذه العزلة والانكماش يجد شياطين الفساد اللبدان خالياً فيتلبوا حتى على من زعموا أنفسهم هارين وفارين بالعزلة من اللبدان ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم .

وأما السبب الذى يوجب الاعتزال عن العالم كافة : فهو ما عرفتهم به من وجود ذنوب الخبير ، ونشر الشر ، يذنبون الحسنة ، ويظهرون السيئة . فإن كان المرء عالماً بدعوه ، وإن كان جاهلاً بغيره ، وإن كان فوقهم حسدوه ، وإن كان دونهم حقروهم ، وإن نطق قالوا : مهذار ، وإن سكت قالوا : عيبى ، وإن قدر قالوا : مقتر ، وإن سمح قالوا : مبذر ، فالنادم فى العواقب ، المخطوط عن المراتب ، من اعترى يقوم هذا نعمتهم ، وغره ناس هذه صفتهم .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل أخبرنى أحمد بن محمد بن بكر الأبنابوى عن داود ابن رشيد ، قال : حدثنى إبراهيم بن شماس قال : قال لى الأكَاف حفص بن حميد صاحب ابن المبارك بمرور « يا إبراهيم ، صحبتُ الناس خمسين سنة ، فلم أجد أحداً سترلى عورة ، ولا وصلنى إذا قطعته ، ولا أمنتها إذا غضب ، فالاشتغال بهؤلاء حق كبير »

وأشدنى محمد بن المهاجر المعدل لعلى بن حجر السعدى :

زمانكُ ذا زمانُ دخول بيت وحفظُ لسان ، وخفض صوت
قد مرَّجتْ عهد الناس إلا أقلبهم ، فبادر قبل قوت^(١)
فا يبقى على الأيام شيء وما خلق امرؤ إلا لموت
أخبرنا يعقوب بن إسحاق القاضى حدثنا محمد بن يحيى قال : وفيما قرأت على نافع عن مالك بن أنس « أنه بلغه عن أبي ذر قال : كان الناس ورعاً لا شوك فيه ، فهم اليوم شوك لا ورع فيه »

أنبأنا محمد بن أبى علي الخلابى حدثنا جتيد بن حكيم الدقاق حدثنا سليمان ابن أبى شيخ قال : كان القحذمى ينشد كثيراً :

ذهب الحسن والجمال من الناس ، ومات الذين كانوا ملاحا

(١) مرجت : اختلطت ، فلم يدر صادق العهد من مائه

وَبَقِيَ الْأَسْمَجُونَ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ إِنَّ فِي الْوَيْتِ مِنْ أَوْلَادِكَ رَاحًا ^(١)
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يعلم أن البشر محبوبون على أخلاق
متباينة ، وشيم مختلفة ، فكل واحد يُحِبُّ أُتْبَاعَ مَسَاعِدَتِهِ ، وَتُرِكَ مَبَاعِدَتِهِ ؛ فَمَن
رَامَ مِنْ أَخِيهِ رِضًا مَا وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ فَلَاهُ ^(٢) ، وَإِذَا تَبَيَّنَ لَهُ مِنْهُ خِلَافٌ مَا أَضْمَرَ
عَلَيْهِ قَلْبَهُ مَالَهُ ، وَمِنْ الْأَذَلِّ يَكُونُ الْأَسْتَقَالُ ، وَمِنْ الْأَسْتَقَالِ يَكُونُ الْبَغْضُ ، وَمَنْ
الْبَغْضُ تَهَيَّجَ الْعَدَاوَةَ ، فَالْأَسْتَقَالُ بَيْنَ هَذَا نَعْتَهُ لِلْعَاقِلِ حَقٌّ .

ولقد أحسن النِّبَاحِي حيث يقول :

أَرْفُضُ النَّاسَ ، وَكُلَّ مَشْفَلَهُ قَدْ بَحَلَ النَّاسَ بِمَثَلِ خَرْدَلِهِ
* لَا تَسْأَلِ النَّاسَ وَسَلْ مِنْ أَنْتَ لَهُ *

وَأَنشَدَنِي ابْنُ أَبِي عَلِيٍّ قَالَ : أَنشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْعَبْدِيُّ :

إِذَا قُلْتُ : هَذَا صَاحِبٌ قَدِ رَضِيْتَهُ وَقَرَّتُ بِهِ عَيْنَايَ ، بَدَّلْتُ آخِرًا
وَذَلِكَ : أَنِّي لَا أَصَاحِبُ صَاحِبًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا خَانِي وَتَعْتِيرًا

أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا أبو
مسهر عن سعيد بن عبد العزيز قال : قال مكحول « إن كان في مخالطة الناس
خير فالعزلة أسلم » .

أنبأنا علي بن سعيد العسكري حدثنا شعيب بن يحيى حدثنا أحمد النسائي
حدثنا يحيى بن عبد الأعلى أن مالك بن دينار كان يقول « من لم يأنس بحديث
الله عن حديث الخلق فقد قلَّ علمه ، وعمِيَ قلبه ، وضع عمره »

أنبأنا القطان حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا محمد بن روح قال : سمعت

(١) بقى : هذه لغة طيبة ، يفتحون ما انكسر قبل الآخر من المعتل فتقلب

ياؤه ألفاً ، فيقولون : رَضِيَ ، وَبَقِيَ ، وَفَنَى ، وما أشبه ذلك .

(٢) قلاه : كرهه ، ومضارعه يقلوه ويقليه .

إبراهيم البخاري يقول : « دخلت المسجد الحرام بعد المغرب ، فإذا أُضِلُّ جالس ، فجلت ، فجلست إليه ، فقال : من هذا ؟ فقلت : إبراهيم ، قال : ما جاء بك ؟ قلت : رأيتك وحدك ، فجلست إليك ، قال : تحب أن تغتاب ، أو تترين ، أو ترأى ؟ قلت : لا ، قال : قم عني »

ذكر استحباب المؤاخاة للمرء مع الخاص

أبانا أحمد بن علي بن المثنى بالموصل حدثنا قطن بن نسير حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا ثابت عن أنس قال « آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي برداء ، وآخى بين عوف بن مالك وبين الصَّعب بن جشامة ^(١) . »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يفُعل عن مؤاخاة الإخوان ، وإعداده أيام للنوائب والحدثان ؛ لأن من تعزَّى عن موضع سلوته بأخيه عند المصوم والعموم ، كان عقله إلى التقديح أقرب ، ومن التماء أُنقص .

ولقد أبانا محمد بن المنذر حدثنا الفضل بن عبد الصمد الأصبهاني حدثنا يزيد ابن خالد الرملي حدثنا سهيل أبو عمرو قال قال محمد بن واسع « لم يبق من العيش إلا ثلاث : الصلاة في الجماعة ، ترزق فضلها ، وتكفي سهوها . وكفاف من معاش ليست لأحد من الناس عليك فيه مِنَّة ، ولا لله عليك فيه تَبعة ^(٢) . وأخ محسن العشرة ، إن رُغَت قَوْمك » .

أبانا عبد الرحمن بن عبد المحسن بجرجان حدثنا محمد بن عبد الله القصار

(١) روى البخاري ومسلم وأبو داود عن أنس قال « حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دارنا مرتين أو ثلاثا » (٢) أى : تبعة كبيرة وإلا فكل نعمة من نعم الله مهما رأيتها صغيرة ، فإن الله يحاسب عليها (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)

أبيانا عبد الرزاق عن ابن المقفع قال « ثلاث من اللذات : محادثة الإخوان ، وأكل القديد ، وحكّ الجرب »^(١) .

أبيانا محمد بن أبي علي حدثنا محمد بن هريم الشيباني أنشدنا محمد بن عمران الضبي :

وما المرء إلا بإخوانه كما تبيض الكفّ بالمغصم
ولا خير في الكفّ مقطوعة ولا خير في الساعد الأجذم

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يعد في الأوداء إخاء من لم يؤاته في الضراء ، ولم يشاركه في السراء ، وربّ أخى إخاء خير من أخى ولادة ، ومن أتمّ حفاظ الأخوة تفقّد الرجل أمور من يوده .
والوؤد الصحيح هو الذى لا يميل إلى تقع ، ولا يفسده منع ، والمودة أمن ، كما أن البغضاء خوف .

والعاقل لا يؤاخى إلا من خالفه على الهوى ، وأعاناه على الرأى ، ووافق سره علانيته ، لأن خير الإخوان من لم يناقض ، كما أن خير الثناء ما كان على أفواه الأخيار ، والمستوحّم^(٢) لا يؤلف كما أن غير الثقة لا يؤد ، فتى ما آخى المرء من لم يصفه بالوفاء يجب الاستظهار عليه بمن يسلمه عنه ؛ لأن التودد ممن لا يؤد يمدّ ملقاً ، ولا يفوت الإنسان في الأخوة أحد رجلين : إما أريب قَصّر في حقوقه فاعتاله بمكر ، وإما جاهل لم يصفه فيؤذيه بسوء معاشرته ، وصيانة الأخوة ليست إلا في الاستغناء عن الإخوان .

(١) أما محادثة إخوان الصفاء والصدق قنم ، وأما أكل القديد فلا يكون لدينا إلا عند الحمصة والفقر ، ونعود بلقمة من الفقر ، وأما الجرب فتسأ الله العافية ، فماذا في هذين من نذرة ؟

(٢) الأرض الوخيمة والوخمة : الرديئة التناخ السبخة التربة التي لا ينجع كلؤها .
ورجل وخيم : ردىء الطبع ثقيل النفس سوء الخلق .

ولقد أحسن العباس بن عبيد بن يعش حيث يقول :

كم من أخ لك لم يلده أبوك وأخ أبوه أبوك قد يحفوكا
صاف الكرام إذا أردت إخوانهم وأعلم بأن أخوا الحفاط أخوكا
كم إخوة لك لم يلدك أبوم وكأنا أبأوم ولدوكا
لو كنت تحملهم على مكروهة نخشى الخوف^(١) بها لما خذلوكا
وأقارب لو أبصروك معذقاً بنياط قلبك ثم ما نصروكا
الناس ما استغيت كنت أخاهم وإذا افتقرت إليهم فضحوكا

أخبرنا القطان بالرقه حدثنا أحمد بن إسماعيل السني حدثنا عبد الرزاق عن
معمر قال « دخلت على قتادة وأناظآن ، وفي الحجره حب^(٢) ماء ، فقلت :
أشرب من مائكم هذا ؟ قال : أنت لنا صديق . »

قال أحمد : قال عبد الرزاق : يتأول القرآن (أو صديقكم) يقول : لا يستأذن .

أبنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا علان بن المغيرة البصرى حدثنا عمرو
الناقد حدثنا ابن عيينة عن أيوب السخيتاني أنه قال « يزيدنى حرصاً على الحج^٣
لقاء إخواني لي لا ألقاهم بغير الموسم »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن الغرض من
المواخاة ليس الاجتماع والمواكلة والمشاركة ، والسراق يداخلون الرجال على
التعارف^(٣) ، ولا يزدادون بذلك مودة ، ولكن من أسباب المواخاة التي يجب

(١) الخوف : للنايا والمهلك ؛ واحداها حنف ، بفتح فكون

(٢) الحب - بكسر الحاء المهمله - الحجره الكبيرة

(٣) التعارف : أى على قصد الإثم والعدوان

على المرء لزومها مشى القصد^(١) وخفض الصوت ، وقلة الإعجاب ، ولزوم التواضع ، وترك الخلاف .

ولا يجب للمرء أن يكثر على إخوانه المؤونات فيرمهم^(٢) : لأن المرضع إذا كثر معته ربنا ضجرت أمه فتلقه .

ولا ينبغي لمن قدر أن يمنع أخاه شيئا يحتاج إليه ليجبر به مصيبته ، أو يفرج به كرته .

والعاقل لا يؤاخي لثما ؛ لأن اللثيم كالحية الصماء^(٣) لا يوجد عندها إلا اللدغ والشم ، ولا يصل اللثيم ، ولا يؤاخي إلا عن رغبة أو رهبة ، والسكريم يود السكريم على آفة واحدة^(٤) ، ولولم يلتقيا بعدها أبدا .

ولقد أخبرنا محمد بن المنذر حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن يونس حدثنا إسماعيل ابن محمود عن ابن المبارك عن سفيان عن يونس بن عبيد « أنه أصيب بمصيبة فقيل له : ابن عوف لم يأنك ، فقال : إنا إذا وثقنا بمودة أخي نالم بضرة أن لا يأتينا » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يتفقد ترك الجفاء مع الإخوان ، ويراعى محوها إن بدت منه ، ولا يجب أن يستضعف الجفوة اليسيرة ؛ لأن من استضعف الصغير يوشك أن يجمع إليه صغيرا ، فإذا الصغير كبير ، بل يبلغ مجوده في تحوها .

(١) أى الوسط ، الذى وصف الله به عباد الرحمن بقوله (٢٥ : ٦٣ الذين يمشون على الأرض هونا) والذى ذكره الله من وصايا لقمان بقوله (٣١ : ١٩) واقصد فى مشيك واغضض من صوتك) والذى حذر الله من ضده فى وصايا الحكمة بقوله (١٧ : ٣٧) ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا)

(٢) يرمهم : علمهم ويسمهم .

(٣) الصماء : التى لا تستجيب لرقة الراقى .

(٤) الآفة : المرة من اللقاء .

لأنه لا حير في الصدق إلا مع الوفاء ، كما لا خير في الصفة إلا مع الورع ، ولأن
من أحرَقَ الخُرْقِيَّ التماس المرء الإخوان بغير وفاء ، وطلب الأجر بالرياء ، ولا شيء
أضيق من مودة تمنح من لا وفاء له ، وصنيعة تصطنع عند من لا يشكرها .
وأشدني الخلالدي قال : أشدني محمد بن محمد البكري :

احذر مودة ماذق^(١) خلط المرارة بالحلاوة
يُحمي الذنوب عليك أيام الصداقة فاعداوة
وأشدني محمد بن إبراهيم البصري - بصور - لنفسه :

لا يقرنك صديق أبدا لك في المنظر ، حتى تخبره
كم صديق كنت منه في عمي غرني منه زمانا منظره
سكان يلتقي بوجه طلق وكلام كاللآلي ينثره
فإذا تشته عن غيبه لم أجد ذلك لوذ يضره
قدح الإخوان إلا كل من يضر الود كما قد يظهره
فإذا فرزت بمن يجمع ذا فاجعلنه لك ذخرا تذخره

أبانا القطان بالرقه حدثنا هشام بن عمار حدثنا إبراهيم بن موسى السكي عن
يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن مسيب قال لا وضع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه للناس ثمانية عشر كلمة ، كلها حكم ، قال : يا كافات من يعصى الله
فيك بمثل أن تطيع الله فيه ، وضع أمر أخيك على أحسنه ، حتى يأتيك منه
ما يملك ، ولا تظن بكلمة خرجت من مسلم شررا ، وأنت نجد لها في الخير تحملا ،
ومن تعرض للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن ، ومن كتم سره كانت الخيرة^(٢)

(١) اللاذق : الذي لا يخلص الود ، بل يمزجه بغايات ومقاصد شخصية

(٢) الخيرة - بوزن عنية - ما يختاره بمشيئة ، يقصد : أنه إذا أفضى سره كان

أمره يد من أفضاه إليه ، لا يبدئه هو ، فلم يكن له مشيئة

في يديه ، وعليك ياخوان الصدق ففش في أكتافهم^(١) ، فإنهم زينة في الرخاء ،
وعُدَّة في البلاء ، وعليك بالصدق وإن قتلك الصدق ، ولا تعرَّضْ لِمَا لَا يَنْصِبُكَ ،
وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا لَمْ يَكُنْ ، فَإِنْ فِيمَا كَانَ شُغْلًا عَمَّا لَمْ يَكُنْ ، وَلَا تَطْلُبَنَّ حَاجَتَكَ إِلَى
مَنْ لَا يَحِبُّ لَكَ نَجَاحَهَا ، وَلَا تَصْحَبَنَّ الْعَاجِزَ فَتَهْلِكَ بِخَوْرِهِ ، وَاعْتَرِضْ عَدُوَّكَ ، وَاحْذَرْ
صَدِيقَكَ إِلَّا الْأَمِينَ ، وَلَا أَمِينَ إِلَّا مَنْ خَشِيَ اللَّهَ ، وَتَخَشَّعْ عِنْدَ الْقَوْلِ ، وَذَلَّ عِنْدَ
الطَّاعَةِ ، وَاعْتَصِمْ عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ ، وَاسْتَشِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ
يَقُولُ (٣٥ : ٢٨) إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل لا يؤاخي إلا إذا فضل في الرأي والدين
والعلم والأخلاقِ الحسنة ، ذا عقل نشأ مع الصالحين ؛ لأنَّ صحبة بئيد نشأ مع
العقلاء خير من صحبة لئيب نشأ مع الجهال .

ورأس المودَّة الاسترسال ، وأقمتها الملائة ، ومن أضعاع تَعَمُّدُ الْوَدِّ مِنْ إِخْوَانِهِ
حُرْمُ ثَمَرَةِ إِخْوَانِهِمْ ، وَأَبْسَ الْإِخْوَانِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ الْإِخْوَانَ مَخَافَةَ تَعَاهُدِ
الْوَدِّ يُوشِكُ أَنْ يَبْقَى بِغَيْرِ أُنْحٍ ، كَمَا أَنَّ مَنْ تَرَكَ نَزْعَ الْمَاءِ إِشْفَاقًا عَلَى رِشَاتِهِ^(٢)
يُوشِكُ أَنْ يَمُوتَ عَطْشًا .

والعاقل يستخبر أمور إخوانه قبل أن يؤاخيهم ، ومن أصحَّ الخِبرَةُ لِلرَّءِ
وَجُودُ حَالَتِهِ^(٣) بَعْدَ هَيْجَانِ الْغَضَبِ .

أبَانَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنَا الْعَلَابِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الضَّحَّاكِ
الْمَدَادِيُّ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَوَّانَةَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ : قَالَ لَقِيَانُ لَابَنَهُ « يَا بُنَيَّ
إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُؤَاخِيَ رَجُلًا فَأَغْضِبْهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ أَنْصَنَكَ عِنْدَ غَضَبِهِ
وَإِلَّا فَدَعَهُ » .

(١) الأكتاف : جمع كنف ، وهو الجانب والناحية .

(٢) الرشاء : الحبل الذي يخرج به الدلو من البئر .

(٣) يعني وجود حالته في الود بعد هيجان الغضب كحاله فيه عند الرضا .

أبنا محمد بن صالح الطبري حدثنا أبو هشام الرفاعي حدثنا داود بن يحيى ابن اليمان عن أبيه عن سفيان قال « أحب من شئت ، ثم أغضبه ، ثم دسَّ إليه من يسأله عنك » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : من لم ينصفك عند غضبه لم تودك ^(١) أيامه ، وليس الصديق كالمرأة يطلقها المرء إذا شاء ^(٢) ، والجارية يبيعها متى أحب ، لكنه عرضة ومروته ؛ فالتثبت والاتناد أولى به من التهاجر والانتقاع ، ومن غاب عنه أخوه فلا يغب عما يجب له عليه ، وليكثر منهم عدَّة للشدائد ، لأنَّ الشعر مع دقته إذا جمع عُمل منه الحبل الغليظ الذي يقهر الفيل المعتلم ^(٣) ، ولا يصلح أن يكون رفيقاً من لم يزد رديقاً .

-
- (١) كذا بالأصل . واعلم يقصد لم يأنك من أيامه ما توده وتريده من الإخاء
- (٢) غالى الشيخ في الحظ من منزلة الزوج ، وكيف ومن لم يتخذ الزوجة على الصداقة والمودة ، فلم يتزوج كما شرع الله ؛ فإنه سبحانه يقول (٣٠ : ٣١) ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة) وأكد في كثير من آي الذكر الحكيم من حق الزوج ما لم يؤكد من حق الصديق ، وأين الصديق من الزوج التي يقول فيها (٢ : ١٨٧) من لباس لكم وأنتم لباس لهن) ويقول (٤ : ٣١) وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظاً !) والزوج أحق أن تكون عرض الرجل ومروته ، ويسير عليك أن تستبدل صديقاً بصديق ، وأعسر العسر أن تستبدل زوجاً مكان زوج - وقد ارتبطنا بعلائق من الأولاد وغيرها . ما لا يوجد مثلها ولا بعضها في الصديق - فواجب العاقل : أن يتأنى ويتفحص ويتثبت في اختيار الزوج ما لا يلزم بعضه في اختيار الصديق ، والسعادة بالزوج الوقية الصالحة القاتنة الحفيظة للغيب أضعاف أضعاف السعادة بأوفي الأصدقاء . وأخلص الأوداء
- (٣) الاعتلام : شدة نوران الشهوة في الفعل للضراب ، وتشدد شراسة الفيل وغيره من الفحول عند ذلك .

وأشدني الخلاص قال : أشدني محمد بن محمد البكري لصالح بن عبد القدوس (١) :

إذا كان ودّ لمه ليس بزائد على «مرحبا» أو «كيف أنت؟» وحالكا
أو القول «إني واثق لك ، حافظ» وأفعاله تُبدي لنا غير ذلكا
ولم يك إلا كثيراً أو محدداً فأقرب لو غير ليس إلا كذلكا
ولكن إزاء المرء من كان دائماً لدى الود منه حيناً كان سالكا
أخبرنا أبو يعلى حدثنا عبي بن الجعد حدثنا مقيز الثوري عن شعبة قال :

خرج عبد الله بن مسعود على أصحابه فقال « أنتم جلاء حزني »

أخبرني محمد بن سعيد القزاز حدثنا هلال بن العلاء حدثنا إسحاق بن الضيف
عن شيبه بن أبي مسهر عن الحكم بن هشام قال خالد بن صفوان « لم يبق من
لذات الدنيا إلا ثلاث : محالة النسوان ، وتهم الأولاد ، ولقي الإخوان »

حدثنا محمد بن المنذر حدثنا مسعدة بن حازم المصري حدثنا خالي هارون
ابن سعيد حدثنا خالد بن نزار حدثنا سفيان عن موسى بن عقبة قال « إن كنت
لألقى الأحمق من إخواني فأكون بلقيته عاقلاً أياماً »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات في
كتاب « مراعاة العشرة » فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

فأوجب على السافل أن يعلم أنه ليس من السرور شيء . يعجز عن محبة الإخوان ،
ولا غم يعدل غمّ قديم ، ثم يتوق جهده مُعاسدة من صافه ، ولا يسترسل إليه فيما
يشبهه ، وخير الإخوان من إذا عظمت صانك ، ولا يعيب أخاه على الزلة : فإنه
شريكه في الطبيعة ، بل يصفح ، ويتنكب محاسنة الإخوان ؛ لأن الحد للصديق
من سَمّ المودة كما أن الجود بالمودة أعظم البذل ؛ لأنه لا يظهر ود صحيح من قلب
سقيم ، وليحذر المرء في إخوانه ألم التشقيل على أخيه ؛ لأن من ثقل على صديقه

(١) سجد أولها وثالثها مع بيتين آخرين في ص ١١١ .

خَفَّ عَلَى عَدُوهِ ، وَإِنْ مِنْ أَعْظَمِ الْمَعُونَةِ عَلَى تَسْلِيَةِ الْهَمِّ الرِّضَا بِانْقِضَاءِ ، وَلُقَى
الإخوان .

أبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ هَلَالِ الْعَقْبِيِّ حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْغَزَوِيِّ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ
ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَدَنِيُّ عَنْ سَفْيَانَ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ « مَا مَاءُ الْعَيْشِ ؟ » قَالَ : لِقَاءُ الْإِخْوَانِ «
حَدَّثَنَا الْقَطَّانُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِزْمِيِّ حَدَّثَنَا الْمُسَيْبُ بْنُ وَاضِحٍ عَنْ
ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ قَالَ سَفْيَانُ : « لَرَبَّمَا لَقَيْتُ الْأَخَّ مِنْ إِخْوَانِي ، فَتَقِيمُ شَهْرًا
عَاقِلًا بِلِقَائِهِ » .

وَأَشَدُّنِي عَبْدِ الْمُرِزِيِّ بْنِ سَلِيمَانَ الْأَبْرَشُ :

اسْتَكْرَهْتُمْ مِنَ الْإِخْوَانِ إِنَّهُمْ خَيْرُ الْكَاتِمِينَ كَثْرًا مِنَ الذَّهَبِ
كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَوْ نَابَتْكَ نَائِبَةٌ وَجَدْتَهُ لَكَ خَيْرًا مِنْ أَخِي النَّسَبِ
وَأَشَدُّنِي السَّكْرِيُّ :

مِنْ خَيْرِ مَا حُرِّزْتَهُ وَوَدَّ لَدُنِي كَرَمٌ يَجْزِيكَ مَا عَشْتُ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا
تَلَقَى بِشَاشَتِهِ فِي قَرْبِهِ ، وَإِذَا أَنْتَ نَالَكَ مِنْهُ الْبِرُّ مَا كَانَا

أَبَانَا الْقَطَّانُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِزْمِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا سَلِيمَانَ يَقُولُ
« كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى أَخٍ مِنْ إِخْوَانِي بِالْعِرَاقِ ، فَأَعْمَلَ عَلَى رُؤْيَيْهِ شَهْرًا » .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ سَفْيَانَ حَدَّثَنَا سُورِدُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ عُبَيْدِ
أَبُو فِرَاسٍ قَالَ : قَالَ رَيْبَةُ « الْمَرْوَةُ مَرْوَةٌ تَانُ : قَلْبُ مَرْوَةٍ ، وَالْحَضْرُ مَرْوَةٌ ؛
فَأَمَّا مَرْوَةُ السَّفَرِ فَبِذْلِ الزَّادِ ، وَقَالَةُ الْخَلَّافُ عَلَى أَصْحَابِكَ ، وَكَثْرَةُ الْمَزَاحِ فِي
غَيْرِ مَسَاحِطِ اللَّهِ ؛ وَأَمَّا مَرْوَةُ الْحَضْرِ فَالْإِدْمَانُ إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَكَثْرَةُ الْإِخْوَانِ فِي
اللَّهِ ، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ »

ذِكْرُ كِرَاهِيَةِ الْمَعَادَاةِ لِلنَّاسِ

أَبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ - بَيْرُوتَ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ

مصعب وحدثني ابن المبارك عن عمرو بن واقد عن إسماعيل بن عبيد الله عن أم
الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أول شيء نهاني عنه
ربي - بعد عبادة الأوثان - لعنُ الخمر ، ومُلاحة الرجال »
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن من يودُّد لم
يحده ، ومن لم يحده لم يعاده ؛ فيكون للعدو المكاتب أشدَّ حذراً منه للعدو
المبارك ، ومن وجد عنده مفتحاً ، وكان ممن لا يفنو ، ثم لا ينصف منه ؛ أصابته
الندامة ، والرأى إذا كان من الأريب كان أبلغ في هلاك العدو من العدد
الكثير من الجنود ، وترك العداوة على الأحوال كلها أحوط للعاقل من الخوض
في سلكها .

أبانا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله بن هارون هو
الأعور عن إسماعيل قال « لا تشتريَّ عداوة رجل بمودة ألف رجل »
وأشدني عمرو بن محمد قال : حدثنا الغلابي ، قال : أشدني مهدي بن سابق :
تكثر من الإخوان ما سقطت إنهم عماداً إذا استجدتهم وظهور
وليس كثيراً أن يخلِّ لصاحب وإن عدواً واحداً لكثير
قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب على العاقل أن يكافئ الشر بمثل ، وأن
يتخذ اللعن والشم على عدوه سلاحاً ؛ إذ لا يستعان على العدو بمثل إصلاح
العيوب ، وتحصين العورات ، حتى لا يجد العدو إليه سبيلاً .

والعاقل لا يرحم من يخافه ، ولا يترك إحصاء معائب العدو ، ويفقد عثراتهم
مع السكوت عن ثلثه ، ولا يستضعف عدواً بحيلة ؛ فإن من استضعف الأعداء
اغتر ، ومن اغتر لم يسلم ، اللهم إلا أن يكون العدو ذليلاً ؛ فإذا كان كذلك عطف
عليه بالإغضاء ؛ لأن العدو لذليل أهل أن يرحم ، كما أن المستجير الخائف أهل
أن يؤمن ، والمعادة للعاقل خير من المصافة للجاهل .

وأُشَدْنِي الخِلاَدِي أَنشَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ الْبَكْرِيِّ :

وَلَمَّا يَعَادِي عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ
فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَصَادُقَ أَحْمَقًا إِنْ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقُ

وَأُشَدْنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْجِي الْبُهْدَادِيُّ :

أَخْبَتُ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْطَى بِحَاجَتِهِ وَمُدْمِنِ الْقَرَعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا
أَبْصِيرُ لِرَجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا فَمِنْ عَلاَقَةٍ عَنِ رِغْرَةٍ زَلْجًا^(١)

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يبصر مواضع خطواته قبل أن يضعها ، ثم يقارب عدوه بعض المقاربة ، لينال حاجته ، ولا يقاربه كل المقاربة فيجتأ عليه ، والعاقل لا يعادي ما وجد إلى المحبة سبيلا ، ولا يعادي من ليس له منه بد ، ولا العدو الخنق الذي لا يطاق ؛ فإنه ليس له حيلة إلا الهرب منه ، وحيلة السبيل إلى القدرة على العدو وجود الفرقة فيه ، وأن يرى العدو أنه لا يتخذ عدواً ، ثم يصادق أصدقاءه ، فيدخل بيته وبينهم .

وأحزم الأمور في أمر العدو : أن لا يذكره بسوء إلا عند الفرصة ، وإن من أيسر الظفر بالأعداء اشتغال بعضهم ببعض ، وإن مما يستعين به المرء على عدوه : مجانبته من معاشره ، ويصحب عدوه .

أخبرني محمد بن سعيد القرزاز حدثني أحمد بن زهير بن حرب قال : سمعت يحيى بن معين يقول : قال ابن السماك « لا تحف بمن تحذر ، ولكن احذر من تأمن » .

وأُشَدْنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ الْبَسَامِيِّ :

(١) يقول : إن من يمشي على غير تبصر ، فهما بلغ من العلو ولو إلى قمة الجبل وهي قمته فلا بد أن تزل قدمه ، فيخر ، فلعله أن يتحطم .

تحتبت أن أبقى معاني ، وأن أرى علي من ينشأ في تدور الدوائر (١)
 فيصبح مخلولا ، وأمسي سائلا إلى الله داعيا بالكفاية تاسرا
 سمعت محمد بن محمود يقول : سمعت علي بن خشرم يقول : سمعت الفضل
 ابن موسى الشيباني يقول « كان صياد يصطاد العصفير في يوم ريح ، قال : فجعلت
 الرياح تدخل في عيني العبار ، فتذرفان ، فكلمها صاد عصفورا كسر جناحه
 وألقاه في ناموسه ، فقال عصفور لصاحبه : ما أرقه علينا ، ألا ترى إلى دموع
 عيني ؟ فقال له الآخر : لا تنظر إلى دموع عيني ، ولكن انظر إلى عمل يديه »
 قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل لا يأمن عدوه على كل حال ، إن كان
 بعيدا لم يأمن مغادرته ، وإن كان قريبا لم يأمن موأنته ، والعاقل لا يخاطر بنفسه
 في الانتقام من عدوه ؛ لأنه إن هلك في قصده قيل : أضاع نفسه ، وإن ظفر
 قيل : القضاء فعله .

والمعادة بعد الضجة فاحشة عظيمة ، لا يليق بالعاقل ارتكابها فإن دفعه الوقت
 إلى ركوبها تركه للصلح موضعاً .

وأنشدني بعض أهل الأدب لأبي الأسود الدؤلي :

وأحيب إذا أحيت حبا مقاربا فإنك لا تدري : متى أنت نازع ؟

وأبغض إذا أبغضت غير مجانب فإنك لا تدري : متى أنت راجع ؟

وكن معدنا للحلم ، واضفح عن الأذى فإنك راء ما عملت وسماع

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

(١) يناوئني : يناوئني . والناراة : الخامسة . يقول : إنه طالما تمنى أن يعيش معاني

وأن يرى دوائر الهلاك تدور على أعدائه ومناوئيه . والخليق بالمؤمن : أن يتبعني الخير

والمعاقبة والصلاح لنفسه وأحبابه وأعدائه ومناوئيه . كما كان النبي صلى الله عليه وسلم

يقول في شأن أعدائه - وهم حريصون على قتله - « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعطون »

إذا أنت عادت امرأ بعد خُبة فدع في غدٍ للعودِ والصلح موضعاً
فإنك إن تابذت من زَلِّ زَلَّةٍ ظلت وحيداً لم تجد لك مفرعاً
أنا محمد بن إسحاق الثقفى حدثنا أبو همام حدثنا ابن وهب أخبرني يونس
ابن يزيد عن ابن شهاب قال « اجتمع مروان بن الحكم وابن الزبير يوماً عند
عائشة ، فجلسا في حجرتها ، وبينها وبينهما الحجاب ، فسألا عائشة شعراً وحديثاً ،
ثم قال مروان :

ومن يشاء الرحمن يخفي بقدرة وليس لمن لم يرفع الله رافعاً
وقال ابن الزبير :
وفوض إلى الله الأمور إذا اعترت وباللَّهِ لا بالأقربين تدافع^(١)
وقال مروان :

وداؤ ضمير القلب بالبرِّ والتقى ولا يستوى قلبان قاسٍ وخاشعُ
وقال ابن الزبير :
ولا يستوى عبدان : عبدٌ مكلمٌ عُقلٌ ، لأرحام الأقارب قاطع
وقال مروان :

وعبد يجاني جنبه عن فراشه بيت ينساجي ربه وهو راكع
وقال ابن الزبير :
وللخير أهل يعرفون بهديهم إذا اجتمعت عند الخطوب الجماع
وقال مروان :

وللشر أهل يعرفون بشكلهم تشير إليهم بالقمحور الأصابع
قال : فكنت ابن الزبير ، فلم يحب مروان بشي .

(١) في الأصول « فدافع » ولا تستقيم قافيته مع قافية بقية الأبيات ، ونحسبه
محرفاً عما أبتناه .

فقلت عائشة : « يا عبد الله ، مالك لم تجب صاحبك ، والله ما سمعتُ تجاوبَ رجلين تجاولوا نحو ما تجاولتا فيه أعجب إلى من مجاولتكما »
قال ابن الزبير : إني خفت عَوَلَ^(١) القول ، فكففت .
فقلت عائشة : « إن مروان في الشعر ما ليس لك »

أبنا محمد بن المنذر ، حدثنا عصام بن الفضل الداري ، حدثني الزبير بن بكار .
عن محمد بن حرب ، قال : قال عبد الله بن حسن لابنه محمد « إياك ومعاداتة الرجال قاتنها لا نغدمك مكر حليم ، أو مباذاة^(٢) جاهل »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يعادى على الحالات كلها ، لأن العداوة لا تخلو من أن تكون لأحد رجلين : إما حليم لا يؤمن مكره ، أو جاهل لا يؤمن شتمه ، ولا يجب على العاقل - إذا عادى - أن يغره إحسانه إلى عدوه ما يرى من سكونه إليه ، فإن الماء وإن أطيل إسخانه ، ليس يمانعه ذلك من إطفاء النار إذا صبَّ عليها ، ولا يجب أن يعظم عليه حمله عدوه على عاتقه إذا وثق بحسن عاقبته ، لأن اللين والمكر أنكى في العدو من التضاظة والمكابرة . ألا ترى النار مع حرها لا تحرق من الشجرة إلا ما ظهر ، والماء مع برده ولينه يستأصلها ، ومجانبة المرء عدوه في العشرة أحدُ الأعوان عليه عند الفرصة .

كما أبنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا العتيبي عن أبيه قال : قال الأحنف بن قيس « من جالس عدوه حفظ عليه عيوبه » .
وأنشدني الأبرش :

لا تخافن إن رماك عدو بعيوب ، إذا تكون برياً
إنما العيب أن يكون محققاً في الذي قاله ، ولست نقيماً

(١) العول : الليل في الحكم إلى الجور . والعول : نقصان أيضاً .

(٢) المباذاة : البذاءة والسفه بالسباب والشتم .

فإذا كان كاذباً كنت بالصدق على العائب الكذوب جريئاً
ولقد يُذَرِّقُ العدوَّ يجنب السمَّ عيباً تخافه مَكُوناً
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يغيره إلزاق العدو به العيوب والقبائح .
لأن ذلك لا يكون له وقع ، ولا لكثرة نيات ، ولا يلتذ المرء ما كان عدوه باقياً
كما لا يجد السقيم طعم النوم والطعام حتى يبرأ .
وأشد مكيذة العدو ما يعمل فيك من سبيل مأمئك ، والغالب بالشر مغلوب
وإن من أعظم الأعوان على الأعداء تعاهد المرء ولده وعياله وخدمه ، وتوقيه
إيَّام على المعائب والزلات .

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا الوليد عن الأوزاعي
عن يحيى بن أبي كثير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يا بني إذا أردت أن
تغيظ عدوك فلا ترفع عن ابنك العصا »

ذكر الحت على صحبة الأخيار والزجر عن عشرة الأشرار

حدثنا الحسن بن سفيان النسائي ، حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري ، حدثنا
أبي عن شعبة عن قتادة ، عن أنس ، عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « مثل المجلس الصالح مثل العطار ، إن لم ينلَّك منه أصابك
من ريحه ؛ ومثل جلس السوء مثل القَيْن ، إن لم تصبَّك ناره أصابك شره »^(١)

(١) العطار : نافع العطر . والقَيْن ، بالفتح : الخمداد . والحديث رواه البخاري ومسلم
عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما مثل المجلس الصالح
والجلس السوء : كحامل السمك ، ونافع الكير . فإما أن يحذيك ،
وإما أن يتناع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة . ونافع الكير : إما أن يحرق
ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة . » و « يحذيك » أى يعطبك بدون ثمن .

قال أبو حاتم رضى الله عنه: العاقل يلزم صحبة الأخيار ، ويفارق صحبة الأشرار ؛ لأن مودة الأخيار سريع اتصالها ، بطيء انقطاعها . ومودة الأشرار سريع انقطاعها ، بطيء اتصالها . وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ، ومن خادن الأشرار لم يسلم من الدخول في جنتهم .

قالواجب على العاقل أن يحتب أهل أريب ، لئلا يكون مريباً . فكما أن صحبة الأخيار تورث الخير ، كذلك صحبة الأشرار تورث الشر .

وأشدنى محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

عليك ياخوان القنات ؛ فإنهم قليل فصلهم دون من كنت تصحب
ونفسك أكرمها ، وصنّها ؛ فإنها متى ما تجالس سفة الناس تغضب

سمعت أبا يعلى يقول : سمعت إسحاق بن أبي إسرائيل يقول : سمعت سفيان

ابن عيينة يقول « من أحب رجلاً صالحاً فإنما يحب الله تبارك وتعالى »

أنيانا محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا عبد الله بن الصقر الكري ، حدثنا وهب بن محمد بن منبه البنانى ، قال : سمعت الحارث بن وحيه يقول : سمعت مالك بن دينار يقول « إنك أن تنقل الحجارة مع الأبرار خير من أن تأكل الخبيص ^(١) مع الفجار » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يدنس عرضه ، ولا يعود نفسه أسباب الشر بلزوم صحبة الأشرار ، ولا يُفرض عن صيانة عرضه ورياضة نفسه بصحبة الأخيار ، على أن الناس عند الخيرة يقين منهم أشياء ضد الظاهر منها .

أشدنى علي بن محمد البسامي :

وقل ما اخلوتى كلام امرئ . ولأنّ إلا كان مُرّ الفعّال

(١) الخبيص : نوع من الحلوى يصنع من التمر مخلوطاً بالسمن .

وربما اخلتولى كلامُ القتي وكان محموداً على كل حال
فكلُّ هذه أنت راه إذا تُصَاحِبُ الناس ، وتبلو الرجالُ

حدثنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي ، حدثنا نصر بن علي ، أنبأنا نوح
ابن قيس ، حدثنا حوشب عن الحسن في قوله (٢٥ : ٦٣) وعباد الرحمن الذين
يمشون على الأرض هونا قال « حُمَاءُ علماء ، صَبْرٌ ثَبَّتْ ^(١) إِنْ ظَلَمُوا لَمْ يَظْلَمُوا
وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَبْغُوا ، قَدْ بَرَّاهِمُ الخوفُ كَأَنَّهُم القِدَاحُ »

أنبأنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي ، حدثنا سريج بن يونس ، حدثنا شجاع
ابن أبي نصر أبو نعيم القاري عن أبي عمرو بن العلاء ، قال « رَأَى سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ
وَأَنَا جَالِسٌ مَعَ الشَّبَابِ ، قَالَ : مَا يَجْلِسُكَ مَعَ الشَّبَابِ ؟ عَلِيكَ بِالشَّيْخِ »

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو أسامة عن
سفيان عن أبي المحجَّل عن ابن عمران بن حطان عن أبيه قال : قال أبو الدرداء
« لصاحبٍ صالحٍ خيرٌ من الوحدة ، والوحدة خيرٌ من صاحبِ السوء ، ومملى
الخير من الساكت ، والساكت خيرٌ من مملى الشر » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يصاحب الأشرار ؛ لأن صحبة صاحب
السوء قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ ، تُعَقِبُ الضَّعَائِنَ ، لا يستقيم وده ، ولا يفي بعهده .
وإن من سعادة المرء خصالاً أربعا : أن تكون زوجته موافقة ، وولده أبرارا ،
وإخوانه صالحين ، وأن يكون رزقه في بلده .

وكل جليس لا يستفيد المرء منه خيرا تكون مجالسة الكلب خيرا من عشرته ،
ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم ، كما أن من يدخل مداخل السوء يُثْمَمُ .

(١) صبر - بضمين - جمع صبور ، وثبتت - بضمين - جمع ثبيت ، وضم
فتشديد الباء مفتوحة جمع ثابت مثل راكم وركع . وبرايم : أى أغلهم وأهزلهم .

وما أشبه حجة الأشرار إلا بما أنشدني منصور بن محمد الكريزي .

فلو كان منه الخير إذ كان شره عتيداً^(١) ضربت الخير يومامع الشر
ولو كان لاخيراً ولا شر عنده رضيت أعمري بالكفاف مع الأجر
ولكنه شرٌّ ، ولا خيراً عنده وليس على شرٍ إذا طال من صبر

أخبرنا إسحاق بن إبراهيم القاضي ، حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا
ابن علية عن يونس عن الحسن قال « أيها الرجل ، إن أشد الناس عليك فقداً
لرجلٍ إذا فرغت إليه وجدت عنده رأياً ، ووجدت عنده نصيحة ، بينما أنت كذلك
إذ فقدته ، فالتمت منه خلفاً فلم تجده .

أخبارنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندی ، حدثنا
عبد الله بن سليمان ، قال : قال جعفر بن محمد « من كان فيه ثلاث فقد وجب له
على الناس أربع : إذا خانطهم لم يظلمهم ، وإذا حدّثهم لم يكذبهم ، وإذا وعدهم
لم يخلفهم . وعلى الناس : أن يظهروا عدله ، وأن تكلم فيهم مروءته ، وأن يجب
عليهم أخوته ، وأن يحرم عليهم غيبته .

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

أحب خيار الناس أين لقيتهم خيراً الصحابة من يكون ظريفاً
والناس مثل دراهم مبرتها فرأيت فيها فضة وزيوفاً
أخبرنا ابن قحطبة ، حدثنا عباس بن عبد العظيم ، حدثنا إسماعيل بن
عبد الكريم ، حدثنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهبا يقول « إن الله ليحفظ
بالعبد الصالح القبيل من الناس »

(١) العتيد : اللّازم ، يقول : لو كان عنده شيء من الخير لذهب خيره بشره ،
فكان كفافاً .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يستعيز بالله من حجة من إذا ذكر الله لم يُعنه ، وإن نسي لم يدكره ، وإن غفل حرضه على ترك الذكر .
ومن كان أصداؤه أشراطاً كان هو شرهم ، وكما أن الخير لا يصحب إلا البرة ، كذلك الردى لا يصحب إلا الفجرة ؛ فإن المرء إذا اضطره الأمر فليصحب أهل المروءات ، لأن محمد بن عثمان العتيبي قال : حدثنا أحمد بن داود البصرى ، حدثنا ابن عائشة قال : قال عبد الواحد بن زيد « جالسوا أهل الدين من أهل الدنيا ولا تجالسوا غيرهم ، فإن كنتم لأبد قاعلين ، فجالسوا أهل المروءات ؛ فإنهم لا يرفثون^(١) في مجالسهم »

ذكر كراهية التلون في الوداد بين المتواخين

أبانا محمد بن الحسن بن قتيبة بعسقلان ، حدثنا إبراهيم الحوراني ، حدثنا بكار بن شعيب ، حدثنا ابن أبي حازم عن أبيه عن سهل ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا خير في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له »
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل إذا رزقه الله ود امرئ مسلم صحيح الوداد محافظ عليه : أن يتمسك به ، ثم يوطن نفسه على صلته إن صرمه ، وعلى الإقبال عليه إن صد عنه ، وعلى البذل له إن حرمه ، وعلى الدنو منه إن باعده ، حتى كأنه ركن من أركانه ، وإن من أعظم عيب المرء تلونه في الوداد .

وأشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

وكم من صديق ودّه بلسانه خؤون بظهر الغيب لا يتندم

(١) الرفث : الفاحش من القول ، وما يتعلق بالنساء وأسرارهن .

يضاحكني كرها نكيا أودّه وتنبّعتني منه إذا غبتُ أسهم

أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثني بن أبي شيبة ، قال : قال الأصمعي :
قال رجل من الأعراب « من أعجز الناس من قصر عن طلب الإخوان ،
وأعجز منه : من ظفر بذلك منهم فأضاع مودتهم . وإنما يحسن الاختيار لغيره
من أحسن الاختيار لنفسه »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يقصر في تعاهد الوداد ، ولا يكون
ذالونين ، وذال قلبين ، بل يوافق سره علانته ، وقوله فعله ، ولا خير في متأخين
ينمو بينهما الخلل ، ويزيد في حالهما الدغل .

كما أنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

لحا الله^(١) من لا ينفع الودّ عنده ومن حبه إن مدّ غير متين
ومن هو ذو لونين ليس بدائم على الوصل خوآن لكل أمين
ومن هو ذو قلبين ، أما نقاؤه فحلو ، وأما غيبه فظنين
ومن هو إن تحدرت له العين نظرة يقطع بها أسباب كل قرين
وأنشدني عمرو بن محمد النسائي لابن الأعرابي :

العين تيدى الذي في نفس صاحبها من الشناة^(٢) ، أو ودي إذا كانا
إن البغيض له عين يصد بها لا يستطيع لما في الصدر كتانا
العين تنطق والأفواه ساكنة حتى ترى من ضمير القلب تبيانا
وأنشدني علي بن محمد البسامي :

(١) لحا الشجرة يلحوها : قشر لحاها ، ولحاه الله لحيا : أى قبحه واضه . كذا

على اللسان .

(٢) الشناة : البغض والكراهية .

وجارٍ لا تزالُ تزورُ منه قوارصُ لا تنامُ ولا تُنمِ (١)
 قريبُ الدارِ نأى الوترِ منه معاندةٌ ، أبت لا تستقيم (٢)
 يبادرُ بالسلامِ إذا التقينا وتحت ضلوعه قلب سقيم

أبناؤنا محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا أحمد بن محمد بن بكر الأبنوي عن هشام بن عبد الملك البزني ، قال : قال المقنع الكندي :

أبلُ الرجالِ إذا أردت إخاءهم وتوسمتُ أمورهم وتفقَّدت (٣)
 فإذا ظفرت بذي اللبابة والتقى فيه اليدين قريرَ عينٍ فاشدُدِ
 ومتى يَزَلْ ، ولا محالة ، زلةً فقل أخيك بفضل رأيك فاردد
 وإذا الخنى تقض الخبي في موضع ورأيت أهل الطيش قاموا فاقمُدِ

أخبرنا عبد الله بن قحطبة ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا الوليد عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يا بني عليك بالحبيب الأول ، فإن الآخر لا يمدله »

أبناؤنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا أحمد بن بكر بن سيف ، حدثني محمد ابن حسين قال « كان أعرابي بالكوفة ، وكان له صديق ، وكان يظهر له مودة ونصيحة ، فاتخذ الأعرابي من عدده للشدائد إذ حزب الأعرابي أمر ، فأتاه ، فوجده بعيداً مما كان يظهر للأعرابي ، فأنشأ يقول :

(١) يقول : ورب جارٍ لا يزال يبعث إلى بالملونات من القول ، والسلب والتفويض حتى أقض مضجعي ، فلا قوارص تنام يوماً بل هي مستمرة ، ولا هي تتركني أنام .

(٢) يقول : إن شره وأذاه أسرع إلى كل من كان أقرب منه ، من أجل المعاندة والمكايمة بفعل ذلك .

(٣) أبل الرجال : اختبرهم وامتحانهم .

إذا كان وُدُّ المرءِ ليس بزائدٍ على «مرحباً» أو «كيف أنت» وحالهما؟^(۱)
وليك إلا كاشراً، أو محدثاً فأقرب لودِّي ، ليس إلا كذلك
نسانك معصونٌ ونفسك بشَّةٌ وعند الثريا من صديقك مالُكا
وأنت إذا همتَ يمينك مرَّةً لفعل خبيراً ، قاتلتها شمالُكا

سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول : قال
محمد بن حازم :

وإن من الإخوانِ إخوانَ كَثْرَةٍ وإخوان «حيتاك الإله» ، و«مرحباً»
وإخوان : كيف الحال والأهل كله؟ وذلك لا يسوى نقيراً مترجياً
جواد إذا استغثت عنه بماله يقول : إلى القرض ، والقرض فاطلباً
فإن أنت حاولت الذي خلف ظهره وجدت الثريا منه في البعد أقرباً
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يصادق المتنون ، ولا يؤاخى الثقلب ،
ولا يظهر من النوداد إلا مثل ما يضر ، ولا يضر إلا فوق ما يظهر ، ولا يكون
في النوايب عند القيام بها إلا ككونه قبل إحداثها والدخول فيها ، لأنه لا يجمد
من الإخاء ما لم يكن كذلك .

وأشدنى محمد بن المنذر وأشدنى محمد بن خلف التيمي ، أشدنى رجل
من خزاعة :

وليس أخى من ودّنى بلسانه ولكن أخى من ودّنى فى النوايب
ومن ماله مالى ، إذا كنت معدماً ومالى له ، إن عَصَّ دهر يغارب
فلا تحمدن عند الرخاء مؤاخياً فقد تُنكر الإخوانُ عند المصائب
وما هو إلا كيف أنت ومرحباً وبالبيض رَوَّاع كَرَوَّع الثعالب^(۲)

أخبرنا ابن قحطبة ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا أبو معاوية عن هشام
ابن عروة عن أبيه قال : مكتوب فى الحكمة « أحبب خليلك و خليل أهلك »

(۱) قدم أولها وثانيها مع بيتين آخرين فى ص ۹۷ (۲) أراد بالبيض الدرهم .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أعظم الأمارات على معرفة صحة الوداد وسقمه : ملاحظة العين إذا تَلَخَّتْ ، فإنها لا تكاد تبدي إلا ما يضر القلب من الود ، ولا يكاد يخفى ما يجنه الضمير من الصد ، فالعاقل يعتبر الود بقلبه وعين أخيه ، ويجعل له بينهما مسلكاً لا يردده عن معرفة صحته شئاً تخيله .

ولقد أخبرنا محمد بن المهاجر العدل ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي ، حدثنا علي بن محمد اللذهبي عن محمد بن إبراهيم العباسي عن عبد الله بن الحجاج مولى المهدي وعن إبراهيم بن شكلة^(١) قال « إعلم أن من أظهر ماتحب أو ماتكره فإنما لك أن تقيس ما أضر قلبه بالذي أظهر لسانه ، وليس لك أن تعرف ما أسر ضميره ، فعامله على نحو ما يبدي لك لسانه » وفي ذلك أقول :

ليس السوء إذا تغيب سوءه	عنى بمنزلة السوء المعلن
من كان يظهر ما أحب فإنه	عندى بمنزلة الأمين المحسن
والله أعلم بالقلوب ، وإنما	لك ما بدا لك منهم بالأسن
ولقد يقال خلاف ذلك إنما	لك ما بدا لك منهم بالأعين

غير أن خالى خالفنى فى ذلك ، وزعم أن الأعين أبين شهادة على ما فى القلوب من الأسن . وكتب فى ذلك رسالة « أما بعد ، فقد بدالى من صدك ، ما آيسنى من ودك ، ولم يزل يخبرنى لحظك ، ماتضر لى من بنضك » وكتب فى أسفل ذلك :

وما أحب إذا أحببت مكتماً	يبدى العداوة أحياناً ويخفيها
تظل فى قلبه البغضاء كاسنة	فالقلب يكتمها والعين تبديها
والنفس تعرف فى عيني مخدتها	من كان من سلبها أو من أعادها
عينك قد دلتنا عيني منك على	أشياء لولاها ما كنت أدر بها

(١) شكلة - بكر الشين وفتحها - أمه ، وهو إبراهيم بن المهدي العباسي .

أخبرنا الخلابي ، حدثنا أحمد بن محمد الصوفي ، حدثنا محمد بن صالح البغدادي قال : سمعت إبراهيم الحنيني يقول « دلالة الحب تعرف في الحب ، وإن لم ينطق لسانه »

ذكر ائتلاف الناس واختلافهم

أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع السخيتاني ، حدثنا عبد الأعلى بن حماد الفريسي ، حدثنا حماد بن سلمة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف »

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطويل قال : قال علي « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سبب ائتلاف الناس واقتراهم - بعد القضاء السابق - هو تعارف الأرواح ، وتناكر الأرواح ، فإذا تعارف الروحان وجدت الألفة بين نفسيهما ، وإذا تناكر الروحان وجدت الفرقة بين جسيهما .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن عبد الله بن مهران ، حدثنا يوسف ابن يعقوب الصفار ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي يحيى عن مجاهد قال : رأى ابن عباس رجلا فقال « إن هذا ليحبنى ، قالوا : وما علمك ؟ قال : إني لأحبه ، والأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

وأشدني محمد بن أبي علي الخلابي ، أشدني أحمد بن محمد بن بكر الأبنوي . إن القلوب لأجناد مجندة لله في الأرض بالأهواء تعترف فما تعارف منها فهو مؤتلف وما تناكر منها فهو مختلف

أنبأنا ابن مكرم بالبصرة ، حدثنا بشر بن الوليد ، حدثنا الحكم بن عبد الملك
عن قتادة في قول الله تعالى (١١ : ١٢٠) إلامن رحم ربك ، ولذلك خلقهم قال :
للرحمة والطاعة ، فأما أهل طاعة الله فتولبهم وأهواؤهم مجتمعة ، وإن تفرقت ديارهم ،
وأهل معصية الله فتولبهم مختلفة ، وإن اجتمعت ديارهم .

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

فما تُبصر العينان والقلب آلف ولا القلب والعينان منطبقان
ولكن هما روحان تعرض ذى لذي فيعرف هذا ذى فيلتقيان .
قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أعظم الدلائل على معرفة ما فيه المرء
من قلبه وسكونه : هو الاعتبار بمن يحادثه ويوده ، لأن المرء على دين خليله ،
وطير السماء على أشكالها تقع .

وما رأيت شيئاً أدلّ على شيء ، ولا الدخان على النار ، مثل الصاحب على
الصاحب . وأنشدني الأبرش :

يقاس المرءُ بالمرء إذا ما هو ماشاه
وذو العرِّ إذا ما احتسك ذا الصحة أعدام^(١)
وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه
وللروح على الروح دليل حين يلقاه

حدثنا أبو خليفة ، حدثنا محمد بن كثير العبدى ، أنبأنا سفيان عن أبي إسحاق
عن هيرة ، قال : اعتبر الناس بأخذانهم^(٢) .

(١) العر - بضم العين للهامة - الجرب . يقول : إن الصديق يعدى صديقه
كما يعدى الأجرى السليم .

(٢) اعتبر : قس ، والأخذان : جمع خدن - بالكسر - وهو الصديق .

أبنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن موسى الأخباري ، حدثنا محمد بن صالح العدوي ، حدثنا الحسين بن جعفر بن سليمان الضبي قال : سمعت أبي يقول : سمعت مالكا يقول « الناس أشكال كأجناس الطير ، الحمام مع الحمام ، والغراب مع الغراب ، والبيط مع البيط ، والصفو مع الصفو ^(١) وكل إنسان مع شكله » وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

يزين القتي في قومه ويشبهه وفي غيرهم : أخذائه ومداخله
لكل امرئ شكل من الناس مثله وكل امرئ يهوى إلى من يشاكله
وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

إن كنت حات ، وبني استبدلت مطرًا ودا ، فلم تأت مكروها ولا بدعا
فكل طير إلى الأشكال موقعا والفرع يجرى إلى الأعراق منتزعا
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يجتنب مما شاة المريب في نفسه ، ويفارق صحبة المتهم في دينه ؛ لأن من صحب قوما عُرِفَ بهم ، ومن عاشر امرأ نُسب إليه ، والرجل لا يصاحب إلا مثله أو شكله ، فإذا لم يجد المرء بدا من صحبة الناس تحمري صحبة من زانه إذا صحبه ، ولم يشنه إذا عرف به ، وإن رأى منه حسنة عدّها ، وإن رأى منه سيئة سترها ، وإن سكت عنه ابتداء ، وإن سأله أعطاه .

فأما اليوم فأكثر أحوال الناس تكون ظواهرها بخلاف بواطنها . وما أشبه عشرتهم إلا بما أخبرني محمد بن يعقوب البغلاني ، حدثني عبد الصمد بن الفضل حدثنا الحسين بن سهل التياص عن أبي عبيدة قال « تكلم عصفور في بني إسرائيل مع قنجر ، فقال العصفور : انحناؤك لماذا ؟ قال : من العباداة . قال : دفنك في التراب لماذا ؟ قال : من التواضع . قال : فما هذا الشعر ؟ قال : هذا لباسي . قال :

(١) الصفو : طائر أصفر من العصفور أحمر الرأس .

ما هذا الطعام؟ قال : هذا أعددتُه لعابر السبيل . قال : فتأذن لي فيه؟ قال :
نعم . قال : فنقر العصفور نقرَةً فأخذ بعنقه ، فجعل العصفور يقول : شغ شغ
شغ . وقال : والله لا يغرنى قارىء بعدك أبداً .

وأشدني محمد بن أبي علي لابن أبي القيش :
إن كنت تبني العلم أو نحوَه أو شاهداً يخبر عن غائب
فاعتبر الأرض بأسمائها واعتبر الصاحب بالصاحب
وأشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

تعارفُ أرواحُ الرجال إذا التقوا ففهم عدو يُتقى و خليل
كذلك أمور الناس والناس منهم خفيف إذا صاحبه وثقيل

وأشدني للمتصر بن بلال الأنصاري :

اجعل قرينك مَنْ رضيت فعاله واحذر مقارنة القرين الشائن
كم من قرين شائن لقرينه ومُهجن منه نكل محاسن
قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من الناس من إذا رآه المرء يعجب به ، فإذا
ازداد به علماً ازداد به عجباً ، ومنهم من يبغضه حين يراه ، ثم لا يزداد به علماً
إلا ازداد له مَقْتاً ، فاتفقهما يكون بائناً الروحين قديماً ، وافتراقهما يكون
بافتراقهما ، وإذا اختلفا ثم افترقا فإراق حياة من غير بُغض حادث ، أو فراق
مات ، فهناك الموت النظيف ، والأسف الوجيع ، ولا يكون موقف أطول غمّة ،
وأظهر حسرة ، وأدوم كآبة ، وأشد تأمناً ، وأكثر تلهفاً من موقف الفراق
بين المتواخين ، وما ذاق ذائق طعماً أمراً من فراق الخليلين ، وانصرام القرينين .
حدثنا محمد بن يعقوب الخطيب قال : سمعت معمر بن سهل يقول : سمعت

جعفر بن عون يقول : سمعت مسعر بن كدام يقول :

لن يلبث القرناء أن يتفرقوا نيل يَكِرُّ عليهم ونهار
أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري ، حدثنا
الزبير بن بكار ، حدثني محمد بن موسى أبو غزيرة قال : كان أبو العتاهية إذا
قدم المدينة يجلس إلى ، فأراد مرة الخروج فودعني ، وقال :
إن نَعِشْ نَجْتَمِعْ ، وإلا فما أَشْقَلْ من مات عن جميع الأنام
حدثنا محمد بن أبي علي ، قال : أنشدنا محمد بن موسى السمرى ، أنشدنا
أحمد بن عبد الأعلى الشيباني :

فيا عجبا من يَمُدُّ يمينه إلى إلفه عند الفراق ، فيسرع
ضعفتُ عن التوديع لما رأيته فصالحته بالقلب ، والعينُ تدمع
وأنشدني ابن فياض للبحترى :

الله جارك في انطلاقتك تلقاء شامك ، أو عراقك
لانعم — ذننني في مسي رى حيث سرت ، ولم ألاقك
إني خشيت موافقا للبين نسفح غرب ما فاك^(١)
وعدت ما يخشى المودع عند ضمك واعتناقك
فتركت ذلك تعمداً وخرجت أهرب من فراقك

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

أفي كل يوم حَيَّةَ البين تفرع وعيني ليين من ذوى الود تدمع
فلا النفس من تهيأها مستفيقة ولا بالذي يأتي به الدهر تقنع^(٢)

(١) تسفح : تريق . والغرب : الدلو الكبير ، والملاق : الموق ، شبه موق عينه بالدلو
الكبيرة لكثرة ما يندرف من الدموع عند الفراق .

(٢) التهيام : الهيام ، وهو شدة الحب ، ووقع في الأصل « تهامها » وأحسبه
محرفاً عما أثبت .

وأشدنى محمد بن بندار بن أصرم :
أيقلبُ لاجزع من البين ، واصطبر
فليس لما يُقضى عليك بدافع
توكل على الرحمن إن كنت مؤمناً
يُجرك ، ودعنى من نحوس الطوالع
وكل الذى قد قدّر الله واقع
وما لم يُقدره فليس بواقع
وأشدنى عبد الرحمن بن يحيى بن حبيب الأندلسى لنفسه :

نطقت مدامه بما فى قلبه
فكأنه مما يقاسى قلبه
وعن الجواب لسانه لا ينطق
وكأنما الأشجان فى أحشائه
دنفٌ مريض أو أسير مؤثق
لغراق أهل الود نازٌ تحرق
كيف السلو ، وهل له من سلوة
من بان عن أحبابه يتفرق

قال أبو حاتم رضى الله عنه : السبب المؤدى إلى إظهار الجزع عند فراق
التواخين : هو ترك الرضا بما يوجب القضاء ، ثم ورود الشئ على مضمحل الحشا
بصد ما انطوى عليه قديماً ، فمن وطن نفسه فى ابتداء المعاشرة على ورود ضد
الجميل عليها من صحبتته ، وتأمل ورود المسكروه منه على غفلته ، لا يظهر الجزع عند
الغراق ، ولا يشكو الأسف والاحترق ، إلا بمقدار ما يوجب العلم إظهاره .
وقد أوعى بجماعة الغراق حتى إنهم خرجوا إلى ثلب الطيور ، ومدح
الدمن^(١) وتأولوا لمن نوح عليه السلام الغراب .

أبانا جعفر بن أحمد بن سنان القطان ، بواسط ، حدثنا عمرو بن محمد بن عيسى
الضبي ، حدثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، حدثنا الجريري ، عن أبي السليل
عن أبي سراوح قال « بعث نوح الغراب والحمامة حيث استقرت السفينة على
الجودى ، يلتسان له الجُدَّ - يعنى الأرض - فأما الغراب فرأى جيفة فوقه عليها

(١) الثلب : النقص والعيب والنم . والدمن : الأطلال وآثار الديار .

فَأَكَلَ مِنْهَا . وَأَمَّا الْحَمَامَةُ فَجَاءَتْ عَاضَةً عَلَى غِصْنِ شَجَرَةٍ بِطَيْنِ أَحْمَرَ . قَالَ :
فَدَعَا لِلْحَمَامَةِ بِالْبُرْكَ ، وَأَمَّا الْغُرَابُ فَلَعْنَهُ ، وَقَالَ لَهُ قَوْلًا شَدِيدًا .

أَبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْحَسَنِ الْبَغْدَادِيِّ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ
الْبَغْوِيُّ ، قَالَ : قَالَ سَلِيمُ بْنُ مَنْصُورٍ « أَمَرْتُ لِبْنِي فَاشْتَرَى لَهَا أَرْبَعَةَ غُرَابَانَ ،
فَلَمَّا رَأَتْهُنَّ صَرَخَتْ وَبَكَتْ ، وَكَتَفْتُهُنَّ ، وَجَعَلْتُ تَضْرِبُهُنَّ بِالسُّوْطِ حَتَّى قَتَلْتُهُنَّ
جَمِيعًا . وَأَنْشَأْتُ قَوْلًا :

فَطَارَ الْقَلْبُ مِنْ حَذْرِ الْغُرَابِ	لَقَدْ نَادَى الْغُرَابُ بَيْنَ لُبْنِي
وَتَنَأَى بَعْدَ وَدِ اقْتِرَابِ	وَقَالَ : غَدًا تُبَايِنُ دَارَ لِبْنِي
أَكَلَّ الدَّهْرُ سَمِيكَ فِي تَبَابِ	فَقُلْتُ : تَصِيتَ ، وَيَجْحَكُ مِنْ غُرَابِ
بِتَفْرِيقِ الْحُبِّ عَنِ الْحَبَابِ	لَقَدْ أَوْلَعْتُ لَا لَقُيْتُ خَسِيرًا

وَأَشَدُّنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيِّ الطَّرْفِيِّ ، قَالَ : أَشَدُّنِي عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ :

كَمَا قَدْ صَحَّتْ وَيَجْحَكُ بِالْبَعَادِ	غُرَابَ الْبَيْنِ ، وَيَجْحَكُ صَاحِبَ قَرِيبِ
فَمَا لَكَ بِالتَّوَاصِلِ لِاتِّسَادِي لَا	تَنَادَى بِالتَّفْرِيقِ كُلِّ يَوْمِ
تَمَرَّطَهُ الْبُرْزَاةُ بِكُلِّ وَادِي ^(١)	أَرَانِي اللَّهُ رِيَشَكَ عَنِ قَرِيبِ
وَأَلْقَيْتَ الْحَزَاةَ فِي فَوَادِي	كَمَا أَسَخَفْتَ يَوْمَ الْبَيْنِ عَيْنِي

أَبَانَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ ، بَهْمَذَانَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْكَبِيرِ بْنُ مُحَمَّدِ
الْأَنْسِيِّ ، حَدَّثَنَا بَعْضُ أَصْحَابِنَا ، قَالَ : مَرَرْتُ بِالْبَصْرَةِ عَلَى بَابِ دَارٍ ، فَإِذَا بِصَوْتِ
غُرَابٍ يُجَلِّدُ ، فَدَنَوْتُ مِنَ الدَّارِ فَإِذَا صَاحِبَةُ الدَّارِ ، وَبَيْنَ يَدَيْهَا جَوَارٌ ، وَهِيَ

(١) المرط - بفتح الميم وسكون الراء - نشف الريش . والبُرْزَاةُ : جمع بَزْر ،
وهو من الطيور الكاسرة .

تأمر بجلده . قلت : أما تتفون الله في هذا الغراب . فقلن لي : هذا الغراب الذي قيل فيه :

ألا يا غراب البين قد طرأت بالذي أحاذر من لُبِّي ، فهل أنت واقع ؟
قلت : ليس هذا ذك الغراب . قالت : والله ما نراك تأخذ البري ، بالسقيم حتى تظفر بلك الغراب .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما شاكل هذه الحكايات والأشعار على التقصى في كتاب « الوداع والفراق » فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب ؛ إذ شرطنا فيه الإشارة إلى الشيء المحصول ، والإيماء إلى الشيء المقول .

ذكر الحث على زيارة الإخوان وإكرامهم

أبناؤنا الحسن بن سفيان ، حدثنا يزيد بن صالح اليشكري ، حدثنا حماد ابن سلمة ، عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن رجلا زار أخا له في قرية ، فأرصد الله على مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا ^(١) فقال : أين تريد ؟ فقال : أريد أخا لي في هذه القرية ، فقال : هل له عليك من نعمة تربها ؟ قال : لا ، إلا أنى أحبه في الله ، قال : أنى رسول الله إليك ، إن الله تبارك وتعالى أحبك كما أحبته »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل تهادي الزيادة للأخوان وتنفذ أحوالهم ؛ لأن الزائر في قصده الزيارة ، يشتمل على مصادفة معينين : أحدهما : استكمال الذخر في الآجل بتعبه ذلك . وقد قال بعض القدماء : إن

(١) أرصده : أقامه ينتظره ويترببه . والمدرجة : السلك الذي يدرج فيه . وتربها : أى تحفظها وتراعيها وتربها كما يربى الرجل ولده .

الرجل إذا زار أخاه في الله ، لم يبق في السماء ملك إلا حياه بتحية مستأنفة لا يحيه ملك مثله ، ولم تبق شجرة من شجر الجنة إلا نادى صاحبها : ألا إن فلان بن فلان زار أخا في الله ^(١)

والآخر : التلذذ بالمؤانسة بالأخ المزور ، مع الانقلاب بغنيمتين معا .
ولقد أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا العلابي ، حدثنا عبد الله بن رجاء الغدافي قال : كان عتبة الغلام يأوي المقابر والصحارى ، ثم يخرج إلى السواحل فيقيم بها ، فإذا كان يوم الجمعة دخل البصرة فشهد الجمعة ورأى إخوانه فسلم عليهم حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عفان ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثني بعض مشيختنا ، قال : قال عامر بن عبد قيس : إنما أجدني آسف على البصرة لأربع خصال : تجاوب مؤذنيها ، وظماء الهواجر ، ولأن بها إخواني ، ولأن بها وطني .

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن بشر الخطابي ، حدثنا محمد بن سهل التميمي ، قال : سمعت الثريابي يقول : جاءني وكيع بن الجراح من بيت المقدس وهو محرم بعمرة ، فقال : يا أبا محمد لم يكن طريقي عليك ، ولكني أحببت أن أزورك وأقيم عندك ، فأقام عندي ليلة ، وجاءني ابن المبارك ، وقد أحرم بعمرة من بيت المقدس ^(٢) فأقام عندي ثلاثا ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، أقم عندي عشرة أيام ، قال : لا ، الضيافة ثلاثة أيام .

(١) هذا من علم الغيب الذي لا ينبغي القول فيه إلا لله والرسول . وإلا كان قولاً على الله بغير علم . والله يقول (٧ : ٣٣) قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن — إلى قوله — وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون (

(٢) إنما مواقيت الإحرام بالحج والعمرة كمواقيت الصلاة ، حدها الله على رسوله =

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الناس في الزيارة على ضربين :

فمنهم من صحح الحال بينه وبين أخيه ، وتعمى عن وجود الخلل ، وورود
البعض فيه ؛ فإذا كان بهذا التعت ، أحببت له الإكثار من الزيارة ، والإفراط
في الاجتماع ؛ لأن الإكثار من الزيارة بين من هذا نعت لا يورث الملامة ،
والإفراط في الاجتماع بين من هذه صفته يزيد في الموانسة .

والضرب الآخر : من لم يستحكم الود بينه وبين من يواخيه ، ولا أداها الحال
إلى ارتفاع الحسنة بينهما فيما يتبدلان لمهنتيهما ؛ فإذا كان بهذا التعت أحببت له
الإقلال من الزيارة ؛ لأن الإكثار منها بينهما يؤدي إلى الملامة ، وكل مبدول
مملول ، وكل ممنوع مندود . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أخبار كثيرة
تصرح بنفى الإكثار من الزيارة حيث يقول « زُرْ غَيْبًا تَزِدُّ حُبًّا » إلا أنه لا يصح
منها خبر من جهة النقل ، فتكينا عن ذكرها وإخراجها في الكتاب ، وإليها
ذهب بعض الناس حتى ذكروها في أشعارهم .

من ذلك ما أنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

وقد قال النبي ، وكان بَرًّا إذا زرت الحبيب فزوره غَيْبًا
وأقلل زور من تهواه تزدد إلى من زرته مِقَّةً وحبا^(١)
وأنشدني محمد بن أبي علي :

إني رأيتك لي محبا وإني حين أغيب صَبًّا
فعمدت لا ملامة حَدَّثْتُ وَلَا اسْتَحَدَّثْتُ ذَنْبًا

وبيتهارسوله صلى الله عليه وسلم . وقال : ربنا سبحانه (٢ : ٢٢٩) ومن يتعد حدود
الله فأولئك هم الظالمون) وإنما أتى الأولون والآخرون من قبل التساهل في مثل هذا
التعدى متوهمين أنه مبالغة في العبادة ، وخير الهدى هدى عهد صلى الله عليه وسلم
(١) اللة : شدة الاشتياق .

إلا لقول نبينا : زوروا على الأيام رغبا

أنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا خالد بن أحمد الشيباني ، حدثنا سعيد ابن عنبسة ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي ، قال : سمعت الحسن بن صالح يقول : كل مودة لاتزداد إلا بالالتقاء مدخولة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من صحح الحال بينه وبين الإخوان لم يضره قلة الاجتماع ، لاستحكام الحال بينهما ، واللودة إذا أضر بها قلة الالتقاء تكون مدخولة ، وأما من لم يحل في نفس صحة الحال ، ولم يستحكم أسباب الوداد ؛ فالتوقى من الإكثار في الزيارة أولى به ، لثلا يستقل ويمك .

وأنشدني الخلابي ، أنشدني أحمد بن محمد الصيداوى :

عليك بإقلال الزيارة إنها تكون إذا دامت إلى الهجر مسلكا
فإن رأيت القطر يأم دائما ويسأل بالأيدى إذا هو أسكا
وأنشدني الكريزي :

أقلل زيارتك الخيب تكون كالثوب استجدّه

إن الصديق يمه أن لا يزال براك عنده

وأنشدني أوس بن أحمد بن محمد بن أحمد ، لأبي تمام :

وطول مقام المرء في الحى مخنق لدياجتبه^(١) ، فاغترب تنجدد

فإن رأيت الشمس زيدت محبة إلى الخلق إذ ليست عليهم بسرمد

أنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أحمد بن زنجويه ، حدثنا حسين بن الوليد ،

حدثنا عبد الله بن المؤمل عن ابن أبي مليكة قال : قال ابن عباس « أكرم الناس

على جلسى الذي يتخطى رقاب الناس حتى يجلس إلى » .

(١) الدياتان : الحدان .

أنيابنا مكحول ببيروت ، حدثنا عبيد بن محمد بن هارون ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة في قوله تعالى (٤٢ : ٢٦) ويستجيب الذين آمنوا و عملوا الصالحات) قال : يشفعون في إخوانهم (ويزيدهم من فضله) قال : يشفعون في إخوان إخوانهم .

ذكر صفة الأحمق والجاهل

أنيابنا محمد بن نصر بن نوفل ، أنيابنا أبو داود السنجي ، حدثنا أبو عاصم ، عن شبيل بن عزرة ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل الجلّيس الصالح مثل العطار ، إن لم يعطك شيئاً يُصَبِّك من عطره . ومثل الجلّيس السوء مثل القَيْن ، إن لم يحرق ثوبك ، أصابك من دخانه »^(١) قال أبو حاتم رضى الله عنه : شبيل بن عزرة هذا من أفاضل أهل البصرة وقرائهم ، ولسكنه لم يحفظ إسناد هذا الخبر ؛ لأن أنس بن مالك سمع هذا الخبر من أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، تقصر به شبيل ولم يحفظه .
والواجب على العاقل ترك صحبة الأحمق ، ومجانبة معاشرته التوكّي ، كما يجب عليه لزوم صحبة العاقل الأريب ، وعشرة القطن اللبيب ؛ لأن العاقل وإن لم يصيبك الحظ من عقله ، أصابك من الاعتبار به . والأحمق إن لم يُعَدِّك حقه تدنست بعشرته .

ولقد أنيابنا الحسين بن محمد السنجي حدثنا إبراهيم بن أبي داود البرسلي حدثنا زهير بن عباد حدثنا شهاب بن خراش عن أبيه عن يسير بن عمرو - وكان قد أدرك الصحابة - قال : أهدج الأحمق ، فليس للأحمق خير من هجرانه .

(١) وقع هنا في المطبوعة السابقة أربع صحائف ليست من هذا الباب في شيء ،

أبيان، محمد بن المهاجر المعدل حدثنا محمد بن أبي يعقوب الرضي حدثنا أحمد
ابن إسحاق الخشاب عن الأصمعي عن سلمة بن بلال قال : كان فتى يعجب عليَّ
ابن أبي طالب ، فرآه يوماً وهو يمشي رجلاً متهماً ، فقال له :

لا تصحب الجاهل إِيَّاكَ وإياه
فكم من جاهل أردى حلماً حين آخاه
يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه
والشيء من الشيء مقاييس وأشباه
والقلب على القلب دليل حين يلتساء (١)

وأشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

اختر ذوى التميز واستبقهم وجانب النوكى وأهل الريب
فصحبة العاقل زين الفتى وصحبة الأنوك أخذ السبب
قال أبو حاتم رضى الله عنه : من علامات الحق التى يجب للعاقل تفقدها
من خفى عليه أمره : سرعة الجواب ، وترك التثبت ، والإفراط فى الضحك ،
وكثرة الالتفات ، والوقية فى الأخيار ، والاختلاط بالأشرار .
والأحق إذا عرضت عنه اعتم ، وإن أقبلت عليه اغتر ، وإن حطت عنه
جهل عليك ، وإن جهلت عليه حلم عنك ، وإن أسأت إليه أحسن إليك ، وإن
أحسنت إليه أساء إليك ، وإذا ظلمته انتصفت منه ، ويظلمك إذا أنصفته .
وما أشبه عشرة الحق إلا بما أنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

(١) فى نسبة ذلك الشعر إلى على رضى الله عنه نظر ، فلقد نحل كثيراً من
الشعر والنثر ، بل ألصق به كثير مما فى كتاب نهج البلاغة ، وصفة البلاغة الحديثة ،
وعقيدة الاعتزال صارخة منه بأن أكثر الكتاب من صنع الشريف الرضى أو آخر
من شكله .

لى صديق يرى حقوقى عليه نافات وحقه كان فرضا
لو قطعت الجبال طولاً إليه ثم من بعد طولها سيرت عرضاً
راى ماصنعت غير كبير واشتهى أن أزيدنى الأرض أرضاً

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن الجنيد قال : قال لى أبو طاهر
ابن السرح قال : حدثنى خالى أبو رجاء عبد الرحمن بن عبد الحميد عن سعيد بن
أبى أيوب قال : لا تصاحب صاحب سوء ، فإنه قطعة من النار ، لا يستقيم وده
ولا ينى بعده .

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

لن يسمع الأحق من واعظ فى رفعه الصوت وفى همسه
لن تبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه
والحمق دالا ، ماله حيلة تُرجى ، كبعد النجم فى لمسه

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أظلم الظلمات الحق ، كما أن أفتد البصائر
العقل ، فإذا امتحن المرء بشرة الأحق كان الواجب عليه لزوم لأخلاق نفسه ،
والمباينة لأخلاقه ، مع الإكثار من الحمد لله على ما وهب له من الانتباه لما حرم
غيره التوفيق له ، فإن جرى الأحق فى صحبتته ميدانه فى عشرته فالواجب على
العاقل لزوم السكوت حينئذ فى أوقاته ، لأن أبا حمزة محمد بن عمر بن يوسف
أنبأنا بنسأ حدثنا نصر بن على الجهضمى حدثنا ابن داود قال : سمعت الأعمش
يقول : السكوت للأحق جواب .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : وإن من الحق من لا يصدّه عن سلوكه
السكوت عنه ، ولا يدفعه عن دخول المساكن الإغضاء عنه ولا ينفعه .

فالعاقل إذا امتحن بشرة من هذا نعته تكلف بعض التجاهل فى الأحايين

لأن بعض الحلم إذعان ، كما أن استعماله في بعض الحالات قطب العقل .
ولقد أنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

لئن كنت محتاجا إلى الحلم إني إلى الجهل في بعض الأحيان أحوج
ولي فرس للحلم بالحلم ملجَم فمن شاء تقويمي فإني مقوم
ومن شاء تمويجي فإني معوج ولكنني أرضى الجهل خدينا ولا أخا
ولكنني أرضى به حين أُخرجُ فإن قال بعض الناس : فيه سماجة ،
فقد صدقوا ، والذل بالجر أسهج
وأنشدني علي بن محمد البسامي :

إن تُرضِيَ الرَّذْلَ إلا حين تسخطه وليس يسخط إلا حين ترضيه
ولا يسوءك إلا حين تكرمه ولا يبرك إلا حين تقصيه
حدثنا أبو يعلى حدثنا سريج بن يونس حدثنا أبو سفيان العمري عن سفيان
الثوري قال : ابن آدم لم يخلق إلا أحق ، ولولا ذلك لم ينعمه عيشه .

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا عصام بن الفضل الرازي حدثنا الزبير بن
بكار عن محمد بن حرب قال : قال عبد الله بن حسن لابنه : يا بني احذر الجاهل ،
وإن كان لك ناصحا ، كما تحذر العاقل إذا كان لك عدوا ؛ فيوشك الجاهل أن
يورطك بمشورته في بعض اغترارك ، فيسبق إليك مكر العاقل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ومن شيم الأحمق العجلة ، والخفة ، والعجز ،
والفجور ، والجهل ، والملقت ، والوهن ، والمهانة ، والتعرض ، والتعاسف ، والظلم ،
والخيانة ، والغفلة ، والسهو ، والنسي ، والفحش ، والفخر ، والخيلاء ، والعدوان ،
والبغضاء .

وإن من أعظم أمارات الحق في الأحمق لسانه ؛ فإنه يكون قلبه في طرف
لسانه ، ، ما خطر على قلبه نطق به لسانه .

والأحق يتكلم في ساعة يكلام يعجز عنه سبحانه وائل ، ويتكلم في الساعة
الأخرى بكلام لا يعجز عنه بأقل .

والعاقل يجب عليه مجانبية مَنْ هذا نعته ، ومخالطة مَنْ هذه صفة ، فإنهم
يجترئون على من عاشرهم . ألا ترى الزُّطَّ (١) ليسوا هم بأشجع الناس ، ولكنهم
يجترئون على الأسد لكثرة ما يرونها .

وأشدنى محمد بن يوسف بن أيوب الأرمني :

وَأَكْبَرُ يَعَادِي عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحَقُّ
فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَصَادِقَ أَحَقًّا إِنْ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مَصْدَقٌ

وأشدنى منصور بن محمد الكريزي أشدنى أبي لصالح بن عبد القدوس :

أَحْذَرُ الْأَحْقَ أَنْ تَصَحَبَهُ إِنَّمَا الْأَحْقُ كَالثُوبِ الْخَلْقُ

كَمَا رَفَعْتَهُ مِنْ جَانِبِ حَرَكَتِهِ الرِّيحُ وَهَنًا فَأَخْرَقَ

أَوْ كَصَدْعٍ فِي زُجَاجٍ فَاحْشَ هَلْ تَرَى صَدْعَ زُجَاجٍ يَلْتَصِقُ ؟

كحجار السوء ، إن أفضته (٢) رَمَحَ النَّاسَ ، وَإِنْ جَاعَ نَهَقَ

وَإِذَا جَالَسْتَهُ فِي مَجْلِسٍ أَفْسَدَ الْمَجْلِسَ مِنْهُ بِالْخُرْقِ

وَإِذَا نَهَيْتَهُ كَيْ يَرْغَبِي زَادَ شَرًّا ، وَتَمَادَى فِي الْحَقِّ

عجبا للناس في أرزاقهم ذَلِكَ عَطْشَانٌ ، وَهَذَا قَدْ غَرِقَ

أبناءنا يعقوب بن إسحاق القاضي ، حدثنا أبو هاني عبد الحميد بن عبد الله

حدثنا عبد النعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : الأحق كالثوب الخلق ، إن

رفأته من جانب انخرق من جانب آخر ، مثل الفخار المكسور ، لا يرقع ولا

يُشْعَبُ ، ولا يعاد علينا .

(١) الزط : جنس من السودان والهنود طوال الأجسام مع نحافة .

(٢) أفضته : علفته القمام - بضم القاف وبتشديد الصاد - وهو نبت من الخض

فهذا مثل الأحمق : إن صحبته عناك ، وإن اعتزلته شتمك ، وإن أعطاك من عليك ، وإن أعطيته كفرَكَ ، وإن أسرَّ إليك اتَّهمك ، وإن أسررت إليه خانك ، وإن كان فوقك حَقَّرَكَ ، وإن كان دونك غمزَكَ .

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

اعلم بأنَّ من الرجال بهيمة في صورة الرجل السميع للبصر
فطنا بكل مصيبة في ماله وإذا يصاب بدينه لم يشعر

وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

وإنَّ عناء أن تفهمَّ جاهلاً فيحسبَ جهلاً أنه منك أعلمُ
وتشخص أبصار الرعاع تعجباً إليه ، وقالوا : إنه منك أفهم

(١) قال أبو حاتم رضي الله عنه : الأحمق يتوهم أنه أعقل من رُكِّب فيه الروح ، وأن الحق قَسَمَ على العالم غيره ، والأحمق مُبَغِّضٌ في الناس ، مجهول في الدنيا ، غير مرضى الممل ، ولا محمود الأمر عند الله وعند الصالحين ، كما أن العاقل محبب إلى الناس ، مُسَوِّدٌ في الدنيا ، مرضى العمل عند الله في الآخرة ، وعند الصالحين في الدنيا .

أبياًنا محمد بن المنذر بن سعيد ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندي ، حدثنا عبد الله بن سليمان ، قال : كان الحسن يقول : أنا للعاقل المدبِّر أرجى مني للأحمق المقبل .

وأنشدني المتصر بن بلال الأنصاري :

وما التقي إلا أن تُصاحبَ غاوباً وما الرشداً إلا أن تصاحب من رَشَدُ
ولن يصحَبَ الإنسانَ إلا نظيره وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد

(١) من هنا يتبدى الكلام الذي نهى على أنه وضع في ص ١٢٤ في الطبوعة السابقة خطأ .

وأشدنى على بن محمد البسامي :
لنا جليس تارك للأدب جليسه من نوكة في تعب
يفضب جهلا عند حال الرضا عمداً ، ويرضى عند حال الغضب
فتحن منه كلما جاءنا في عجب قد جاز حدَّ العجب
كأنه من سوء تأديبه أسلم في كتاب سوء الأدب

أبانا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن أبي يعقوب الربي ، حدثنا عبدالله
ابن موسى البصري ، حدثنا العتيبي ، قال : سمعت أعرابياً يقول : العاقل بخشونة
العيش مع العقلاء أسر منه بلين العيش مع السفهاء .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : وإن من شيم العاقل : الحلم ، والصمت ، والوقار ،
والسكينة ، والوفاء ، والبذل ، والحسكة ، والعلم ، والورع ، والعدل ، والقوة ، والحزم ،
والسكينة ، والتميز ، والسمت ، والتواضع ، والنفوس ، والإغضاء ، والتعفف ،
والإحسان ، فإذا وفق المرء لصحبة العاقل فليشد يديه به ولا يزياله على الأحوال كلها
والواجب على العاقل أن لا يضحك بحيلة من لا يستفيد منه خيراً .

وتقد أبانا محمد بن محمود بن عدى النسوي ، حدثنا علي بن سعيد بن جرير ،
قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : أخبرت عن مالك بن دينار أنه قال : سررت
بإهاب في صومته فنأدبته ، فأشرف علي ، فكلمني وكلته ، فقال لي فيما يقول :
إذا أستطعت أن تجعل فيما بينك وبين الدنيا حائطاً فأفعل ^(١) ، وإياك وكل
جليس لا تستفيد منه خيراً فلا تجالس ، قريبا كان أو بعيداً .

(١) وهذا بظاهره طلب المستحيل ، وهو من أحق الحق وأسفه السفه ، ولا يكون
من الرهبان إلا ذلك ؛ فإثم ابتدعوا عكس ما كتبه الله ، فقد كتب الله وقدر بحكمته
البالغة هذه الحياة الدنيا ، وجعلها للإنسان الطريق إلى الآخرة ، وذلك من إحسان
الله بلاريب ، وأمرنا أن نحسن الانتفاع بهما مؤمنين بأن الله الحكيم ما خلقها ولا

ذكر الزَّجْر عن التجسس وسوء الظن

حدثنا محمد بن أحمد الرقام بستر ، حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى ، حدثنا أبو داود ، حدثنا سليمان بن حيان عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ، ولا تحسسوا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله إخوانا »

حدثنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا جعفر بن محمد بن الحجاج الرقى ، حدثنا محمد بن حاتم الجرجرائى ، حدثنا محمد بن المبارك ، عن يونس بن نافع ، عن كثير بن زياد ، قال : سمعت الحسن يقول : لا تسأل عن عمل أخيك الحسن والسيء ، فإنه من التجسس .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس ، مع الاشتغال باصلاح عيوب نفسه ؛ فإن من اشتغل بعيوبه

== خلق شيئا في السموات والأرض باطلا ، بل كاهن حق ، فتقدر لرينا ذلك ونضع كل شيء في موضعه ؛ فقد قال سبحانه (٩٠ : ٢٦) للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ولقد عمى أوثاك الرهبان ومقلدوهم كل العمى فذهبوا متخبطين في مهامه النى والفساد ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، زعموا أنهم يقدرون أن يقهروا سنن الله وينقلبوها فقهرتهم وغلبتهم ، والله (٦ : ١٨) هو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير) فكان منهم أفسق الفسق ، وشر العصيان ؛ ولئن ضل رهبان النصارى لتبديل شريعة عيسى عليه السلام وتحريفها ، لما بال رهبان المسلمين ضلوا وراءهم ضلالا بعيدا ؛ وهذا كتاب الله بحكمة آياته ، واضحة شرائعه ، بيضاء حججه ، قائمة صوابه ومطله ، وهذا هدى رسول الله مصون محفوظ ، كأنه قائم بين الناس يحدتهم ويدعوهم إلى الهدى وإلى صراط الله المستقيم ؛ ولكن هو إبليس النوى ، والتقليد الردى ، والتألو للفسد والهوى المتحكى ، ولو شاء ربك ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون ، وعليك بهدى رسول الله فهو خير هدى .

عن عيوب غيره أراح بدنه ، ولم يتعب قلبه ، فكلمنا اطعم على عيب نفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه ، وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمى قلبه وتعب بدنه ، وتعدر عليه ترك عيوب نفسه ، وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم ، وأعجزُ منه من عابهم بما فيه ، ومن عاب الناس عابوه ، ولقد أحسن الذي يقول :

إذا أنت عبت الناس عابوا وأكثروا
وقد قال في بعض الأفاويل قائل
إذا ما ذكرت الناس فترك عيوبهم
فإن عبت قوما بالذي ليس فيهم
وإن عبت قوما بالذي فيك مثله
وكيف يعيب الناس من عيب نفسه
متى تلتبس للناس عيبا تجد لهم
فسألهم بالكف عنهم ، فإنهم

عليك ، وأبدوا منك ما كان يُسترُ
له منطلق فيه كلام مُحَبَّرُ
فلا عيب إلا دون مامنك يُذكر
فذلك عند الله والناس أكبر
فكيف يعيب الثور من هو أعور؟
أشدُّ إذا عدَّ العيوب وأنكر؟
عيوبا ، ولكن الذي فيك أكثر
بمبيك من عيبك أهدى وأبصر

حدثنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا هارون بن صدقة القاضي ، حدثنا سعيد ابن مسلمة الأيادي ، قال : ادعت امرأة على رجل حارا لها ، قدمته إلى القاضي ، فسألها البيعة ، فأحضرت أبا دلامة ورجلا آخر ، فقال لها القاضي : أما شاهدك هذا فقد قبلنا شهادته ، فأتينا بشاهد آخر ، فأتت أبا دلامة فأخبرته ، فصار إلى القاضي ، وأنشأ يقول :

إن الناس عَطَوْنِي تَغَطَيْتُ عَنْهُمْ
وإن حَفَرُوا بِي حَفْرَتِ بِنَارِهِمْ
فقال القاضي للمرأة : كم ثمن حمارك ؟ قالت : ثلاثمائة ، قال : قد احتسبناها

(١) نبت التراب ونبشه : حفره يده وأثاره .

لك من مالى ، وأنشدنى الكرىزى :

أرى كل إنسان يرى عيب غيره ويعمى عن العيب الذى هو فيه
وما خير من تخفى عليه عيوبه ويبدوله العيب الذى لأخيه

حدثنا محمد بن المنذر ، حدثنا الليث بن عبدة للصرى ، حدثنا الحسن بن واقع ، حدثنا ضمرة عن الشيباني ، قال : فى الكتب مكتوب : كما تدين تدان ، وبالكأس الذى تسقى به تشرب . وزيادة : لأن البادى لا بد له من أن يزداد . قال أبو حاتم رضى الله عنه : التجسس من شعب النفاق ، كما أن حسن الظن من شعب الإيمان ، والعاقل يحسن الظن بإخوانه ، وينفرد بغمومه وأحزانه ، كما أن الجاهل يسيء الظن بإخوانه ، ولا يفكر فى جنائياته وأشجانه . ولقد أحسن الذى يقول :

ما يستريح المسىء ظنا من طول غم ، وما يُريح
وقلَّ وجه يضيق إلا ودونه مذهب قسيح
من خفف الله عنه هبت من كل وجه إليه ريح
والجسم حيث استقر هاد والروح جواله تسريح
كم تذيب الأرض من بنيتها كل بنيتها لها ذبيح
لن يهلك المرء من سماح وقلما يفلح الشحيح

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سوء الظن على ضربين :

أحدهما : منهى عنه بحكم النبى صلى الله عليه وسلم .

والضرب الآخر : مستحب .

فأما الذى نهى عنه فهو استعمال سوء الظن بالمسلمين كافة ، على ما تقدم

ذكرناه .

وأما الذي يستحب من سوء الظن فهو كمن بينه وبينه عداوة أو شحنة
في دين أو دنيا، يخاف على نفسه مكره؛ فحينئذ يلزمه سوء الظن بمكائده
ومكره؛ لئلا يصادفه على غرّة بمكره فيهلكه .

وفي ذلك أنشدني الأبرش :

وحسن الظن يحسنُ في أمورٍ ويمكن في عواقبه ندامه
وسوء الظن يسُج في وجوهٍ وفيه على سماجته حزامه

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

ما ينبغي لأخي ودِّ وتجربة أن يترك الدهر سوء الظن بالناس
حتى يكون قريباً في تباعده عناً، ويدفع ضرّاً الحرص بالياس

حدثنا محمد بن المنذر، حدثنا إبراهيم بن هانيء، حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا (١)
أبانا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن
عمر بن سعد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : مكتوب في التوراة « من
تَجَرَّ (٢) فَجَرَّ ، ومن خفر حفرة سوء لصاحبه وقع فيها » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل مباينة العام في الأخلاق
والأفعال ، بلزوم ترك التجسس عن عيوب الناس ؛ لأن من بحث عن مكنون
غيره بحث عن مكنون نفسه ، وربما طمَّ مكنونه على ما بحث من مكنون غيره ،
وكيف يستحسنُ مسلمٌ ثَلَبَ مسلمٌ بالشيء الذي هو فيه ؟

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا فيهِتِكَ الناس سترأ من مساويكا

(١) كذا بالأصلين ، وإلى هنا ينتهي الكلام الذي نهنا في ص ١٢٤ على أنه

وضع خطأ هناك في الطبوعة السابقة .

(٢) أي صار تاجراً ؛ واتخذ التجارة صناعته .

وإذا ذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تنبأ أحداً عيباً بما فيكما

وأشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

إذا ما اتقيت الأمر من حيث يُتقى وأبصرت ما تأتي ، فانت لبيب

ولا تلك كالنهي عن الذنب غيره وفي كفة مما يدم نصيب

يعيب فعال السوء من فعل غيره ويفعل أفعال الذين يعيب

حدثنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا محمد بن موسى السمرى حدثنا حماد بن

إسحاق بن إبراهيم عن أبيه ، قال : وحدثني عزيز عن الزبير بن موسى الخزومي

قال : قالت ابنة عبد الله بن مطيع الأسود ، وهي زوجة طلحة بن عبد الله بن

عوف لزوجها : ما رأيت أحداً قطُّ الأم من أصحابك ، قال : مه ، لا تقول ذلك

فيهم ، وما رأيت من لؤمهم ؟ قالت : أمراً والله بيئناً ، قال : وما هو ؟ قالت :

إذا أيسرت لزموك ، وإذا أعسرت جاتبوك ، قال : ما زدت على أن وصفتهم

بمكارم الأخلاق ، قالت : وما هذا من مكارم الأخلاق ؟ قال : يأتوننا في حال

القوة منا عليهم ، ويفارقوننا في حال الضعف منا عليهم .

ذكر الحث على مجانبة الحرص للعاقل

حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة - رحمه الله ! - حدثنا بشر بن معاذ

العقدي^(١) حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم

« يهرم ابن آدم وتشب منه اثنان : الحرص ، والحسد » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : ركب الله جبل وعز في البشر الحرص والرغبة

في الدنيا الغانية ، لثلاث خرب ، إذ هي دار الأبرار ، ومكسب الأتقياء ، وموضع

زاد المؤمنين ، واستجلاب الميرة للصالحين ، ولو نعرى الناس عن الحرص فيها

(١) في نسخة « العقبي » .

بطلت وخربت ، فلم يحمد المرء ما يستعين به على أداء فرائض الله ، فضلا عن
اكتساب ما يُجدي عليه النفع في الآخرة نفلا ، والإفراط في الحرص مذموم ، كما
أنشدني علي بن محمد البسامي :

ليس عندي إلا الرضا بقضاء الله فيما أحببته أو كرهته
لو إلى الأمور ، أختار منها خيرا لي عواقبا ما عرفته
ولو أني حرصت جهدي أن أدفع أمرا مقدرا ما دفعته
فأرى أن أرد ذلك إلى من عنده علم كل ما قد جهلته
وأنشدني محمد بن نصر المديني :

يا كثير الحرص مشغو لا بدنيا ليس تبقى
ما رأيت الحرص أدنى من حريص قط رزقا
لا ، ولكن في قضاء الله : أن يعيا ويشقى
تعرف الحق ، ولكن لا ترى للحق حقا

أبانا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي حدثنا محمد بن الوليد بن أبان حدثنا
نسيم بن حماد عن ابن المبارك قال : سخاء الناس عما في أيدي الناس أكثر من سخاء
اليدل ، ومروءة القناعة أكثر من مروءة الإعطاء .

أنشدنا أبو يعلى قال : أشدونا منذ دهر للشافعي :

قدر الله واقع حيث يقضى وروده
قد مضى فيك حكمه وانقضى ما يريد
وأخو الحرص حرصه ليس مما يزيد
فأرد ما يكون إذ لم يكن ما تريد

أبانا عبد الله بن عروة حدثنا يعقوب الدورقي حدثنا ابن عليه عن أيوب
عن ابن سيرين قال : إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً ،
وأفقر الفقراء من كان الحرص عليه أميراً : لأن الحرص سبب لإضاعة الموجود عن
مواضعه ، والحرص محرمة ، كما أن الجبن مقتلة ، ولو لم يكن فى الحرص خصلة
تذم إلا طول المناقشة بالحساب فى القيامة على ما جمع لكان الواجب على العاقل
ترك الإفراط فى الحرص .

وقد كان بعض أصحابنا كثيراً ما ينشد :

تجانب الحرص ، ودع عنك الحسد ففيهما الذلُّ وإتبابُ الجسد
وأشدنى الكريزى :

وأرقتى طولُ التفكير إنى عجت لدهرٍ ما تقضى عجائبه
فكم عاجز يدعى جليداً لنفسه ولو كلف التقوى لكلت مضاربه
وعفٍ يسمى عاجزاً لعفاه ولولا التقي ما أعجزته مذاهبه
فليس بحرص المرء أدركه الفنى ولا باحتيال أدرك المال كاسبه
ولكنه قبضُ الإله وبسطه فلا ذا يجاريه ولا ذا يسالبه

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحرص غير زائد فى الرزق ، وأهون ما يعاقب
الحريص بحرصه أن يمنع الاستمتاع بما عنده من محصوله ، فيتمتع فى طلب
مال لا يدرى أيلبغقه أم يحول الموت بينه وبينه ؟ ولو لزم الحريص ترك الإفراط فيه
واتكل على خالق السماء ، لأتحفه المولى جل وعز بإدراك ما لا يسعى فيه ، والظفر
بما لوسى فيه وهو حريص عسى لتعذر عليه وجوده .

وأشدنى على بن محمد البسامى :

الأربِّ باع حاجةً لا ينالها وآخرُ قد تقضى له وهو آيس
يحاولها هذا ، وتقضى لغيره وتأتى الذى تقضى له وهو جالس

وأشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :
وكم من أكلة منعت أخاها بئذة ساعة أكلاتٍ دهر
وكم من طالب يسعى لشيء وفيه هلاكه لو كان يدري
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحرص علامة الفقر ، كما أن البخل جلباب
المسكنة ، والبخل لِقَاحُ الحِرْصِ ، كما أن الحمية لقاح الجهل ، والمنع أخو الحرص ،
كما أن الأنفة توأم السفه . وأشدنى عمر بن محمد قال : أشدنى الغلابي :
لا تأتين نذالة لمنالة فليأتينك رزقك المقذور
واعلم بأنك آخذ كل الذي لك في الكتاب مُحَبَّرٌ مسطور
والله ما زاد امرءاً في رزقه حرصٌ ، ولا أزرى به التقصير
وأشدنى محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

وأرض من العيش في الدنيا بأيسره ولا ترومن ما إن رُمته صعباً
إنَّ الغني هو الراضى بعيشته لا من يظال على ما فات مكتئباً
أنا محمد بن سعيد القرزاز حدثنا عبد الله بن يحيى بن حميد الطويل حدثنا
أبو عبد الرحمن العتيبي حدثني أبي قال : اختصمت بنو إسرائيل في القدر ، خمسمائة
عام ، ثم تحاكموا إلى عالم من علمائهم ، فقالوا له : أخبرنا عن القدر ، وقصر و بين
لتفهمه عنك العوام ، فقال : حرمان عاقل ، وحظ جاهل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لاحظ في الراحة لمن أطاع الحرص ؛ إذ الحرص
سائق البلاء ، فالواجب على العاقل أن لا يكون بالقرط في الحرص في الدنيا ؛
فيكون مذموماً في الدارين ، بل يكون قصده لإقامة فرائض الله ، ويكون لبيته
نهاية يرجع إليها ؛ لأن من لم يكن لقصده [منها] نهاية آذى نفسه وأتعب بدنه .
فمن كان بهذا النعت فهو من الحرص الذي يحمد .

وأشدنى المنتصر بن بلال الأنصاري :

الحِرص عونٌ للزمان على القتي والصبر نعم القرن للآزمان
لا تخضعنَّ فإن دهرك إن رأى منك الخضوع أمدّه بهوان
وإذا رآك وقد قصدت لصرفه بالصبر ، لاقى الصبر بالإذعان
وأشدنى منصور بن محمد الكريزي ، حدثني شعيب بن أحمد لأبي المتاهية :

لا تخضعنَّ مخلوق على طمع فإن ذاك مُضِرٌّ منك بالدين

وأشدنى الكريزي أيضاً ، أشدنى شعيب بن أحمد لأبي المتاهية :

قد شاب رأسي ، ورأسُ الحرص لم يشب

إن الحريص على الدنيا لني تعب

مالي أراي إذا حاولتُ منزلة

فقلتها طمحت نفسي إلى رتب

لو كان ينفعني علمي وتجربتي

لم أشف غيظي من الدنيا ولا كلبي

قال أبو حاتم رضي الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات بعلمها

في كتاب « الثقة بالله » بما أرجو أن يكون فيه غنية لمن أراد الوقوف على

معرفتها ، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

ذكر الزجر عن التحاسد والبغضاء

أبنا محمد بن الحسين بن مكرم البراز بالبصرة ، حدثنا عمرو بن علي الفلاس ،

حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج ، حدثني عطاء أنه سمع أبا هريرة يقول : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تبغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد

الله إخوانا » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل مجانبية الحسد على الأحوال

كلها : فإن أهون خصال الحسد هو ترك الرضا بالقضاء ، وإرادة ضد ما حكم الله
جل وعلا لعباده ، ثم انطواء الضمير على إرادة زوال النعم عن المسلم ، والحاسد لا تهدأ
روحه ولا يترخى يده إلا عند رؤية زوال النعمة عن أخيه ، وهيهات أن يساعد
القضاء ما للحساد في الأحشاء .

وأشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

أعذر حودك فيما قد خصصت به إن العلي حسن في مثله الحسد
إن يحسدوني فإني لا ألومهم قبل من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرنا غيظاً بما يجد
أنا الذي وجدوني في صدورهم لا أرتقي صدراً منهم ولا أريد

أبنا أبو خليفة ، حدثنا ابن كثير ، أنبأنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق ،
عن عمرو بن ميمون ، قال : رأى موسى رجلاً عند العرش فضبطه بمكانه ، نسأله
عنه ، فقال : ألا أخبرك بعمله ؟ كان لا يحسد الناس علي ما آتاهم الله من فضله ،
ولا يعق والديه ، قال : وكيف يعق والديه ؟ قال : يستسب لها حتى يسباً ، ولا
يمشي بالنميمة .

أشدني ابن بلال الأنصاري :

عين الحسود عليك الدهر حارسة تبدي مساويك والإحسان يخفيها
فاحذر حراستها ، واحذر تكشفها وكن على قدر ما توليك توليها

أبنا عبد الرحمن بن زياد السكناني ، بالأبوة ، حدثنا أبو يحيى الضرير ، حدثنا
موسى بن داود ، حدثنا ابن لهيعة عن كعب بن علقمة قال : قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه « ما من أحد عنده نعمة إلا وجدت له حاسداً ، ولو كان المرء أقوم
من القدح لوجدت له غامراً ، وما ضرت كلمة لم يكن لها خواطب »

وأشدني على بن محمد الباسي^(١) :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فاقوم أنداد له وخصوم^(٢)
كضرائر الحناء قلن لوجهها حسداً وبضياً : إنه لدميم
وترى اللبيب محسداً لم يجتلب شتم الرجال ، وعرضه مشتوم

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن حرب ، حدثنا
غان بن الفضل ، أخبرني محمد بن يزيد عن يونس بن عبيد ، قال : قال ابن
سيرين : ما حسدت أحداً على شيء من الدنيا ؛ لأنه إن كان من أهل الجنة
فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى الجنة ؟ وإن كان من أهل
النار فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى النار ؟

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الحسد من أخلاق اللثام ، وتركه من أفعال
الكرام ، ولكل حريق مطقى ، ونار الحسد لا تطفأ .

ومن الحسد يتولد الحقد ، والحقد أصل الشر ، ومن أضر الشرف قلبه ،
أثبت له نباتاً مرّاً مذاقه ، نماؤه العيظ ، وثمرته الندم .

والحسد هو اسم يقع على إرادة زوال النعم عن غيره ، وحلولها فيه . فأما من
رأى الخير في أخيه ، وتمنى التوفيق لمثله ، أو الظفر بحاله ، وهو غير مرید لزوال
مافيه أخوه ؛ فليس هذا بالحسد الذي ذمّ ونهى عنه .

ولا يكاد يوجد الحسد إلا لمن عظمت نعمة الله عليه ، فكلماً أتمنحه الله بترداد
النعم ، ازداد الحاسدون له بالمكروه والنقم .

وقد كان داود بن علي - رحمة الله عليه ! - ينشد كثيراً :

(١) ثاني هذه الأبيات ينسب لابن الرومي .

(٢) المحفوظ « فاقوم أعداء له وخصوم » .

إني نأت وحشادي قور عدد إذا للمعارج ، لا تنقص لهم عدا
إن ععدوني على ما كان من حسن فقل حنقي فيهم جر لي حدا
حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا القلابي ، حدثنا مهدي بن سابق ، أخبرنا عباد
ابن عباد المهلب قال : قال أبو جعفر المنصور لسفيان بن معاوية : ما أسرع الناس
إلى قدميك للدينة فقال : يا أمير المؤمنين :

إن العرائن تلقاها مُحسنة . وإن ترى للثام الناس حسادا
وأشدني الكريزي ، أشدني محمد بن الحسين العمي :
حدوا نعمة لما ظهرت فرموها بأباطيل الكلام
وإذا ما لله أيدي نعمة لم يضرها قول حساد النعم
سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول : سمعت أحمد بن سعيد الدارمي يقول :
سمعت أبا إسحاق الطالقاني يقول : كنا نتعلم في الكتاب - كما تعلم أبو جاد^(١)
جبل نيسابوري ، وبجل مروزي ، وحسد هروي ، وطرم^(٢) بلخي
أبنا محمد بن عثمان العقبي ، حدثنا عمران بن موسى بن أيوب ، حدثني أبي
عن محمد بن الحسين ، عن هشام ، عن ابن سيرين قال : ما حسدت أحداً على
دين ولا دنيا .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يوجد من الحسود أمان أحرز من البعد منه ؛
لأنه مادام مشرفاً على ما خصصت به دونه لم يزد ذلك إلا وحشة وسوء ظن بالله ،
ونماء للحسد فيه .

فالعاقل يكون على إمانة الحسد بما قدر عليه أحرص منه على تربيته ، ولا يجد
لإيمانه فواء أضع من البعاد ، فإن الحامد ليس يحسدك على عيب فيك ، ولا على

(١) أبو جاد ، أو أبا جاد : حروف الهجاء .

(٢) الطرم : من . تطرم وهو الاتيات في الكلام

خيانة ظهرت منك ، ولكن يحدك بما ركب فيه من ضد الرضا بالنضاء كما
قال العتيبي :

أفكر ماذنبى إليك ، فلا أرى نفسى جرماً ، غير أنك حامدٌ
وأشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

ليس للحاسد إلا ما حسدُ وله البغضاء من كل أحد
وأرى الوحدة خيراً للفتى من جليس السوء ، فانهض إن تعد
وأشدنى محمد بن نصر المديني حبيب بن أوس :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت ، أتاح لها نيران حبود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرق العود^(١)
لولا التخوف للعواقب لم تزل للحاسد النعمى على الحبود
أنبأنا محمد بن المنذر ، حدثنا يحيى بن أبي طالب ، حدثنا روح بن عبادة ،
حدثنا حماد عن حميد قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، هل يحسد المؤمن ؟ قال :
ما أنسك ! بنى يعقوب ، لا أبالك ! حيث حسدوا يوسف ، ولكن غم الحسد
في صدرك ، فإنه لا يضرك ، ما لم يعد أسنانك وتعمل به يدك .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل إذا خطر بياله ضرب من الحسد لأخيه
أبلغ المجهود في كتابه ، وترك إبداء ما خطر بياله .

وأكثر ما يوجد الحسد بين الأقران ، أو من تقارب الشكل ، لأن الكتابة
لا يحسدها إلا الكتابة ، كما أن الحجية لا يحسدها إلا الحجية ، ولن يبلغ المرء مرتبة
من مراتب هذه الدنيا إلا وجد فيها من يبغضه عليها ، أو يحسده فيها ، والحاسد
خصم معاند لا يجب للعاقل أن يجعله حكماً عند نائبة نحدث ؛ فإنه إن حكم لم يحكم

(١) العرف - بالفتح - الريح الطيبة ، والعود : أراد به العود الذى يتبخر به .

إلا عليه ، وإن قصد لم يقصد إلا له ، وإن حرم لم يحرم إلا حظّه ، وإن أعطى أعطى غيره ، وإن تعد لم يتعد إلا عنه ، وإن نهض لم ينهض إلا إليه ، وليس للحسود عنده ذنب إلا النعم التي عنده .

فليحذر المرء ما وصفت من أشكاله وأقرانه وجيرانه وبنى أعمامه .

وقد أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الفلابي ، حدثنا العباس بن بكار قال : قال رجل لشيب بن كسبة : إني لأحبك ، قال : صدقت ، قال : وما عنك ؟ قال : لأنك لست بجار ولا ابن عم .

وأشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

أنت أمرؤ قصرت عنه مروءته إلا من الغش للاخوان والحسد

أأن تراني خيراً منك تحسدي؟ إن الفضيأة لا تخلو من الحسد

قال أبو حاتم رضى الله عنه : بنس الشاعر للمرء الحسد ؛ لأنه يورث الكمد ، ويورث الحزن ، وهو داء لا شفاء له .

والحاسد إذا رأى بأخيه نعمة بُهت ، وإن رأى به عثرة شمّت ، ودليل ما في قلبه كين ، على وجهه مبین ، وما رأيت حاسداً سألماً أحداً .

والحسد داعية إلى النكد ، ألا ترى إبليس ؟ حسد آدم فكان حسده نكدا على نفسه ، فصار لعينا بعد ما كان مكينا^(١) ، ويسهل على المرء رضی كل ما سخط

(١) لست أدري : علام أقام القائلون بمكانة إبليس : قولهم ؟ فمنهم من زعمه كان طاوس الملائكة ، ومنهم من زعمه ، كان زينة ساكني الجنة ، وغير ذلك من مقالاتهم . وهذا كتاب الله واضح الآيات وصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلوة الصفحات ، لا نجد في شيء من ذلك على شيء مما قالوه عن إبليس ، ومن أصدق من الله قیلاً ؟ وأعتقد أن للاسرائیلیات يدا طائلة في تلك النعوت التي خلعوها على إبليس . وكل ذلك من علم الغيب الذي لا ينبغي أن ينطق فيه إلا بكتاب الله ، أو بالصحيح الثابت من حديث رسول الله . والله أعلم .

في الدنيا حتى يرضى ، إلا الحسود ؛ فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة التي حسدَ من أجلها .

وقد حدثني محمد بن عثمان العقدي^(١) حدثنا محمد بن زكريا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة قال : قال بعض الحكماء : أزمُ الناس للكآبة أربعة : رجل حديد ، ورجل حسود ، وخليط الأدباء وهو غير أديب ، وحكيم محقر للأقوام ، وأبعد الناس من الدخول في دين الحق والنصيحة لأهله : جاهل ورث الضلالة عن أهله ، ورأس أهل ملته حظى فيهم بفضل الضلالة ، ومعظمٌ للدنيا يرى بهرجتها دائمة محبوبه ، ويرى مارجي من خيرها قريبا ، وما صرف من شرها بعيدا ، ليس يعقد قلبه على الإيمان ، ورجل خالط التساك فانصرف عنهم لحرصه وشرهه ، ودأبهم على مكر وخديعة .

ذكر الحث على مجانبة الغضب وكرهية المجلة

أبانا عمر بن حفص البزار بجند يسابور ، حدثنا محمد بن زياد الزيادي ، حدثنا الفضيل بن عياض عن سليمان عن أبي صالح عن أبي هريرة أن جابرا قال « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : علمني شيئا يارسول الله أدخل به الجنة ، ولا تُسَكِّرُ عليَّ ، لعلِّي أعقلُ ، قال : لا تغضب » قال أبو حاتم رضى الله عنه : أحسن الناس عقلا من لم يحرد ، وأحضر الناس جوابا من لم يغضب .

وسرعة الغضب : أنكى في العاقل من النار في يَبَسِّ العَوَسَجِ ؛ لأن من غضب زایلَه عقله ، فقال ما سَوَّلت له نفسه ، وعمل ما شانه وأرداه .

ولقد أبانا محمد بن عثمان العقدي^(١) ، حدثنا إسحاق بن زكرياء البنانى

(١) في نسخة « العقدي » .

حدثنا عبد الصمد بن حسان ، حدثني وهيب قال : مكتوب في الإنجيل :
ابن آدم ، أذكرني حين تغضب ، أذكرك حين أغضب ، فلا أحفك فيمن أحق ؛
وإذا ظلمت فلا تنتصر ، فإن نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك .
وأنشدني الكريري :

ولم أر فضلاً تمَّ إلا بشيئة ولم أر عقلاً صحَّ إلا على الأدب
ولم أر في الأعداء حين اختبرتهم عدواً لعقل المرء أعدى من الغضب
قال أبو حاتم رضي الله عنه : سرعة الغضب من شيم الجنى ، كما أن مجانبته
من زى العقلاء .

والغضب يذر الندم ؛ فالمرء على تركه قبل أن يفضب أقدر على إصلاح
ما أفسد به يمد الغضب .

ولقد أنبأنا محمد بن إسحاق التتفي ، حدثنا حاتم بن الليث الجوهري ، حدثنا
بكار بن محمد قال : كان ابن عون لا يفضب ، فإذا أغضبه إنسان قال : بارك
الله فيك !

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

لم يأكل الناس شيئاً من ما كلهم أحلّ وأحد عتباء من الغضب
ولا تلحف إنسان بملحفة أبيه وأزين من دين ومن أدب
أنبأنا كامل بن مكرم ، حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا أسد بن موسى ،
حدثنا ضمرة عن أبي سعيد قال : كان عون بن عبد الله بن عتبة إذا غضب على
غلامه قال : ما أشبهك بمولاك ! أنت تصيبني وأنا أعصى الله ، فإذا اشتد غضبه
قال : أنت حر لوجه الله .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل إذا ورد عليه شيء بضد

ما تهواه نفسه : أن يذكر كثرة عصيانه ربّه ، وتواتر حلم الله عنه ثم يسكن غضبه
ولا يزرى بفعله الخروج إلى ما لا يليق بالعقلاء في أحوالهم ، مع تأمل وفور الثواب
في المقبي بالاحتمال ونفي الغضب .

وأنشدني الأنصاري :

وكظمت النيطّ أولى من محاولتي غيظَ العدو يا ضراري يا يماني
لاخير في الأمر ترديني منبته يوم الحساب إذا مانصّ ميزاني

أبانا محمد بن التندر ، حدثنا عمر بن علي بن زياد العنبري قال : سمعت سالم
ابن ميمون الخواص يقول :

إذا نطق السفية فلا تحبّه فخير من إجابته السكوتُ
سكتُ عن السفية فظنّ أنّي عييت عن الجواب ، وما عييتُ
شرارُ الناس لو كانوا جميعاً قذّي في جوف عيني ما قذيتُ
فلستُ مجاوبا أبداً سفياً تخزيتُ لمن يخافيه خزيتُ

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

تأنّ في أمرك ، وافهم عني فليس شيء يعدلُ التأنّي
تأنّ فيه ، ثم قل ، فإنّي أرجو لك الإرشاد بالتأنّي

أخبرني محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا عبد الله بن جعفر الزبيرى عن

سعید بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ، قال : أنشدني يونس بن إبراهيم بن محمد
ابن طلحة لمحمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله :

فلا تعجلُ على أحدٍ بظلم فإن الظلم مرتنةٌ وخيمُ
ولا تفحش ، وإن ملّيت غيظاً على أحد ، فإن الفحش لومُ
ولا تقطع أحاكك عند ذنب فإن الذنب يغفره الكريمُ

ولكن دار عوراهُ برفق كما قد يُرْفَعُ الخلق القديم
ولا تجزع لريب الدهر واصبر فإن الصبر في العقبي سليم
فما جَزَعُ بِمَعْنٍ عنك شيئاً ولا ما فات تَرَجِعُهُ الهوم

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لو لم يكن في الغضب خصلة تدم إلا إجماع
الحكام، فاطبة على أن الغضبان لا رأى له نكان الواجب عليه الاحتيال لمفارقتة
بكل سبب .

والغضبان لا يعذره أحد في طلاق ولا عتاق . ومن التقهأ من عذَرَ السكران
في الطلاق والعتاق ، والخلق مجبولون على الغضب والحلم معا ، فمن غضب وحلم
في نفس الغضب ؛ فإن ذلك ليس بمذموم ، ما لم يخرج غضبه إلى المكروه من
القول والفعل ، على أن مفارقتة في الأحوال كلها أحد .

ولقد أنبأنا عمر بن محمد حدثنا الفلابي حدثنا مهدي بن سابق عن عطاء قال :
قال عبد الملك بن مروان : إذا لم يفضب الرجل لم يحلم ؛ لأن الخليم لا يعرف إلا
عند الغضب .

ذكر الزجر عن الطمع إلى الناس

أنبأنا محمد بن أحمد بن المستنير بالمصيصة حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم
حدثنا خالد بن عمرو عن سفيان عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال « جاء رجل
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، علمني عملاً إذا أنا عملته أحبني
الله ، وأحبنى الناس ؛ فقال : ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس
يحبك الناس . »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل ترك الطمع إلى الناس كافة

يكال الإياس عنهم ؛ إذ الطمع فيها لا يشك في وجوده فقر حاضر ، فكيف بما أنت شاك في وجوده أو عدمه ؟
ولقد أحسن الذي يقول :

لأجعلنَّ سبيل اليأس لى سُبُلًا ما عشتُ منك ، ودارَ أهِيمِ أوطاننا
والصبرُ أجله غرماً أنال به فى الناس قرباً ، وعند الله رضوانا
فالنفس قانعة ، والأرضُ واسعة والدار جامعة متى ووحدانا
وأشدنى عمرو بن محمد بن عبد الله النسائي قال : أشدنى الحسين بن أحمد
ابن عثمان :

اليأس أدبى ورفَع همى واليأس خير مؤدب للناس
إني رأيت مواضع الطمع الذى يضع الشريف مواضع الأخساس
وأشدنى محمد بن عبد الله البغدادي : ^(١)

فأجمعتُ يأساً لا لبانة بعده ولليأس أدنى للعفاف من الطمع
والنفس تطمع هشة إن أطمعت . وتنسال باليأس السلوة فتقع

أبنا محمد بن عثمان العقبى ^(٢) حدثنا يزيد بن عبد الصمد حدثنا يحيى بن صالح
حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن سعد بن عمار أنه قال لابنه : يا بني ، أظهر اليأس
فإنه غنى ، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أشرف المنى ترك الطمع إلى الناس إذ لا غنى
لدى طمع وتارك الطمع يجمع به غاية الشرف ، فطوبى لمن كان شعار قلبه الورع ،
ولم يُثم بصره الطمع .

ومن أحب أن يكون حُرّاً فلا يهوى ما ليس له ؛ لأن الطمع فقر ، كما أن
اليأس غنى ، ومن طمع ذلّ وخضع ، كما أن من قنع عَفَّ واستغنى .

(١) البيتان الآتيان ليسا من بحر واحد ولا روى واحد لذلك فصلناهما

(٢) أنظر ص ١٤٥ السابقة .

ولقد أنشدني الكريزي :

لا خير في عزم بنير روية والشكُّ عجزٌ ، إن أردت سراحا
واليأس مما فات يُعقِبُ راحةً ولرُبَّ مَطْمَعَةٍ تعود ذُباحا

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

فكنت لي أملاً دهرًا أطلابه فسيَّرته صُروفُ الدهرِ أطوارا
صرفتُ باليأس عنه النفسَ فانصرفت فما أبالي أقامَ الدهرَ ، أم سارا

أبنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا عبد الله بن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن
سروان حدثنا محمد بن هانيء الطائي قال : بعث أبو الأسود الدبلي إلى جاري يقترض
منه ، فلم يُقرضه ، واعتلَّ عليه ، وكان حسن الظن به ، فقال أبو الأسود :

لا تُشعِرَنَّ النفسَ يأساً ، فإنما يعيش بجِدِّ عاجزٍ وجليــــــــــــد
ولا تطمئن في مال جاري لتقربه فكل قريب لا يُنال بعيْدُ
وقروض إلى الله الأمورَ ، فإنما يروح بأرزاق العباد جدود

أبنا القطان بالرقه حدثنا المروزي قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول :
سمعت ابن السهاك يقول : الرجاء حبيل في قلبك ، وقيد في رجلك ؛ فأخرج الرجاء
من قلبك ينفك القيد من رجلك .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الطمع غُدَّة من قلب المرء له طرفان ، أحدهما :
القيد في رجله ، والآخر : الطبع على لسانه ، فإدامت العقدة قائمة لا تنفك
رجلاه ، ولا ينطق لسانه ؛ فإذا أخرج الطمع من قلبه انفك القيد من رجله ،
وزال الطبع عن لسانه ، فسي إلى ما شاء ، وقال ما أحب .

ودواء زوال الطمع عن القلب : هو رؤية الأشياء من سُكونها بدوام الخلوة ،
وترك الناس ، كما أنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

كُنْ لِقَعْرِ الْبَيْتِ حِلْسًا وَأَرْضَ بِالْوَحْسَةِ أَنَسًا (١)
لَسْتَ بِالْوَاجِدِ حُرًّا أَوْ تَرَدُّ الْيَوْمَ أَمْسًا
فَاغْرَسِ الْيَأْسَ بِأَرْضِ * زُهْدٌ مَا عُمِّرْتَ غَرَسًا
وَلِيَكُنْ يَأْسُكَ دُونَ * طَمَعِ الْكَاذِبِ تُرْسًا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الصائل يجتنب الطمع إلى الأصدقاء ؛ فإنه
مَدَلَّةٌ ، ويلزم اليأس عن الأعداء ؛ فإنه مَنجاةٌ ، وتركه مَهْلِكَةٌ ، واليأس هو بَدْرُ
الراحة والعز ، فإن الطمع هو بذر التعب والنل ، فكم من طامع تعب وذل ،
ولم ينل بغيبته ، وكم من آيس استراح وتعزز ، وقد أتاه ما أمل وما لم يأمل .
وأشدنى الأبرش :

(١) إن من يلزم قعر البيت ليكون حلساً - والحلس : الفراش المبهين من خيش
ونحوه ، يكون تحت الفراش القيم ، من نحو البسط والخارق ، وهو أيضاً : ما يبلى
ظهر الفرس أو البعير تحت السرج والرحل - لا بد أن يكون مهيناً حقيراً ، عالة على
الناس ، معطلا عن العمل والسكب ، فأراً من ميدان الكدح والجهاد في الحياة
بسنن الله العظيم ، ولذلك جرى على ألسنة العرب : « فلان جلس بيته » على الدم ،
يعنون أنه لا يصلح إلا للزوم البيت ، كما قال في لسان العرب . ومثل هذا لا يحبه
الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، فضلاً عن أن هذا لا يقطع جنود داء الطمع ،
بل يزيد تأسلاً ، وتمكناً في النفس ، بما تلزمه الحياة وشئون العيش اللازم فيها
إلى ما في أيدي العاملين الكادحين ، بل ويولد فيه - زيادة عن الطمع - الحسد
والحقد على المجتمع كله ، وما نبئت رموس شياطين الفتن في المجتمع والثورة على النظم
والحكومات إلا من جحور وأوكار أولئك الفارين من ميدان الحياة المستقيمة
بالجد والنشاط في حسن الانتفاع بسنن الله وآياته ونعمه ، ولكن أكثر الناس
لا يعلمون .

يَعْرِى وَيَفْرَثُ مِنْ أَمْسَى عَلَى طَمَعٍ مِنْ الْمَكَارِمِ وَهُوَ الطَّاعِمُ الْكَاثِبِي
إِنْ لِلطَّاعِمِ ذَلِكَ لِلرَّقَابِ ، وَلَوْ أَمْسَى أَخْوَاهَا مَكَانَ السَّيِّدِ الرَّاسِ
وَأَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْوَاسِطِي :

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي إِذَا النَّفْسَ أَشْرَفْتُ عَلَى طَمَعٍ لَمْ أُنْسَ أَنَّ أَتَكَرَّمَا
وَلَسْتُ بَلَوَّامٍ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَ مَا يَفُوتُ ، وَلَكِنْ عَلَّ أَنْ أُنْقَدَمَا
أَنْبِيَانَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ الْقِرَازِ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ يُوْسُفَ الْكُوفِي حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ جَبَلَةَ الْكِنَانِي عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمَارٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ : الْيَأْسُ عَمَّا فِي أَيْدِي
النَّاسِ عَزْ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا سَمِعْتِ قَوْلَ حَاتِمِ الطَّائِي :

إِذَا مَا عَزَمْتَ الْيَأْسَ أَتَيْتَهُ الْغَنَى إِذَا عَرَفْتَهُ النَّفْسَ ، وَالطَّمَعُ الْفَقْرُ

ذَكَرَ الْحَثَّ عَلَى مَجَانِبَةِ الْمَسْأَلَةِ وَكَرَاهِيَّتِهَا

حَدَّثَنَا أَبُو يَزِيدَ خَالِدُ بْنُ النَّضْرِ بْنِ عَمْرٍو الْقُرَشِيُّ بِالْبَصْرَةِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ
ابْنُ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلْمَةَ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلًا فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةٍ
حَطَبٍ فَيَبِيعَهَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ »

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ مَجَانِبَةُ الْمَسْأَلَةِ عَلَى
الْأَحْوَالِ كُلِّهَا ، وَلِزُومِ تَرْكِ التَّمَرُّضِ ؛ لِأَنَّ الْإِفْكَارَ فِي الْعِزْمِ عَلَى السُّؤَالِ يُورِثُ
الْمَرءَ مَهَانَةً فِي نَفْسِهِ ، وَيَحَطُّهُ رَثْوَةٌ ^(١) عَنِ مَرْتَبَتِهِ ، وَتَبْرُكُ الْعِزْمِ عَلَى الْإِفْكَارِ فِي
السُّؤَالِ يُورِثُ الْمَرءَ عِزًّا فِي نَفْسِهِ ، وَيَرْفَعُهُ دَرَجَةً عَنِ مَرْتَبَتِهِ .

وَلَقَدْ أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْذِرِ حَدَّثَنَا الْقَيْصُ بْنُ الْخَضِرِ التَّمِيمِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ خُبَيْقٍ قَالَ : قَالَ مُوسَى بْنُ طَرِيفٍ : إِنْ الْحَاجَةُ تَعَرَّضَ لِي إِلَى الرَّجْلِ ،

(١) الرتوة : الخطوة الواسعة نحو القفز بشدة

فِيُخْرِجُ عِزِّيَ مِنْ قَلْبِي قَطْعَ الْحَاجَةِ مِنْ نَاحِيَتِهِ . فَيُرْجِعُ عِزِّيَ إِلَى قَلْبِي

وَأُنشِدُنِي الْكَرِيزِيَّ قَالٌ : أُنشِدُنَا الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ لَعْلَى بْنِ الْجُهْمِ :

هِيَ النَّفْسُ ، مَا تَحَمَّلَتْهَا تَحْمَلُ وَلِلدَّهْرِ أَيَّامُ تَجْوَرُ وَتَعْدِلُ

وَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَمِيلَةٌ وَأَفْضَلُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ التَّفَضُّلُ

فَلَا عَارَ إِنْ زَالَتْ عَنِ الْحُرِّ نِعْمَةٌ وَلَكِنَّ عَارًا أَنْ يَزُولَ التَّجَمُّلُ

أَخْبَرَنَا زَكَرِيَاءُ بْنُ يَحْيَى السَّاجِي حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا خَالِدُ

ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هَنْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ « مَنْ

سَأَلَ النَّاسَ لِيُثْبِتِي مَالَهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ رَضْفٌ ^(١) مِنَ النَّارِ يُنْتَمِعُهُ ، فَمَنْ شَاءَ اسْتَقْلَّ ،

وَمَنْ شَاءَ اسْتَكْثَرَ »

أَبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيْمَانَ بْنِ فَارِسِ الدَّلَالِ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّبَّاحِ

حَدَّثَنَا أَبُو عِبَادٍ يَحْيَى بْنُ عِبَادٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : سَمِعْتُ مُطَرِّفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ

يُحَدِّثُ عَنْ حَكِيمِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَوْصَى بِنَيْهِ عِنْدَ مَوْتِهِ ، فَقَالَ :

يَا بَنِيَّ ، يَا كُمْ وَمَسْأَلَةُ النَّاسِ ؛ فَإِنَّهَا آخِرُ كَسْبِ الرَّجُلِ

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْعَاقِلُ لَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا فَيُرَدُّوهُ ، وَلَا يَبْذِيحُ

فِي الْمَسْأَلَةِ فَيَحْرَمُوهُ ، وَيَلْزِمُ التَّعَنُّفَ وَالتَّكْرَمَ ، وَلَا يَطْلُبُ الْأَمْرَ مُذْبِرًا ، وَلَا يَتْرُكُهُ

مُتَبِيلًا ؛ لِأَنَّ قُوَّةَ الْحَاجَةِ خَيْرٌ مِنْ طَلِبِهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا ؛ وَإِنْ مِنْ يَسْأَلُ غَيْرَ

الْمُسْتَحِقَّ حَاجَةً حَطَّ لِنَفْسِهِ مَرَّتَيْنِ ، وَرَفَعَ الْمَسْئُولَ فَوْقَ قَدْرِهِ

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُتَنَزَّرِ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَوْمِلِ الْمَصْرِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ حَامِدَ بْنَ

يَحْيَى يَقُولُ : سَمِعْتُ سَفِيَانَ بْنَ عَيْنَةَ يَقُولُ : مَنْ يَسْأَلُ نَذْلًا حَاجَةً فَقَدْ رَفَعَهُ عَنْ قَدْرِهِ

أُنشِدُنِي ابْنَ زَيْجِيِّ الْبَغْدَادِيِّ :

(١) الرضف : الحجارة المصممة بالنار

ذلُّ السؤالِ شَجِيٌّ فِي الحَلْقِ مَعْتَرِضٌ مِنْ دُونِهِ شَرِّقٌ ، مِنْ خَلْفِهِ جَرَضٌ ^(١)
 مَامَاهُ كَفَّكَ إِنْ جَادَتْ وَإِنْ بَخَلَّتْ مِنْ مَاءِ وَجْهِهِ إِذَا أَفْبَيْتَهُ عَرِضٌ
 وَأَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُؤَدَّبُ :

مَا اعْتَضَّ بِأَذَلِّ وَجْهِهِ بِسْؤَالِهِ عَرِضًا ، وَإِنْ نَالَ الْغَنَى بِسْؤَالِ
 وَإِذَا السُّؤَالُ مَعَ النَّوَالِ وَزَنَّتَهُ رَجَحَ السُّؤَالُ ، وَخَفَّ كُلُّ نَوَالِ
 وَإِذَا ابْتُلِيَتْ بِبِذْلِ وَجْهِكَ سَائِلًا فَابْذِلْهُ لِلْمُتَكَرِّمِ الْمُفْضَالِ

أَبِيًا مُحَمَّدُ بْنُ الْمَهَاجِرِ الْمَدَلِّ حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ ابْنَةِ أَبِي سَعِيدِ التَّمْلَبِيِّ
 الدَّمَشْقِيُّ حَدَّثَنَا حَاجِبُ بْنُ أَبِي عِلْقَمَةَ الْعَطَارْدِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : قَالَ
 مَطْرَفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ لِابْنِ أَخِيهِ : يَا بُنَيَّ أَخِي ، إِذَا كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ
 إِلَيَّ فَأَكْتُبْ بِهَا فِي رُقْعَةٍ ، فَإِنِ أَصَوْنُ وَجْهَكَ عَنْ ذُلِّ السُّؤَالِ . وَأَنْشَدَنِي ذَلِكَ
 بِأَيِّهَا التَّعَبُ بِذُلِّ السُّؤَالِ وَطَالِبِ الْحَاجَاتِ مِنْ ذِي النَّوَالِ
 لِأَتَحْسِبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبَيْلِيِّ فَإِنَّمَا الْمَوْتُ سُّؤَالُ الرَّجَالِ
 كِلَاهِمَا مَوْتُ ، وَلَكِنْ ذَا أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ لَذُلِّ السُّؤَالِ
 قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ سُوءَ أَخْلَافٍ ، وَالْمَسْأَلَةَ مِنَ النَّاسِ
 وَالْمَهْمُ بِالسُّؤَالِ نِصْفَ الْمَهْمِ ، فَكَيْفَ الْبِائِسَةُ بِالسُّؤَالِ ؟ وَمَنْ عَزَّتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ
 صَفَّرَتْ الدِّينِيَّ فِي عَيْنِهِ ، وَلَا يَنْبُذُ الرَّجُلُ حَتَّى يَمِيفَ عِمَافِي أَيْدِي النَّاسِ ،
 وَتَجَاوَزَ عَمَّا يَكُونُ مِنْهُمْ ، وَالسُّؤَالُ مِنَ الْإِخْوَانِ مَلَالٌ ، وَمَنْ غَيْرِهِمْ ضِدُّ النَّوَالِ
 وَأَنْشَدَنِي الْأَبْرَشُ :

أَنْبُلُ بِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ حَرِيصَةً إِنْ الْحَرِيصُ إِذَا يُبْلَعُ يُبْهَانُ

(١) الشجى : ما يعترض في الحلق من شوكة ونحوها . والشرق : النصة بلقاء .
 والجرض : النصة بالريق ، وهو أن يتلعه على هم وخوف يجهد ومشقة لجفاني حلقه ،
 وأكثر ما يكون ذلك عند حضور الموت .

من يُكثِرُ النَّسْأَلَ من إخوانه يستنقلوه ، وحظه الحرمان
وأنشدني علي بن محمد البسامي :

أتيت أبا عمرو أُرَجِّي عطاءه فزاد أبو عمرو على حزني حزنا
فكنت كباغي القرن أسلم أذنه فبات بلا أذن ، ولم يستفد قرنا

حدثنا محمد بن عثمان العقبى^(١) حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندی حدثنا
عبد الله بن سليمان قال : كان أكرم بن صيفي يقول : السؤال - وإن قل -
أتمن من النوال ، وإن جل

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للعاقل أن يبذل وجهه لمن يكرمه عليه
قدره ، ويعظم عنده خطره ، فكيف بمن يهون عليه رده ، ولا يكرمه عليه قدره؟
وأبعد اللقاء الموت ، وأشد منه الحاجة إلى الناس دون السؤال ، وأشد منه
التكلف بالسؤال ؛ لأن السؤال إذا كان بنجاح الحاجة مقرونا لم يخل من أن
يكون فيه ذل السؤال ، وإذا الحاجة لم تقض كانت فيه ذلآن موجودان : ذل
السؤال ، وذل الرد .

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

لا يحسُّ الصديق منك بفقر لا ، ولا والد ، ولا مولود
ذاك ذل إذا سألت بخيلا أو سألت الذي عليك يهود

أبانا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار بيغداد حدثنا علي بن الجعد أبانا شعبة
عن الأعمش قال : سمعت المرور بن سويد يحدث عن عبد الله قال «إن في طلب
الرجل الحاجة إلى أخيه فتنة ، إذا أعطاه حمد غير الذي أعطاه ، وإن منعه ذم غير
الذي منعه»

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لو لم يكن في السؤال خصلة تدم إلا وجود
التدلل في النفس عند الاهتمام بالسؤال وإبدائه لكان الواجب على العاقل أن

لو اضطره الأمر إلى أن يَسْتَقَّ الرمل وَيَمُصَّ التَّوَمَى أن لا يتعرض للسؤال أبدا
ما وجد إليه سبيلا ، فأما من دفعه الوقت إلى ذلك فسأل من يعلم أنه يقضى حاجته
أو ذا سلطان لم يُخْرِجْ في فعله ذلك ، كما لم يخرج في القبول إذا أعطى من غير
مسألة ، ومن استغنى بالله أغناه الله ، ومن تعزز بالله لم يفتقره ، كما أت من اعترز
بالعبيد أذله

ولقد أنبأنا سعيد بن محمد القزاز حدثنا أبو الهيثم الرازي حدثنا خالد بن يزيد
حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف عن معمر قال : قال أبو معاوية
- رجل من ولد كعب بن مالك - : « لقد رأيتني أنضح ^(١) أول النهار ، وأضرب
آخر النهار على بطني بالموال في المدن ، قال : قلت : لقد لقيت مؤونة ، قال :
أجل إنا طلبنا الدرهم من أيدي الرجال ومن الحجارة ، فوجدناها من الحجارة
أسهل علينا » .

ذكر الحث على لزوم القناعة

حدثنا الحسن بن سفيان الشيباني حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا
محمد بن عبد الرحمن الطفاوى عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر قال « أخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى ، فقال : كن في الدنيا كأنك غريب
أو عابر سبيل »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد مكثت بُرْهَةً من الدهر مُتَوَهِّبًا أن الأعمش
لم يسمع هذا الخبر من ليث بن أبي سليم ، فدلسه ، حتى رأيت على بن السديني

(١) التناضح : هو الذى يستقى من البئر بالذلو ، وأصله فى البعير ، ويستعمل
فى الإنسان على تجوز ، وفى نسخة « أنضح » بالصاد المهملة : أى ينصح الناس
ويعظهم ، وهو بالصاد المعجمة أقرب إلى مقصد الكلام

حدث بهذا الخبر عن الطفاوى عن الأعمش قال : حدثنى مجاهد ؛ فعلت حينئذ
أن الخبر صحيح ، لا شك فيه ، ولا امتراء في صحته .

فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمر في هذا الخبر أن يكون في الدنيا
كأنه غريب أو عابرسبيل ؛ فكأنه أمره بالقناعة باليسير من الدنيا ؛ إذ الغريب
وعابر السبيل لا يقصدان في الغيبة إلا كثار من الثروة ؛ بل القناعة إليهما أقرب
من الإكثار من الدنيا .

ولقد أخبرنى محمد بن عثمان العقبى^(١) حدثنى جعفر بن سنيذ بن داود حدثنى أبى
حدثنى حجاج حدثنا عتبة بن سالم قال : قال أكرم بن صيفى لابنه : يا بنى ، من
لم يأس على ما فاتته ودع بدنه ، ومن قنع بما هو فيه قرت عينه .

وأشدنى على بن محمد البسامى :

من تمام العيش ما قرت به عين ذى النعمة ، أثرى أو أقل

وقليل أنت مسرور به لك خير من كثير فى دغل

وأشدنى ابن زنجى البغدادى :

أقول للنفس : صبرا عند نائبة ففسر يومك موصول يسر غد

ما سترنى أن نفسى غير قانعة وأن أرزاقى هذا الخلق تحت يدي

أبنا أنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أبنا مسفيان الثورى عن عيسى بن

عبد الرحمن عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود قال « أربع قد

فرغ منها : الخلق ، والخلق ، والرزق ، والأجل . وليس أحد بأكسب

من أحد » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من أكثر مواهب الله لعباده وأعظمها

خطرا القناعة ، وليس شيء أروح للبدن من الرضا بالقضاء ، والثقة بالقسم ؛ ولو لم

(١) انظر أيضا ص ١٤٥ السابقة

يكن في القناعة حصلة تحمد إلا الراحة وعدم الدخول في مواضع السوء ، لطلب
الفضل لكان الواجب على العاقل أن لا يفارق القناعة على حالة من الأحوال .
ولقد أنبأنا عمر بن حفص بن عمرو البزار حدثنا أبو مسعود حدثنا محمد بن
عبد الله بن عبيد بن عقيل حدثنا عبد الله بن إبراهيم اللدني حدثنا أبو بكر بن
محمد بن المنكدر عن أبيه قال « القناعة مال لا ينفد » .

سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول : قال محمد
ابن حميد الأَكاف :

تفنع بالكفاف ، تش رَحِيًّا ولا تبغ الفضول من الكفاف
ففي خبز القفار^(١) بغير آدم وفي ماء القرات غني وكاف
وفي الثوب الرقع ما يغطى به من كل عرى وانكشاف
وكل تزين بالمسره زين وأزينه التزين بالعفاف
وأنشدني الكريزي :

لمسرك ما طول التمثل ضائري ولا كل شغل فيه للمرء منفعه
إذا كانت أرزاق في القرب والنوى عليك سواء فأغتم راحة اللدعه^(٢)
وإن ضقت فاصبر يُفرج الله ما ترى ألا ربَّ ضيق في عواقبه سعه
وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

الحمد لله حمدًا دائمًا أبدا لقد تزين أهل الحرص والشين
لا زينَ إلا لراضٍ في ثقله إن القنوع ثوب العز والدين
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يعلم أن الإنسان لم يوضع على قدر
الأحطاء ، وأن من عدم القناعة لم يزد المَال غني ، فتسكن المرء بالمال القليل مع

(١) القفار : القدي لا إدام معه (٢) صدر هذا البيت غير مستقيم الوزن

قلّة الممّ أهناً من الكثير ذى التّبعة ، والعاقل ينتقم من الحرص بالفتوح ، كما
ينتصر من العدو بالقصاص ؛ لأن السبب المانع رزق العاقل هو السبب الجالب
رزق الجاهل .

وأنشدني محمد بن سعيد القزاز ، أنشدنا محمد بن خلف التيمي ، أنشدني
رجل من خزاعة :

رأيت الغنى والفقيرَ حَظَّينِ قُسمًا فأحرم مُحْتالٌ وذو العِيّ كاسب
فهذا مُلِحٌّ دائِبٌ غيرُ راجحٍ وهذا مُرِجٌ راجحٌ غيرُ دائِبٍ
وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا المرء لم يقنع بعيش ، فإنه وإن كان ذا مال من الفقر موقرُ
إذا كان فضل الناس يُغنيك بينهم فأنت بفضل الله أغنى وأيسرُ
أخبرنا أحمد بن سعيد القيسي حدثنا محمد بن الوليد بن أبان حدثنا نعيم بن
حماد قال : سمعت ابن المبارك يقول : مروءة القناعة أفضل من مروءة الإعطاء .
قال أبو حاتم رضى الله عنه : القناعة تكون بالقلب : فمن غنى قلبه غنيت
يداه ، ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه ، ومن قنع لم يتسخط ، وعاش آمناً مطمئناً .
ومن لم يقنع لم يكن له في القوائت نهاية لرغبته ، والجِدُّ والحِرمان كأنهما
يصطرعان بين العباد .

وتقد أحسن الذى يقول :

فما كلُّ ما حاز القى من تلاله بكيس ، ولا ما فاته بتوانٍ
فأنجِلْ إذا طالبت أمراً فإنه سيكفيك جَدانٍ يصطرعان

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمي عن المديني
قال : كان يقال : مروءة الصبر عند الحاجة والقافة بالتحفف والغنى أكثر من
مروءة الإعطاء .

وأشدني عمرو بن محمد أنشدنا الغلابي أنشدنا ابن عائشة :
غنى النفس يغنى النفس حتى يعفها وإن مسها حتى بها يضر الفقر
وما شدة ، فاصبر لها إن لقيتها ، بداءة إلا سيقبها يسر
وأشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

فيارب كره جاء من حيث لم تخف ومسرور أمر بالذي أنت خائف
أرى الناس ، ما لم تبل ، إخوان ظاهر وإن تبل تنكركم جل ما أنت عارف
أبانا محمد بن عثمان العقبي حدثنا إبراهيم بن مهدي الأبي حدثني محمد بن
يحيى بن أبي عمر قال : سمعت سفيان بن عيينة - وذكر عنده الفضل بن الربيع
وضرباؤه - فأنشأ سفيان يقول :

كم من قوي قوي في قلبه مُهَذَّبِ الرَّأْيِ عَنْهُ الرَّزْقُ مَنْحَرَفِ
ومن ضعيفٍ ضِعْفِ الْعَقْلِ مُخْتَلِطِ كأنه من خليج البحر ينترف
قال أبو حاتم رضي الله عنه : من نازعته نفسه إلى القنوع ، ثم حسد الناس
على ما في أيديهم فليس ذلك لقناعة ولا لسخاوة ، بل لجزوفشل ؛ فمثل كمثل
حمار السوء الذي يصرح بحفنة حملة ، ويحزن إذا رأى العلف يؤمر به ذو القوة
والحمل الثقيل ، فالقانع الكريم أراح قلبه وبدنه ، والشير اللثيم أتعب قلبه
وجسده ، والكرام أصبر نفوسا ، واللثام أصبر أجسادا .

وأشدني عمرو بن محمد أنشدنا الغلابي :

لعمرك ما الأرزاق من حيلة الفتي ولا سبب في ساحة الحى ثاقب
ولكنها الأرزاق تُقسَم بينهم فما لك منها غير ما أنت شارب
وأشدني محمد بن سعيد أنشدني هلال بن العلاء الباهلي :

تجمل إذا ما الدهر أولاك غلظة فإن الغنى في النفس ، لافى التمول

يزين لثيم القوم كثرة ماله وما زين الأقوام مثل التجمل
حدثنا الحسين بن سفيان حدثنا عبد العزيز بن منيب حدثنا محمد بن يحيى
الصائغ قال : قال الخليل بن أحمد :

إن لم يكن لك لحمٌ كفاك خَلٌّ وزيتُ
إن لا يكن ذا وهذا فكسرةٌ ومبيتُ
تظَلُّ فيه وتأوى حتى يجيئك موتُ
هذا نصري كفاف فلا يقرُّك بيتُ

أنبأنا كامل بن مكرم حدثنا محمد بن مروان البيروني حدثنا أبو مسهر حدثنا
سعيد بن عبد العزيز عن محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى (١٦ : ٩٧) فلنحيينه
حياة طيبة) قال : القناعة

ذكر الحث على لزوم التوكل على من ضمن الأرزاق

أنبأنا زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن الساجي بالبصرة أنبأنا أبو الربيع
الزهراني حدثنا المقرئ حدثنا حيوة بن شريح وابن لهيعة قالا : حدثنا أبو هانيء
حميد بن هاني الخولاني قال : سمعت أبا عبد الرحمن الحُبَلي يقول : سمعت عبد الله
ابن عمرو بن العاص يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « قدر الله المقادير
قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسةائة سنة »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم التوكل على من
تكفل بالأرزاق ؛ إذ التوكل هو نظام الإيمان ، وقرين التوحيد ، وهو السبب
المؤدى إلى نفي الفقر ووجود الراحة ، وما توكل أحد على الله جل وعلا من صحة
قلبه حتى كان الله جلَّ وعلا بما تضمن من الكفالة أوثق عنده بما حوته يله إلا لم
يكفه الله إلى عباده ، وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب .

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

توكل على الرحمن في كل حاجة أردت ؛ فان الله يقضى ويقدر
متى ما يرد ذو العرش أمراً بعده يُصِبُهُ ، وما للعبد ما يتخير
وقد يهلك الانسان من وجه أمنه وينجو بإذن الله من حيث يحذر
وأنشدني علي بن محمد البسامي :

أحسن الظن بمن قد عودك كل إحسان ، وسوى أودك^(١)
إن من قد كان يكفيك الذي كان بالأمس سيكفيك غدك

أخبارنا محمد بن الحسن بن قتيبة بعسقلان حدثنا أبو مروان الأزرق حدثنا
الوليد عن ابن جابر عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر عن أم الدرداء عن
أبي الدرداء قال « إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله » .

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

لو كان في صخرة في البحر راسية صماء مملومة مُس حوالها
رزق لعبد برآه الله لا نفلقت حتى تؤدّي إليه كل ما فيها^(٢)
أو كان بين طباق السبع مُطلبه يوماً لسهل في المرقى مراقبها
حتى ينال الذي في اللوح حُطَّ له إن هو أتاه ، وإلا فهو آتياها
وأنشدني منصور بن محمد الكريزي أنشدني محمد بن الحسين العمي :

مل الحاجات من سيد ليس له ستر ولا حاجب
يُعطي عطايها إذا شاءها من غير توقيع إلى كاتب

حدثنا محمد بن الحسين بن الخليل بنسأ حدثنا القوطاني حدثنا سنان حدثنا رباح

القيسي قال « إن لله ملائكة موكلين بأرزاق بني آدم ، يحملون أرزاقهم

(١) الأود - بفتح الهمزة والواو - العوج .

(٢) برآه الله : خلقه ، وأصله « برآه » تخفف الهمز بقلبها ألفاً .

على درجاتهم : ثم قال : أي عبد من عبادي جعل همه نعمة واحدا فضمنوا السموات والأرضين وبنى آدم رزقه ، وأي عبد طلب رزقه أعطوه رزقه حيث أراه ، فإن تحرى مكاسبه بالعدل فطيبوا له رزقه ، وإن تعدى إلى الحرام فليأخذه من هواه إلى غاية درجته التي ليس فوقها ، ثم حوّنوا بينه وبين سائر الدنيا : فلا يأخذن من حلالها ولا من حرامها فوق الدرجة التي كتبت له .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يعلم أن الأرزاق قد فرغ منها وتضمنها العليُّ الوفي على أن يوفرها على عباده في وقت حاجتهم إليها ، والاشتغال بالسعي لما تضمنه وتكفل ليس من أخلاق أهل الحزم إلا مع انطواء صحة الضمير ، على أنه وإن لم يسع في قصده أتاه رزقه من حيث لم يحتسب .
وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

لما رأيتك قاعدا مستقبلي أيقنت أنك اللهم قرين
فأرفض لها وتمرّ عن أتوابها إن كان عندك للقضاء يقين
هون عليك ، وكن بربك واتقا فأخو التوكل شأنه التهوين
طرح الأذى عن نفسه في أمره من كان يعلم أنه مضمون

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان الثوري عن أبي قيس عن هذيل بن شرحبيل قال « جاء سائل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي البيت تمرّة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاك ، لو لم تأتها أنتك » .
وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

فنحن بتوفيق الإله وأمره على كل حال أمرنا متوسع
عطاء ملك لا يمنّ عطاؤه خبير بما تحقّق عليه الأضالع

أنبأنا محمد بن إبراهيم الشافعي حدثنا داود بن أحمد الدميّ حدثنا عبد الرحمن بن عفان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : ما اهتممت برزق قط

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن السبب الذى يدرك به العاجز حاجته هو الذى يحول بين الحازم وبين مصادفته ، فلا يجب أن يحزن العقل لما يهوى وليس بكائن ، ولا لما لا يهوى وهو لا محالة كائن ؛ فما كان من هذه الدنيا أتى المرء من غير تعب فيه ، وما كان عليه لم يدفعه بقوته ، ولا يدرك بالطلب المحروم ، كما لا يحرم بالنعوذ المرزوق .

ولقد أحسن الذى يقول :

يَنَالُ الْغَنَى مَنْ لَيْسَ يَسْعَى إِلَى الْغَنَى وَيُحْرَمُ مَنْ يَسْعَى لَهُ وَيَدَاوِمُ
وَمَا الْعَجْزُ يَحْرَمُهُ وَلَا الْحَرِصُ جَالِبُ وَمَا هُوَ إِلَّا حُطُوءَةٌ وَمَقَاسِمُ
وَأَشْدَنِي عَمْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ أَنْشَدَنَا الْغَلَابِيُّ أَنْشَدَنَا الْعَتَبِيُّ :

وَرَزَقَ الْخَلْقَ مَقْسُومٍ عَلَيْهِمْ مَقَادِيرٌ يَقْدَرُهَا الْجَلِيلُ
فَلَا ذُو مَالٍ يُرْزَقُهُ بِعَقْلِ وَلَا بِالْمَالِ تَقْتَسِمُ الْعُقُولُ

أنيابنا المهيم بن خلف الدورى - ببغداد - قال : سمعت إسحاق بن موسى الأنصارى يقول : سمعت يمان النجرانى - وكان لا يدخر شيئاً - يقول : مررت براهب فى قارعة فلاة من الأرض ، وأنا جائع ، فقلت : يا راهب ، هل عندك من فضل ؟ فأدى إلى زنبيل فيه فلق من خبز فأكلت منها ، ورميت إليه الباقى ، فقال : تزوده ، قلت : الذى أطمعنى فى هذا الموضع ، وليس فيه إنسى ، يطعمنى إذا جعت ولا يكون معى شىء .

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

لَا تَتَّبِعْ رَبِّكَ فِيمَا قَضَى وَهَوْنُ الْأَمْرِ ، وَطِبُّ نَفْسَا
لِكُلِّ تَمِّ قَرَجٍ عَاجِلٍ يَأْتِي عَلَى الْمُصْبِحِ وَالْمَسَى

قال أبو حاتم رضى الله عنه : التوكل هو قطع القلب عن العلائق ، برفض العلائق ، وإضافته بالافتقار إلى محوّل الأحوال ، وقد يكون المرء موسراً فى ذات

الدنيا وهو متوكل صادق في توكله إذا كان العدم والوجود عنده سَيِّبَيْنِ لا فرق عنده بينهما ، يشكر عند الوجود ، ويرضى عند العدم ، وقد يكون المرء لا يملك شيئاً من الدنيا بحيلة من الحيل ، وهو غير متوكل إذا كان الوجود أحبَّ إليه من العدم ، فلا هو في العدم يرضى حالته ، ولا عند الوجود يشكر مرتبته .
وأنشدني الكرزي :

فلو كانت الدنيا تُنال بفضة وفضل عقول نلت أعلى المراتب
ولكنما الأرزاق حَظٌّ وقمة بملك عليك ، لا بحيلة طالب

وأنشدنا عمرو بن محمد الأنصاري أنشدنا الغلابي أنشدنا مهدي بن سابق :
ألا ترى الدهر لا تفتى بحجابه والدهر يخلط ميسورا بمسور ؟
وليس للهو إلا كل صافية كأنها دمة من عين مهجور

أبنا علي بن سعيد العسكري حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا مهمل بن عاصم حدثنا نافع بن خالد قال : دخلنا على رابعة العدوية ، فذكرنا أسباب الرزق ، فحضنا فيه وهي ساكتة ، فلما فرغنا قالت رابعة : خيبة لمن يدعى حبه ثم يتهمه في رزقه ! .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت هذا الباب بالعلل والحكايات على التقصي في كتاب «التوكل» ، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

ذكر الحث على لزوم الرضا بالشدائد والصبر عليها

أبنا أحمد بن علي بن المثنى بالموصل حدثنا أحمد بن جميل المروزي حدثنا ابن المبارك أبنانا عمر بن حبيب عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما خلق الله القلم ، ثم أمره فكتب ما يكون إلى يوم القيامة »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يوقن أن الأشياء كلها

قد فرغ منها ، فمنها ما هو كائن لا تحالة ، وما لا يكون فلا حيلة للخلق في تكوينه ،
فإن دفعه الوقت إلى حال شدة يجب أن يتزدد بإزار له طرفان : أحدهما : الصبر ،
والآخر الرضا ، ليستوفي كمال الأجر لفعله ذلك ، فكم من شدة قد صمبت
وتعذر زوالها على العالم بأسره ، ثم فرج عنها السهل في أقل من لحظة .
ولقد أنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

كَمِ مِنْ أَمْرٍ قَدْ نَضَّيْتُهُ بِهِ فَأَتَانِي اللَّهُ مِنْهُ بِالْفَرْجِ
وَلَعَبِيدٍ مَوْسٍ قَرَبَهُ قَدَّرَ اللَّهُ ، فَعَادَ بِالنَّجِيِّ
فَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى ذِي سَرْمَدَا مَا أَضَاءَ الصَّبِيحُ يَوْمًا وَبَنَجِ
وَكَذَلِكَ اللَّهُ رَبُّ قَادِرٍ يُصْلِحُ الْأَمْرَ الَّذِي فِيهِ عِوَجِ
وَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى آيَاتِهِ يَسْتَدِيمُ الْبِيسْرَ مِنْهُ وَالنَّجِيَّ (١)

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان عن أبي إسحاق عن أبي
الحجاج الأزدي قال : سألتنا سلمان : ما الإيمان بالقدر ؟ قال : إذا علم العبد أن
ما أصابه لم يكن ليخطئه [وما أخطأه لم يكن ليصيبه]
وأنشدني الأبرش :

هَوَّنَ عَلَى نَفْسِكَ مِنْ سَعِيهَا فَلَيْسَ مَا قَدَّرَ مَرْدُودِ
وَأَرْضَ بِحَكْمِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ كُلَّ قَضَاءِ اللَّهِ مَحْمُودِ

أنبأنا عبد الله بن قحطبة الطرحي حدثنا منصور بن قدامة الواسطي حدثنا
محمد بن كثير عن معمر قال : لما حاصر الحجاج ابن الزبير بمكة جلت الحجارة
نضرب الحائط ، فقيل له : لا تأمن عليك أن يصيبك منها حجر ، فقال ابن الزبير :

هَوَّنَ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ الْأُمُورَ بِكَفِّ الْإِلَهِ مُقَادِيرُهَا
فَلَيْسَ بِأَتْيِكَ مِنْهَا وَلَا قَاصِرٌ عَنْكَ مَأْمُورُهَا

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الثعالبي حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادي

حدثنا سفيان عن مسعر ، أن رجلا ركب البحر ، فكسر به ، فوقع في جزيرة من جزائر البحر ، فكث فيها ثلاثا لا يرى أحدا ، ولا يأكل طعاما ، ولا يشرب شرابا ، فأيس من الحياة ، فتمثل :

إذا شاب الغراب أتيت أهلي وصار القار كاللبن الحليب
فأجابه مجيب يقول :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
فنظر ، فإذا سفينة في البحر ، فلوح لهم ، فأتوه ، فحملوه ، وأصاب معهم خيرا ، ورجع إلى أهله سالما

وأشدني محمد بن جعفر الهمداني - بصور - على ساحل بحر الروم :
لا نضيعن في الأمور ؛ فقد تكشفت غماؤها بغير احتيال
ربما تكره النفوس من الأمر ، له فرجة كحل العقال
وأشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

عسى فرج يأتي به الله ؛ إنه له كل يوم في خليفته أمر
عسى ماترى أن لا يدوم ، وأن ترى له فرجا مما ألح به العسر
إذا اشتد عسر فأرج يسرا ؛ فانه قضى الله أن العسر يتبعه اليسر

أبنا محمد بن صالح الطبري بالصيمرة حدثنا محمد بن عثمان العجلي قال : لما حدث شريك بحديث الأعمش عن سالم عن ثوبان : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « استقيموا قریش ما استقاموا لكم ، فاذا خالفوكم فضعوا سيوفكم على عواتقكم ، فأيدوا خضراءم ، فإن لم تعملوا فكونوا زراعين أشقياء » فعسى به إلى المهدي ، فبعث إلى شريك ، فأتاه ، فقال : حدثت بها ؛ قال : قلت : نعم ، قال : عن رويتها ؛ قلت : عن الأعمش ، قال : ويلى عليه ! لو عرفت مكان قبره لأخرجته فأحرقته بالنار ، قلت : إن كان لأمونا على ماروى ، قال : يازنديق

لأقتلتك ، قلت : الزنديق من يشرب الخمر ويفك الدم ، قال : والله لأقتلتك .
قلت : أو يكفي الله ! قال : خرجنا من عنده ، فاستقبلني الفضل بن الربيع ،
فقال : ليس لك موضع تهرب إليه ؟ قلت : بلى ، قال : فإنه قد أمر بقتلك ، قال :
فخرجت إلى جبل ، فخرجت يوما تجسس الخبر ، فأقبل ملاح من بغداد ،
فاستقبله ملاح آخر من البصرة ، فسأله : ما الخبر ؟ قال : مات أمير المؤمنين ، قلت :
يا ملاح ، قرَّب ، قرَّب ، ففرب .

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

تجرى المقادير إن عسرا وإن يسرا وللمقادير أسباب وأبواب
ما اشتد عسر ، ولا انهدت مذاهبه إلا تفتح من مسروره باب
وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

الآرب عسر قد آتى اليسر بعده وغمرة كُرب فرُجت ليكظيم
هو الدهر : يوم ، يوم يؤس وشدة ويوم سرور للفتى ونعم

أبانا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم حدثنا محمد بن عبد الوهاب النيسابوري
حدثنا بشر بن عبد الحكم عن علي بن عثمان قال : روى إبراهيم بن آدم متنفط
الرجلين^(١) ، رافعهما على ميل ، وهو يقول (٤٧ : ٣١) ولنبلونكم حتى نعلم
المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم

(١) نفطت - بكسر الفاء - رجله ، وتنفطت : تفرحت من كثرة الشيء في
الأرض الصعبة ، وهل كان تنفط رجلي ابن آدم لكثرة جهد وسعي في سبيل الله :
لجهد العدو ، أو لطلب علم ، أو لصلة رحم ، أو لأمر بمعروف ، أو لنهي عن منكر ؟
إتاما كان ذلك لشدة ما أجهد نفسه في الجبال والصحارى منقطعاً عن الناس ، وفارا
من الناس ومن الاختلاط بهم ، وقد أمر الله أولى العلم أن يباشروا الناس ؛ لعلمهم أن
يقيموا من اعوجاجهم أو يسلحوا من فسادهم .

أبنانا القطن بالرقه حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا عبد العزيز بن عمير
عن عطاء الأزرق عن عبد الواحد بن زيد قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، من
أين أتى هذا الخلق ؟ قال : من قلة الرضا عن الله ، قلت : ومن أين أتى قلة
الرضا عن الله ؟ قال : من قلة المعرفة بالله .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : يجب على العاقل إذا كان مبتدئاً أن يلزم عند
ورود الشدة عليه سلوك الصبر ، فإذا تمكن منه حينئذ يرتقى من درجة الصبر إلى
درجة الرضا ، فان لم يرزق صبراً فليلزم التصبر ، لأنه أول مراتب الرضا ، ولو كان
الصبر من الرجال لكان رجلاً كريماً ؛ إذ هو بذر الخير ، وأساس الطاعات
واقعد أخبرني محمد بن سعيد القزاز حدثنا طاهر بن الفضل بن سعيد حدثنا
سفيان بن عيينة قال : سمعت رجلاً من أهل الكتاب أسلم ، قال : أوحى الله إلى
داود : يا داود اصبر على المؤنة ، تأتلك متى المؤنة

وأنشدي عبد الله بن الأحوص بن عمار القاضى :

صبراً جميلاً على ما ناب من حدث والصبرُ ينفع أحياناً إذا صبروا
الصبر أفضل شيء تستعين به على الزمان إذا ما مَلَكَ الضرر
وأنشدي إبراهيم بن محمد بن سهل أنشدي أبو يعلى الموصلى :

إني رأيت - وفي الأيام تجرِبَةٌ - للصبر عاقبةٌ عمودة الأثر
وقلّ من جَسَدٌ في شيء يحاوله فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وأنشدي عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

أتاك الروح والفرج القريب وساعدك القضاء ، فلا تحيب
صبرت ، فقلت عُقْبَى كلِّ خيرٍ كذلك لكل مصطبر عقيب

أبنانا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا محمد بن علي قال : سمعت -

مضر أباسعيد يقول : قال عبد الواحد بن زيد : ما أحببت أن شيئاً من الأعمال يتقدم الصبر إلا الرضى ، ولا أعلم درجة أشرف ولا أرفع من الرضى ، وهو رأس الحبة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الصبر جماع الأمر ، ونظام الحزم ، ودعامة العقل ، وبذر الخير ، وحيلة من لا حيلة له .

وأول درجته الاهتمام ، ثم التيقظ ، ثم الثبوت ، ثم التصبر [ثم الصبر] ثم الرضا ، وهو النهاية في الحالات .

وتقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبى ^(١) حدثنا شعيب بن عبد الله البزار حدثنا غيلان عن معبد عن أبي المليح عن ميمون بن مهران قال « ما نال عبد شيئاً من جسم الخير من نبي أو غيره إلا بالصبر »

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصارى :

فأشدة يوماً ، وإذ جلّ خطبها ،
وإن عسرت يوماً على المرء حاجةً
وأنشدني علي بن محمد البسامى :

تعرّ : فإن الصبر بالحرّ أجمل
فإن تكن الأيام فينا تبدّلت
فما ليّنت منّا قنأةً صليبة
ولكن رحلناها نفوساً كريمة
وأنشدنا عمرو بن محمد الأنصارى أنشدنا الغلابى :

وأنشدنا عمرو بن محمد الأنصارى أنشدنا الغلابى :

إني رأيت الخير في الصبر مسرعاً
عليك بقوى الله في كل حالة
وحسبك من صبر تحوز به أجراً
فإنك إن فعلت نصيب به ذخراً

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الصبر على ضروب ثلاثة : فالصبر عن المعاصي ،
والصبر على الطاعات ، والصبر عند الشدائد انصبيات .
فأفضلها الصبر عن المعاصي .

فالمقابل يدبر أحواله بالثبوت عند الأحوال الثلاثة التي ذكرناها بلزوم الصبر
على المراتب التي وصفناها قبل ، حتى يرتقى بها إلى درجة الرضا عن الله جل وعلا
في حال العسر واليسر معا ، نسأل الله الوصول إلى تلك الدرجة بمنه !

وأشدني عبد الله بن الأحوص :

تَعَزَّ بِحَسَنِ الصَّبْرِ عَنْ كُلِّ هَالِكٍ فِي الصَّبْرِ مَسَلاةُ الْمُسُومِ لِلْوِزَامِ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَسَلْ اصْطِبَاراً وَرُخْشِيَةً سَلَوْتَ عَلَى الْأَيَّامِ مِثْلَ الْبِهَائِمِ
وَلَيْسَ يَذُودُ النَّفْسَ عَنْ شَهْوَاتِهَا مِنَ النَّاسِ إِلَّا كُلُّ مَاضِي الْعِزَائِمِ
وَأَشَدُّنِي ابْنُ زَنْجِي الْبَغْدَادِي :

غَايَةُ الصَّبْرِ لَذِيذُ طَعْمِهَا وَبَدِيَّةُ الصَّبْرِ مِنْهُ كَالْقَصِيرِ (١)
إِنَّ فِي الصَّبْرِ تَفَضُّلاً بَدِيئاً فَاحْمِلِ النَّفْسَ عَلَيْهِ تَصْطَبِرْ

وأشدني الكرزي :

صَبْرٌ ، وَمَنْ يَصْبِرْ يَجِدْ غَيْبَ صَبْرِهِ الَّذِي وَأَحْلَى مِنْ جَنَى النَّحْلِ فِي الْقَمِ
وَمَنْ لَا يَطْبُقْ نَفْسًا ، وَيَسْتَبِقْ صَاحِبًا وَيَغْفِرُ لِأَهْلِ الْوَدِّ يُصْرَمُ وَيَصْرِمِ
أَبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ زَنْجَوِيهِ الْقَشِيرِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَادِ النَّرْسِيُّ حَدَّثَنَا
حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتِ الْبِنَانِيِّ عَنْ مَعَاذَةَ امْرَأَةِ صَلَةَ بْنِ أَشِيمٍ قَالَتْ : « لَمَّا أَتَاهَا
نَعَى زَوْجِهَا وَابْنُهَا جَاءَهَا النِّسَاءُ ، فَقَالَتْ : إِنْ كُنْتُنَّ جِئْتُنَّ لَتَهْنِئْتُنَا بِمَا أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ
وَإِلَّا فَارْجِعْنَ » .

قال ثابت : وكان صلة يأكل يوماً فأتاه رجل ، فقال : مات أخوك ، قال :

(١) الصبر — بفتح فكسر — بحمرة طعمها مر كريمة .

هيئات ، قد نعى إلى ، أجلس فكل ، قال الرجل : ما سبقني إليك أحد ، فقال
قال الله (٣٩ : ٣٠ إنك ميت وإنيهم ميتون) .

حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة قال : كتب
بعض الحكماء إلى أخ له يعزيه عن ابن له يقال له محمد :

اصبر لكل مصيبه ، وتجلد واعلم بأن المرء غير مُخلد

وإذا ذكرت محمدا ومصابه فاذا ذكر مصابك بالنبي محمد

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

يُعزّي العزّي ، ثم يمضي لشأنه ويبقى العزّي في أحرّ من الجمر

ويُرعى العزّي بعد ذلك بسلوة ويثوي العزّي عنه في وحشة القبر

وأنشدني المنتصر بن بلال :

من يسبق السلوة بالصبر فاز بفضل الحمد والأجر

ياعجبي من هلع جازع يُصبح بين الدم والوزر

مصيبة الإنسان في دينه أعظم من جائحة الدهر

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

نجري المقادير إن عسرا وإن يسرا حاذرت واقعها أو لم تكن حذرا

والعسر عن قدر يجري إلى يسر والصبر أفضل شيء وافق الظفرا

سمعت إسحاق بن أحمد القطان البغدادي بثستر يقول : كان لنا جار ببغداد ،

كنا نسميه طبيب القراء ، كان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم ، فقال لي : دخات

يوما على أحمد بن حنبل ، فإذا هو مغموم مكروب ، فقلت : مالك يا أبا عبد الله؟

قال : خير ، قلت : وما الخير؟ قال : امتحنت بتلك الحفة ، حتى ضربت ، ثم

عالجوني وبرأت ، إلا أنه بقي في صلبى موضع يؤجفنى هو أشد على من ذلك

الضرب ، قال قلت : اكشف لي عن صلبك ، قال : فكشف لي ، فلم أر فيه إلا أثر الضرب فقط ، فقلت : ليس لي بذى معرفة ، ولكن سأستخبر عن هذا ، قال : فخرجت من عنده ، حتى أتيت صاحب الحبس ، وكان بيني وبينه فضل معرفة ، فقلت له : أدخل الحبس في حاجة ؟ قال : ادخل ، فدخلت وجمعت قتيانهم ، وكان معي دريهمات فرقها عليهم ، وجعلت أحدثهم حتى أنسوا بي ، ثم قلت : من منكم ضرب أكثر؟ قال : فأخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم أنه أكثرهم ضرباً ، وأشدهم صبراً ، قال قلت له : أسألك عن شيء ؟ فقال : هات ، فقلت : شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم ضرب على الجوع للقتل سباطا يسيرة ، إلا أنه لم يمت ، وعالجوه وبرا ، إلا أن موضعاً في صلبه يوجعه وجماعاً ليس له عليه صبر ، قال : فضحك ، فقلت : مالك ؟ قال : الذي عالجته كان حانكا ، قلت : إيش الخبر ؟ قال : ترك في صلبه قطعة لحم ميتة لم يقامها ، قلت : فما الحيلة ؟ قال يَبِطُ^(١) صلبه ، وتؤخذ تلك القطعة ويرى بها ، وإن تركت بلغت إلى قواده فقتلته ، قال : فخرجت من الحبس ، فدخلت على أحمد ابن حنبل فوجدته على حاله ، فقصصت عليه القصة ، قال : ومن يبطه ؟ قلت : أنا ، قال : أو تفعل ؟ قلت : نعم ، قال : فقام ، فدخل البيت ، ثم خرج ويده مخذتان ، وعلى كتفه فوطه ، فوضع إحداهما لي والأخرى له ، ثم قعد عليها ، وقال : استخر الله ، فكشفت الفوطه عن صلبه ، وقلت : أرني موضع الوجع ، فقال : ضَعْ إصبعك عليه ، فأني أخبرك به ، فوضعت إصبعي ، وقلت : هاهنا موضع الوجع ؟ قال : ههنا أحد الله على العافية ، فقلت : ههنا ؟ قال : هاهنا أحد الله على العافية ، فقلت : هاهنا ؟ قال : هاهنا أسأل الله العافية ، قال : فقلت أنه

(١) البط : الشق بآلة الجراحة التي هي البضع .

موضع الوجع ، قال : فوضعت المبضع عليه ، فلما أحس بحرارة المبضع وضع يده على رأسه ، وجعل يقول : اللهم اغفر للمعتصم ، حتى يبططه ، فأخذت القطعة الميتة ورميت بها ، وشللت العصابة عليه ، وهو لا يزيد على قوله اللهم اغفر للمعتصم ، قال : ثم هدأ وسكن : ثم قال : كأني كنت معلقاً فأصدرت ، قلت : يا أبا عبد الله ، إن الناس إذا امتحنوا بحنة دعوا على من ظلمهم ، ورأيتك تدعو للمعتصم ؟ قال : إني أفكرت فيما تقول ، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكرهت أن آتى يوم القيامة وبينى وبين أحد من قرابته خصومة . هو منى في حبل .

ذكر الحث على العفو عن الجاني

حدثنا الفضل بن الحباب الجهمي بالبصرة حدثنا القعنبى حدثنا عبد العزيز بن محمد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال « أتى رجل فقال : يا رسول الله ، إن لى قرابة أصلهم ويقضونى ، ويسبئون إلى ، وأحسن إليهم ، ويجهلون على ، وأحلم عنهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن كان كما تقول فكأنما تسيئهم اللئ^(١) . ولا يزال من الله معك ظهير ما زلت على ذلك » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على المتعاقل توطين النفس على لزوم العفو عن الناس كافة ، وترك الخروج لمجازاة الإساءة ؛ إذ لا سبب لتسكين

(١) اللئ - بفتح الميم - الرماد الحار تحت الحجر ، يدفن فيه الخبز لينضج . أراد صلى الله عليه وسلم : إنما تجعل الأمة لهم سفوقاً يستفونوه ، يعنى عطاءك وصلتك وإحسانك وحلمك عليهم ، ذلك برد عليك ، وخير لك ، ونار في بطونهم .

الإساءة أحسن من الإحسان ، ولا سبب لبراءة الإساءة وتهيجها أشد من الاستعمال بمثلها .

ولقد أنشدني منصور بن محمد الكريري :

سألزِمُ نفسي الصّفح عن كلّ مذنب وإن كثرت منه إلى الجرائم
فما الناس إلا واحد من ثلاثة : شريف ، ومشروف ، وممثل مقاوم
فأما الذي فوق فأعرف فضله وأتبع فيه الحق ، والحق لازم
وأما الذي دوني : فإن قال صنت عن إجابته عرضي ، وإن لام لأثم
وأما الذي مثلي فإن زلّ أو هفا تفضّلت ؛ إن الحلم للفضل حاكم

أبانا محمد بن عثمان العمري^(١) حدثنا محمد بن عامر الأنطاكي حدثنا ابن توبة حدثنا محمد بن مهاجر عن يونس بن ميسرة بن جليس قال : ثلاثة يجبهم الله : من كره سوءاً يأتيه إلى أخيه وصاحبه ، فذلك قوين أن يستحي من الله ، ومن كان ذا رفعة من الناس فتواضع لله ، فذلك الذي عرف عظمة الله ، فيخاف مقتته ، ومن كان عفوه قريباً من إساءته ، فذلك تقوم به الدنيا .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : من أراد الثواب الجزيل ، واسترّهان الودّ الأصيل ، وتوقع الذكر الجليل ؛ فليتحمل من ورود ثقل الردي ، ويتجرع مرارة مخالفة الهوى ، باستعمال السنة التي ذكرناها في الصلوة عند القطع ، والإعطاء عند المنع ، والحلم عند الجهل ، والعمو عند الظلم ؛ لأنه من أفضل أخلاق أهل الدين والدنيا .

ولقد أبانا محمد بن المهاجر حدثنا ابن أبي شيبة حدثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون عن داود بن الزرقان : قال قال أيوب « لا ينبلُ الرجل حتى يكون فيه خصلتان : العفة عما في أيدي الناس ، والتجاوز عنهم » .

وأشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

وإذا مذنب أتاه به الحق ، فغطاه غفوه في ستوره
راجياً للثواب في كل زُرْدٍ من خَيْبِ الأمور ، أو مشهوره
فهو في عاجل الحياة كريم ومن الفائزين يوم نشوره
خَصَّةٌ جَزَلَةٌ بها خَصَّ الله لزين الدنيا ويوم كروبه

أبنا محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا عمر بن حفص الشيباني حدثنا سفيان
عن رجل ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول « أحب الأمور إلى الله ثلاثة :
العفو في القدرة ، والقصد في الجِدَّةِ ، والرفق في العبادة ، وما رَفَّقَ أحدٌ بأحد في
الدنيا إلا رَفَّقَ الله به يوم القيامة »

أبنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الفلابي حدثنا ابن عائشة قال : كتب
الحجاج إلى عبد الملك « إنك أعزُّ ما تكون أحوجُ ما تكون إلى الله ، فإذا
تعزرت بالله فاعفُ ، فانك به تعز ، وإليه ترجع » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الصفع عند ورود
الإساءة عليه من العالم بأسرهم ، رجاء عفو الله جل وعلا عن جنائياته التي ارتكبها
في سالف أيامه ؛ لأن صاحب الصفع إنما يتكلف الصفع بايثاره الجزاء ، وصاحب
العقاب وإن انتقم كان إلى الندم أقرب ، فأما من له أخ يودُّه فإنه يحتمل
عنه الدهر كله زلاته .

ولقد أخبرني محمد بن المنذر حدثنا أحمد بن داود التمار قال : سمعت مردويه
الصائغ يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول : احتمل لأخيك إلى سبعين زلَّةً ،
فقبل له : وكيف ذلك يا أبا علي ؟ قال : لأن الأخ الذي آخيته في الله ليس يزل
سبعين زلَّةً .

وأنشدني علي بن محمد النيسابى :

إذا لم تجاوز عن أخ لك عثرةً فليست غداً من عثرتي متجاوزاً
وكيف يرجيك البعيد لثفمه إذا كان عن مولاك برك عاجزاً

أبناؤنا محمد بن صالح الطبرى حدثنا الرمادى حدثنا الخففى يحيى بن سليمان
حدثنا ابن أبي عمير حدثنى أبى قال : « أقبل الشعبي يوماً ، فإذا هو برجلين من قومه
من وراء جدار قصير ، قال : فاستمع عليهما ، فإذا هما يتعان فيه ويشتمانه ،
ويستقصانه ^(١) حتى أكثرا ، فلما أطالا أشرف عليهما الشعبي ، فقال ^(٢) :

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لقرة من أعراضنا ما استحلحت
فقالا : والله يا أبا عمرو ، لا نقعُ فيك بعد اليوم .

وأنشدني بعض أهل العلم :

ولربما ابتسم الوقور من الأذى وضميره من حره يتأوه
ولربما خزن الحليم لسانه حذر الجواب وإنه لُفوه

أبناؤنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم ، أبناؤنا عبد الله بن الحسين المصيصى ،
أبناؤنا يعقوب بن أبى عباد ، قال : قال الفضيل بن عياض : مَنْ طلب أخاً بلا
عيب بقى بلا أخ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أغنى الناس عن الحق من عظم عن المجازاة ،
وأجل الناس مرتبة من صدَّ الجهل بالحلم ، وما الفضل إلا لمن يحسن إلى من أساء
إليه ، فأما مجازاة الإحسان إحساناً فهو المساواة فى الأخلاق ، فلربما استعملها
البيهائم فى الأوقات ، ولو لم يكن فى الصنم وترك الإساءة خصلة نحمد إلا راحة
النفس ووداع القلب فكان الواجب على العاقل أن لا يكدر وقته بالدخول فى
أخلاق البهائم ، بالمجازاة على الإساءة إساءة ، ومن جازى بالإساءة إساءة فهو
اللسى ، وإن لم يكن بادناً .

(١) فى نسخة « ويستقصانه » (٢) البيت لكثير عزة .

كما أشدني الكريزي:

أسأت ، وأنكرتُ أي أسأتُ فأفضل ، ولا تك عين المِسي
لك الفضل بالعضو عما عفوت وإلا فأنت القرين السوي
وعفوك مقتدرًا نعمة وعفو المندد غير الهني

سمعت محمد بن عثمان العقبى ، قال : سمعت هلال بن العلاء الباهلي يقول :
جعلت على نفسي منذ أكثر من عشرين سنة أن لا أكفيء أحدًا بسوء ،
ودميتُ إلى هذه الأبيات :

لما عفوتُ ، ولم أحقد على أحدٍ أرحتُ قلبي من غمِّ العداواتِ
إني أحبُّ عدوي عند رؤيته لأدفع الشر عنى بالتحياتِ
وأظهر البشر للإنسان أبغضه كما ما قد حُشى قلبي محباتِ

أبانا ابن قتيبة ، حدثنا ابن أبي السرى ، قال : سمعت أبا عمر الصنعاني يقول :
حدثنا زيد بن أسلم قال : قال لقمان لابنه « كذب من قال : إن الشر يطفىء
الشر ، فإن كان صادقاً فليوقد ناراً إلى جنب نار ، فلينظر هل تطفىء إحداهما
الأخرى ؟ وإلا فإن الخير يطفىء الشر ، كما يطفىء الماء النار »

حدثني محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن خلف البسامي ، حدثنا
محمد بن عبيد الله الداري ، حدثنا محمد بن عمران الضبي قال : قال ابن السكك :
إن لمن يحفُو ، قتلٌ من يصفو .

وأشدني الأبرش :

فوخٌ من الشُّبلي أوساطه وعدُّ عن الحائر المشبه
وسمكٌ صنٌ عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
فإنك عند سماع القبيح شريك لقائله ، فأنتبه

فكم أزعج الحرصُ من طائب فوافي المنية في مطلبه
أبناؤنا عمر بن حفص البزاز يجتدي سابور ، حدثنا جعفر بن محمد بن حبيب
الذراع حدثنا عبد الله بن رشيد ، حدثنا جماعة بن الزبير ، قال : قال نقران لابنه
« أي شيء ، أي شيء أقل ؟ وأي شيء أكثر ؟ وأي شيء أحلى ؟ وأي شيء
أبرد ؟ وأي شيء أنس ؟ وأي شيء أوحش ؟ وأي شيء أقرب ؟ وأي شيء أبعد ؟
قال : أما أقل شيء ، فالتيقين ، وأما أي شيء أكثر فالشك ، وأما أي شيء أحلى
فروح الله بين العباد يتحابون بها ، وأما أي شيء أبرد ففضو الله عن عباده ،
وعفو الناس بعضهم عن بعض ، وأي شيء أنس حبيبك إذا أغلق عليك
وعليه باب واحد ، وأي شيء أوحش جسد إذا مات ، فليس شيء أوحش منه ،
وأى شيء أقرب فالآخرة من الدنيا ، وأي شيء أبعد فالدنيا من الآخرة »
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يحسن عند الجفوة ، وينص عن المجازاة
عليها بمثلها .

وقد قيل : إن من لم يقضب من الجفوة لم يشكر النعمة .

وهو عندي - والله أعلم - غضب لا يخرج به إلى المعاصي ، ولا إلى الانتقام من
الجاني ، كأنه في نفسه يعلم محل الجفوة منه ، كما يعقل ورود النعمة عليه ، وما
أقبح قدرة اللئيم إذا قدر ، ومن أساء سمعاً أساء إجابة ، ومن أتى المسكروه إلى
أحد فينفسه بدأ ؛ لأن الشرور تبدو صغاراً ثم تعود كباراً .

ولقد أبناؤنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا محمد بن إدريس الرازي ، حدثنا
عبد الرحمن بن يحيى وإسماعيل بن عبيد الله الحزمي ، قالا : حدثنا عبد الأعلى
ابن مسهر ، عن سعيد بن عبد العزيز قال : سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول
لبنيه : « يا بني أكرموا من أكرمكم ، وإن كان عبداً حبشياً ، وأهينوا من
أهانكم ، وإن كان رجلاً قرشياً »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الذى قال إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر : إن استعمله العاقل فى الأحوال كلها مع الجاهل فلا ضير ، فأما من ارتفع عن حد الجاهل ، واتضع عن حد العقلاء ، فالإغضاء عن مثله فى الأوقات أحد مخافة الازدياد منه ، ولأن يصبر المرء على حرارة الجفاء ومرارتها أولى من الانتقام مما يستجلب عليه بما هو أحر وأمرٌ بما مضى ؛ لأن من الكلام ما هو أشد من الحجر ، وأند من الإبر ، وأمرٌ من الصبر .

ولقد أحسن الذى يقول :

لقد أسمعُ القوال الذى كاد كلما تذكرنيه النفس قلبى تصدعُ
فأبدي لمن أبداه منى بشاشة كأنى مسرور بما منه أسمع
وما ذاك عن عجز به ، غير أنتى أرى أن ترك الشر للشر أقطع

أنيأنا محمد بن صالح الطبرى بالصيمرة ، حدثنا أحمد بن مقدم العجلي ، حدثنا محمد بن عبيد الرحمن الطفاوى ، عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي عمرو فى هذه الآية (٧ : ١٩٩ خذ العفو وأمر بالعرف) قال : « أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالعفو عن أخلاق الناس »

ذكر صفة الكريم والثلثم

أنيأنا محمد بن الحسن بن الخليل بنسأ ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبدة ابن سليمان عن عبيد الله بن عمر ، عن سعيد المقبرى ، عن أبي هريرة قال « قيل : يارسول الله ، أى الناس أكرم ؟ قال : أكرمهم عند الله أتقاهم ، قالوا : ليس عن هذا نسألك ؟ قال : فعن معادن العرب تسألوننى ؟ قالوا : نعم ، قال : خياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام ، إذا فقهوا »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أكرم الناس من اتقى الله ، والكريم التقى .
والتقوى : هي العزم على إتيان الأمور ، والأزجار عن جميع المزجورات ^(١) ،
فمن صح عزمه على هاتين الخصلتين فهو التقى الذى يستحق اسم الكرم ، ومن
تعرى عن استعمالها ، أو أحدها ، أو شعبة من شعبهما ، فقد نقص من كرمه مثله .
ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا عيسى بن محمد بن سهل الأزدي عن
أبيه عن المدائني ، قال : قال زيد بن ثابت « ثلاث خصال لا تجتمع إلا في كريم :
حسن المحضر ، واحتمال الزلة ، وقلة الملااة »

وأشدنى ابن زنجي البغدادي :

رأيت الحق يعرفه الكريم لصاحبه وينكره اللئيم
إذا كان التقى حسناً كريماً فكل فعاله حسن كريم
إذا ألقىته سمجاً لئيماً فكل فعاله سمج لئيم

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكريم لا يكون حقوداً ، ولا حسوداً ، ولا
شامتاً ، ولا باغياً ، ولا ساهياً ، ولا لاهياً ، ولا فاجراً ، ولا فخوراً ، ولا كاذباً ،
ولا ملولاً ، ولا يقطع إلفه ، ولا يؤذى إخوانه ، ولا يضع الحفاظ ، ولا يخفى
الوداد ، يعطى من لا يرجو ، ويؤمن من لا يخاف ، ويعفو عن قدرة ، ويصل عن
قطيعة .

أخبرني محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن علي بن

(١) هذا تفسير باللازم ، وإلا حقيقة التقوى في اللغة : الأخذ بكل أسباب مما
يدفع عن الإنسان كل ما يكره ويحذر في الدنيا والآخرة ، واتخاذ الوقاية مما يؤذى
ويضر في الجسم والقلب والعقل ، ولا يكون ذلك إلا بالعلم واليقظة التامة ، والبصيرة
النيرة ، فكم من آت لكل الأمور ومنزجر عن كل المحرمات ولكنه على جهل
وتقليد أعمى لا يفتقه شيء مما يأتي ولا يدفع عنه أزجاره شيئاً مما يخاف ويحذر ، والله
الموفق لكل خير والمهادي إلى سواء السبيل .

محمد المرحبي عن محمد بن إبراهيم العباسي عن عبد الله بن الحجاج - مولى المهدي -
عن إبراهيم بن شكلة ، قال « إن لكل شيء حياة وموتاً ، وإن مما يحيي الكرم
مواصلة الكرماء ، وإن مما يحيي اللؤم معايرة اللثام »
وأشدني الكريزي :

ما بال قوم لثام ليس عندهم عهد ، وليس لهم دين إذا اتسبوا
إن يسمعون ريبة طاروا بها فرحاً ، وما سمعوا من صالح دفتوا
صمُّ إذا سمعوا خيراً ذكرتُ به وإن ذكرتُ بسوء عندهم أذِنوا (١)
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الكريم يلين إذا استعطف ، واللثيم يقسو إذا
أنطف ، والكريم يُجِلُّ الكرام ، ولا يُهين اللثام ، ولا يؤذي العاقل ، ولا
يمازح الأحمق ، ولا يعاشر الفاجر ، مؤثراً إخوانه على نفسه باذلاً لهم ماملك ، إذا
اطلع على رغبة من أخ لم يدع مكافأتها ، وإذا عرف منه مودة لم ينظر في قلق
العداوة ، وإذا أعطاه من نفسه الإخاء لم يقطع به شيء من الأشياء .

كما أشدني الخلابي ، أشدنا أحمد بن أبي علي القاضي ، قال : أشدنا محمد
بن مقيس الأزدي :

فإن الذي بيني وبين عشيرتي وبين بني عمي مختلفٌ جدا
إذا قدحوا لي نار حرب برزندهم قدحتُ لهم في كل مكرمة زندا
وإن أكلوا الحمي وفرتُ لحومهم وإن هدموا تجدي بنيتُ لهم مجدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيسُ القوم من يحمل الحقدا
وأعطيهمُ مالي إذا كنت واجدا وإن قلَّ مالي لم أكلفهمُ رفدا (٢)

(١) يقال : أذن الرجل للقول ، أي ألقى سمعه وأصغى بانتباه ويقظة زائدة ،
والآيات لقضب بن أم صاحب .

(٢) هذه الآيات من شعر الحماسة منسوبة إلى المنع الكندي من قصيدة له ، وفي
بعض ألفاظها اختلاف . و « الرفد » العطاء .

أنبأنا ابن حوصا ، حدثنا النحاس حدثنا ضمرة عن إبراهيم بن أبي عليّة قال :
رأيت سالم بن عبد الله ومحمد بن عبد العزيز يقسايران بأرض الروم ، فأبال أحدهما
دايته ، فأمسك عليه الآخر حتى لحقه .

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا أحمد بن أبي بكر بن خالد اليزيدي عن قُطبة
ابن العلاء بن المنهال ، قال : سمعت المبارك بن سعيد يقول : سمعت الأعمش يقول :
قال الشعبي « إن كرام الناس أسرع مودة ، وأبطؤم عداوة ، مثل الكُوب من
الفِضّة يبطيء الانكسار ، ويسرع الانجبار ، وإن لثام الناس أبطؤم مودة ،
وأسرعهم عداوة ، مثل الكُوب من الفَخَّار : يسرع الانكسار ، ويبطيء الانجبار »
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكرم من أعطاه شكره ، ومن منعه عذره ،
ومن قطعه وصله ، ومن وصله فضله ، ومن سأله أعطاه ، ومن لم يسأله ابتدأه ،
وإذا استضعف أحداً رحمه ، وإذا استضعفه أحدٌ رأى الموت أكرم له منه ،
واللحم بضد ما وصفنا من الخصال كلها .

ولقد أنبأنا أحمد بن قريش بن عبد العزيز ، حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلي ،
حدثنا أحمد بن الخليل ، حدثنا يحيى بن أيوب عن أبي عيسى قال : كان إبراهيم
ابن آدم كريم النفس ، يخالط الناس بأخلاقهم ويأكل معهم ، قال : فربما
اتخذ لهم الشواء والجواذبات والخبيص ، وربما خلا وأصحابه الذين يأنس بهم
فيتصارعون ، قال : وكان يعمل عمل رجلين ، وكان إذا صار إلى نفسه أكل
عجينا .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أجمع أهل التجارب للدهر ، وأهل الفضل في
الدين ، والراغبون في الجليل : على أن أفضل ما اقتنى الرجل لنفسه في الدنيا ، وأجل
ما يدخر لها في العقبي هو لزوم الكرم ، ومعاشرة الكرام ؛ لأن الكرم يحسن
الذكر ، ويشرف القدر ، وهو طباع ركبها الله في بني آدم ، فمن الناس من يكون

أكرم من أبيه ، وربنا كان الأب أكرم من ابنه ، وربما كان المملوك أكرم من مولاه ، ورب مولى أكرم من مملوكه .

وقد أحسن الذي يقول :

رب مملوك إذا كشفته كان من مولاه أوفى بالكرم
فهو ممدوح على أحواله وترى مولاه يُهَجَى وَيُدَمَّ
وتراه كيف يملو دأبها ؟ وترى مولاه من تحت القدم
وفتى تلقى أباه دونه وأباً تلقاه أعلى وأتم
من بنيه ، ثم لا يعتلُّ إن طلب المعروف منه بالصمم
وكذاك الناس - فاعلم - ربنا قدر الأخلاق فيهم وقسم
وأشدنى الأبرش :

رأيت اللين لا يرضى بضم لأن الضيم يسخطه الكريم
وإن اللين أكرم كلِّ شيء فليس يحبه خلق نعيم
فإن تزكَّ الأذى واللين قلبا فإن اللين يرحل لا يقيم
ويبقى للأذى في القلب حجب من البغضاء يلبث لا يبريم^(١)

حدثنا القطان بالرفقة ، حدثنا أحمد بن أبي الخوارى ، قال : سمعت أبي يقول :
ما من أحد إلا وله توبة ، إلا سيء الخلق ؛ فإنه لا يتوب من ذنب إلا دخل في
شر منه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكريم محمود الأثر في الدنيا ، مرضى العمل
في العقبى ، يحبه القريب والقاصى ، ويألفه المتسخط والراضى ، يفارقه الأعداء
والهائم ، ويصحبه العقلاء والكرام .

وما رأيت شيئاً أكثر عملاً في نقص كرم الكريم من الفقر ، سواء كان
ذلك بانقلب أو بالموجود .

(١) لا يبريم : لا يفارق .

وقد أنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

لعمرك ، إن المالَ قد يحمل القتي نسيبا ، وإن الفقر بانزء قد يُرري
ولا رَفَعَ النفسَ الدنيَّةَ كالغني ولا وضع النفسَ الكريمةَ كالفقير
حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا حميد بن
عبد الرحمن عن زكريا بن أبي زائدة عن علي بن الأقر عن أبي جحيفة قال :
« جالسوا الكبراء ، وخالطوا الحكماء ، وسألوا العلماء »

ذكر الزجر عن قبول قول الوشاة

أبانا أبو يعلى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أسباط ، حدثنا مهدي بن ميمون
حدثنا واصل الأحذب عن أبي وائل عن حذيفة « أنه بلغه أن رجلا يتيم
الحديث ، فقال حذيفة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يدخل
الجنة مِّمَّ »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على الناس كافة : مجانبة الإفكار في
السبب الذي يؤدي إلى البغضاء والمشاحنة بين الناس ، والسمي فيما يفرق جمعهم
ويشتت شملهم ، والعاقل لا يخوض في الإفكار فيما ذكرنا ، ولا يقبل سماعة الواشي
بجيلة من الخيل ، لعلمه بما يرتكب الواشي من الإثم في العقبي بفعله ذلك .

ولقد أبانا محمد بن سعيد القرظي ، حدثنا عباس بن الوليد بن مزيد عن أبيه
عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يا بني ،
إياك والنميمة ، فإنها أحدٌ من السيف »

وأنشدني الكريزي :

من تمَّ في الناس لم تؤمن عقاره
على الصديق ، ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل ، لا يدري به أحد
من أين جاء ، ولا من أين يأتيه ؟
فالويل للعهد منه ، كيف ينقضه ؟
والويل للود منه ، كيف يفتنيه ؟

أخبرنا أحمد بن إسحاق الناقد بواسط ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال « لما تعجل موسى ابن عمران إلى ربه رأى رجلا تحت العرش ، فقبطه بمكانه ، فسأل ربه أن يخبره باسمه ، قال : لكنني أخبرك من عمله بثلاث خصال : كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، ولا يعق والديه ، ولا يمشی بالنميمة »

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن يعقوب الرعي ، حدثنا محمد بن إدريس للعدل عن العتيبي قال « سمعت أعرابية توصي ابنا لها ، فقالت : عليك بحفظ السر ، وإياك والنميمة ؛ فإنها لا تترك مودة إلا أقسدتها ، ولا ضغينة إلا أوقدتها .

ثم لا بد لمن عرف بها ونسب إلى مقارقتها من أن يحترس من مجالسته ، وأن لا يوثق بمودته ، وأن يزهد في مواصاته ومعاشرته .
ولذلك يقول أخو ربيعة :

تمشيتَ فينا بالنميمة ، وإيما تفرق بين الأصفياء الهائم
وما زلتَ منسوبا إلى كل آفة وما زال منسوبا إليك الملائم
لأنك لم تقدم نشتري فعلته وما تأت من خير فإنك نادم

أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الثعلابي حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمي ، حدثنا علي بن محمد المدائني قال « وشي واش بعبد الله بن همام السلولي إلى زياد ، قال : فبعث زياد إلى ابن همام ، فجاء ، فأدخل الرجل بيتاً ، فقال له زياد : يا ابن همام . بلغني أنك هجوتني ، فقال له : كلاً ، أصلحك الله ! ما فعلت ، وما أنت لذلك أهل ، قال : فإن هذا أخبرني — وأخرج الرجل — فأطرق ابن همام هنيئة ، ثم أقبل على الرجل فقال :

وأنت اسرؤ : إما ائتمنتك خاليا فحنت ، وإما قلتَ قولاً بلا غم

فأنت من الأمر الذي كان بيننا بمنزلة بين الخيالة والإثم

قال : فأعجب زياد بجوابه ، وأذناه ، وأقصى الساعى ، ولم يقبل منه .

وأشدهى ابن زنجى البغدادي :

يمشون في الناس يبغون العيوب لمن لا عيب فيه ، لكي يستشرف العطب

إن يعلموا الخير يخفوه ، وإن علموا شراً أذاعوا ، وإن لم يعلموا كذبوا

أخبرني محمد بن أبي علي ، حدثنا ابن أبي شيبة أبو جعفر ، حدثنا الحسن بن

صالح قال : سمعت حُجَّين بن المثني يقول « سعى رجل بالليث بن سعد إلى والي

مصر ، فبعث إليه فدعاه ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا الحارث ، إن هذا أبلغني

عنك كذا وكذا ، فقال له الليث : سله — أصلح الله الأمير! — عما أبلغك :

أهو شيء أئتمناه عليه فخانتنا فيه ، فما ينبغي لك أن تقبل من خائن ، أو شيء كذب

علينا فيه ، فما ينبغي لك أن تقبل من كاذب ؟ فقال الوالي : صدقت يا أبا الحارث »

أخبرنا ابن حوصا ، حدثنا عبد الله بن هاني . بن عبد الرحمن عن ابن أبي عمارة

عن أبيه عن عمه إبراهيم بن أبي عينة قال : « كنت جالسا مع أم الدرداء ، فأتاها

آت ، فقال : يا أم الدرداء ، إن رجلا نال منك عند عبد الملك بن مروان ،

فقلت : إن تؤن^(١) بما ليس فينا فظالما زُكِّينا بما ليس فينا »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الإغضاء عما ينقل الوشاة ،

وصرف جميعها إلى الإحسان ، وترك الخروج إلى ما لا يليق بأهل العقل ، مع ترك

الإفكار فيما يُررى بالعقل ؛ لأن من وثى بالشيء إلى إنسان بعينه يكون قصده

إلى الخبر أكثر من قصده إلى الخبر به ، لمشافهته إياه بالشيء الذي يشق عليه

علمه وسماعه »

ولقد أحسن الذي يقول :

(١) تؤن : تهم .

من يُخْبِرُكَ بِشْتَمٍ عَنْ أَخٍ فهو الشاتم ، لا من شتمَكَ
 ذاك شيء لم يشافِكَ به إنما اللوم على من أعلمَكَ
 كيف لم ينصرك ؟ إن كان أخا ذا وفاء عند من قد ظلمَكَ
 إنما رام بأبلاغ الذي نعم هيه - فاعلمن - أن يُرغمَكَ
 فاعنه ، إنه من ثومه إن تُهنئه بهوان أكرمَكَ
 لكن الحر إذا أكرمه لم يُصغرك ، ولكن فحَمَكَ

أبنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن عبد الله السويدي قال : سمعت العباس
 ابن ميمون يقول : شيع المأمون الحسن بن سهل ذا الوزارتين ، فلما بلغا غاية
 التشيع ، قال له المأمون : يا حسن ، ألك حاجة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، تحفظ
 على من قلبك ما لا أستطيع إدراكه إلا بك ، ويكون بيني وبينك قول كثير عزة :
 وكوني على الواشين أدلة شعبة كما أنا تلواتي أدل شعوب
 أخبرنا محمد بن سعيد القرزاز ، حدثنا محمد بن خزيمة البهرى ، حدثنا حذيفة
 حدثنا عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير قال « الذي يعمله النمام في ساعة
 لا يعمله الساحر في شهر »

أخبرنا محمد بن عثمان العمري ، حدثنا محمد بن الحسن الهلالى ، حدثنا أبو عوانة
 البصرى ، حدثنا داود بن شبيب ، حدثنا حماد بن سلمة قال « باع رجل من رجل
 غلاماً له ، وقال : أبرأ إليك من التهمة ، فاشتراه على ذلك ، فجاء إلى مولاه ،
 فقال : إن زوجك ليس يحبك ، وهو ينسرى عليك ويتزوج ، أفتريد أن يعطف
 عليك ؟ قالت : نعم ، قال : خذى موسى فاحلقى به شقرات من باطن حخته
 وبخرى به بها ، وجاء إلى الرجل ، فقال : إن امرأتك تبغى ، وتصادق ، وهى
 قاتلتك ، أفتريد أن يبين لك ذلك ؟ قال : نعم ، قال تناوم لها ، قال : فتناوم لها ،
 فجاءت بموسى تحلق الشعر ، فأخذها فقتلها ، فأخذها أولادها فقتلوه »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا وأمثاله من ثمرة النسيمة ؛ لأنها تهتك الأستار
وتفشى الأسرار ، وتورث الضغائن ، وترفع المودة ، وتجدد المداوة ، وتبدد الجماعة
وتهيج الحقد ، وتزيد الصد ، فمن وُشىَ إليه عن أخ كان الواجب عليه معاتبته
على المفوة إن كانت ، وقبول العذر إذا اعتذر ، وترك الإكثار من العتب ، مع
توطئ النفس على الشكر عند الحفاظ ، وعلى الصبر عند الضياع ، وعلى المعاتبة
عند الإساءة .

وأنشدنى منصور بن محمد الكرى :

كاف الخليل على المودة مثلها وإذا أساء فكافه بعبابه
وإذا عتبت على امرئ أحبته فتوقّ ظاهر عيبه وسبابه
وإن جناحك ما استلان لوده وأجب أخاك إذا دعا بجوابه

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

أعاب إخوانى ، وأبقى عليهم ولستُ لهم بعد العتاب بقاطع
وأغفر ذنب المرء إن زلّ زلة إذا ما أتاها كارها غير طائع
وأجزع من لوم الخليم وعذله وما أنا من جهل الجهول بجازع

أخبرنى محمد بن على الخلابى ، أخبرنى محمد بن يزيد النحوى عن العتبى
عن أبيه قال : عتب ابن الزبير على معاوية فى شيء ، فدخل عليه ، فقال : يا أمير
المؤمنين : اسمع آياتنا أعتبتك فيها ، قال : هات ، فأنشده^(١) :

لعمرك ما أدرى ، وإنى لأوجل على أيننا تعدو للنية أول
وإنى على أشياء منك ترىنى كثيراً لذو صفح على ذلك مجمل
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران لو كان يعقل

فقال له معاوية : لقد شعرت بعدى يا أبا بكر ، فدخل عليه معن بن أوس
المزنى بعد ذلك ، فقال له معاوية : هل أحدثت بعدنا شيئاً ؟ قال : نعم ، ثم أنشده :

(١) الأبيات لمعن بن أوس ، وسيدكر المؤلف ذلك .

* نمرڪ ما أدري وإني لأرجل *

قَالَ : عَلَى بَابِ الزَّيْبِ ، فَقَالَ : أَلَيْسَ هَذَا لَكَ فَمَا زَعَمْتَ ؟ قَالَ : أَنَا أَلَمْتُ
الْمَعْنَى ، وَهُوَ أَلْفُ الْقَوَافِي ، وَهُوَ بَعْدُ ظَهْرِي ، وَمَهْمَا قَالَ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَا قَلْتَهُ ،
فَضَحِكُ مَعَاوِيَةَ ، وَكَانَ مَعْنَى بَنِ أَوْسٍ مُسْتَرْضِعًا فِي مَرْيَنَةَ .

سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ إِسْحَاقِ الْأَصْفَهَانِي يَقُولُ : كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ حَبْرٍ السَّمْدِيُّ
إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ :

أَحْرَثُ إِلَى عِتَابِكَ ، غَيْرَ أَنِّي أَجِلُّكَ عَنْ عِتَابِي فِي كِتَابٍ
وَنَحْنُ إِذَا التَّقِينَا قَبْلَ مَوْتٍ شَفِيتُ غَلِيلَ صَدْرِي مِنْ عِتَابِي
وَإِنْ سَبَقْتُ بِنَا أَيْدِي الْمَنَاسِيَا فَمَنْ مِنْ عَاتِبٍ نَحْتُ التَّرَابِ
وَأُنْشِدُنِي عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ سَلِيمَانَ الْأَبْرَشِ :

صَحَائِفُ عِنْدِي لِلْعِتَابِ طَوِيلَتِهَا سَتُنَشِرُ يَوْمًا ، وَالْعِتَابُ يَطْوُلُ
كِتَابَ لَعْمَرِي لِابْنَانٍ يَحْطُّهُ وَسَوْفَ يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ رَسُولٌ
سَأُكْتُبُ إِنْ لَمْ يَجْمَعْ اللَّهُ بَيْنَنَا وَإِنْ نَجْتَمِعُ يَوْمًا فَسَوْفَ أَقُولُ

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَقْصُرَ عَنْ مَعَاتِبَةِ
أَخِيهِ عَلَى زَلَّتِهِ ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَعَاتِبْ عَلَى الزَّلَّةِ لَمْ يَكُنْ بِحَافِظٍ لِلخَلَّةِ ، وَمَنْ أَعْتَبَ
لَمْ يَذَنْبْ ، كَمَا أَنَّ مَنْ اغْتَفَرَ لَمْ يَعَاقِبْ ، وَظَاهِرُ الْعِتَابِ خَيْرٌ مِنْ مَكْتُومِ الْحَقِّدِ ،
وَرُبَّ عَتَبٍ أَفْعَى مِنْ صَفْحٍ ؛ وَلِذَلِكَ أَنْشَدُنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقِ الْوَاسِطِيُّ :

إِذَا مَا امْرُؤٌ سَاءَتْكَ مِنْهُ خَلِيقَةٌ فَكَاتَمْتَهُ ، فَالْوَهْنُ فِي ذَاكَ تَرْكِبُ
لَمَلِكٍ لَوْ عَاتَبْتَهُ ، نَمُّ لُكْتِهِ لَسَرُّكَ ، حَتَّى لَمْ تَكُنْ تَتَعَتَّبُ
وَأُنْشِدُنِي الْكَرْمَلِيُّ :

فَإِنْ تَكُنِ الْمَتْبِيُّ فَأَهْلًا وَمَرْحَبًا وَحَقٌّ لَهَا الْعَتْبِيُّ لَدَيْنَا وَقَلْتِ

وإن تكن الأخرى ، فإن وراءنا مغاوزه لو سارت بها العيس كَلَّت
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب على العاقل أن يناقش على تصحيح
الإعتاب بالإكثر مخافة أن يعود العتاب إلى ماعوتب عايه ؛ لأن من عاتب على
كل ذنب أخاه ، لتحقيق أن يملكه ويقلاه ، وإن من سوء الأدب كثرة العتاب ،
كما أن من أعظم الجفاء ترك العتاب ، والإكثر في المعاتبة يقطع الود ، ويورث الصد
ولقد أنشدنى عبد الله بن أحمد النقيب البغدادي لابن المعتز :

معاتبة الإلمين تحسنُ مرّةً فإن أكثروا إيمانها أفد الحبا
إذا شئت أن تُقلَى فزر متتابعا وإن شئت أن تزداد حُبّا ، فزر غيبًا
وأنشدنى محمد بن أبي على الصيداوى^(١) :

إذا كنت في كل الأمور معاتبا خليلك لم تلق الله لا تعاتبه
فعل واحدًا ، أو صل أخاك فإنه مقارف ذنب مرّةً وبجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت ، وأى الناس تصفو مشاربه ؟
أخبرنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن أبي السائب قال :
قال على بن أبي طالب رضى الله عنه « لا تكثر العتاب ، فإن العتاب يورث
الضعيفة والبغضة ، وكثرته من سوء الأدب »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات في كتاب
« مراعاة الإخوان » ، فأضفى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

ذكر استحباب قبول الاعتذار من المعتذر

أنبأنا على بن الحسن بن عبد الجبار - بنصيبين - حدثنا على بن حرب الطائى
حدثنا وكيع عن الثورى عن ابن جريج عن العباس بن عبد الرحمن بن مينا عن

(١) تنسب الأبيات لبشار بن برد .

جودان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اعتذر إلى أخيه فلم يقبل كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أنا خائف أن يكون ابن جريج رحمة الله ورضوانه عليه دلس هذا الخبر بأن سمعه من العباس بن عبد الرحمن فهو حديث حسن .
فالواجب على العاقل إذا اعتذر إليه أخوه بالجرم مضي ، أو لتقصير سبق ، أن يقبل عذره ، ويحمله كمن لم يذنب ؛ لأن من تَنَصَّلَ إليه فلم يقبل أخاف أن لا يَرِدَ الحوضَ على المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن فرَطَ منه تقصير في سبب من الأسباب يجب عليه الاعتذار في تقصيره إلى أخيه .

ولقد أنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

إذا اعتذر الصديق إليك يوماً من التقصير عذر أخٍ مُقَرَّ
فضنه عن جنالك ، وأعف عنه فإن الصنح سيمة كل حر
وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

شفيح من أسلمه جرمه إقراره بالجرم والذنب
وتوبة المذنب من ذنبه إعتاب من أصبح ذا عتب

أبياً عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة ، قال : غضب سليمان ابن عبد الملك على خالد بن عبد الله ، فلما دخل عليه قال : يا أمير المؤمنين ، القدرة تذهب الحفيظة ، وأنت تجلُّ عن العقوبة ، فإن تمع فأهل ذلك أنت ، وإن تعاقب فأهل ذلك أنا ، قال : فعفا عنه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للمرء أن يعتذر بحيلة إلى من لا يجب أن يجده عذراً ، ولا يجب أن يكثر من الاعتذار إلى أخيه ؛ فإن الإكثار من الاعتذار هو السبب المؤدى إلى التهمة ، وإني أستحب الإقلال من الاعتذار على الأحوال كلها ، لعلى أن المصادير يعتريها الكذب ، وقل ما رأيت أحداً

اعتذر إلا شابَ اعتذاره بالكذب ، ومن اعترف بالذلة استحق الصفح عنها ،
لأن ذلَّ الاعتذار عن الذلة يوجب تسكين الغضب عنها ، وللمعتذر إذا كان محقاً
خضع في قوله ، وذلك في قوله : كما أشدني التصبر بن بلال :

أيارب قد أحسنتَ عوداً وبدأةً إلى ، فلم ينهض باحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر إليك وحجّةٍ فعذري إقرارى بأن ليس لي عذر
وأشدني الكريزي :

وإني وإن أظهرتَ لي منك جفوةً وأزمتني ذنباً وإن كنتُ مجرماً^(١)
لراضٍ لنفسي مارضيت لها به أراك بها منى أبراً وأرحماً
أنبأنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا الفيض بن الجهم التميمي ، حدثنا عبد الله
ابن خبيق قال : كان يقال : احتمل من ذلَّ عليك ، وأقبل ممن اعتذر إليك .

أنبأنا بكر بن محمد بن عبد الوهاب القزازي - بالبصرة - حدثنا إسماعيل بن
إبراهيم أبو بشر قال : سمعت أبي قال : حدثنا مبارك بن فضالة عن حميد الطويل
عن أبي قلابة ، قال : إذا بلغك عن أخيك شيء تكبره فالتمس له عذراً ، فإن لم
تجد له عذراً فقل : لعل له عذراً لا أعلمه .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب للمرء أن يعلن عقوبة من لم يعلن
ذنبه ، ولا يخلو المعتذر في اعتذاره من أحد رجلين : إما أن يكون صادقاً في
اعتذاره ، أو كاذباً ؛ فإن كان صادقاً فقد استحق العفو ، لأن شرَّ الناس من لم
يقبل العثرات ولا يستر الزلات ، وإن كان كاذباً فالواجب على المرء إذا علم من
المعتذر إثم الكذب ورغبته وخضوع الاعتذار وذلته أن لا يعاقبه على الذنب السالف

(١) إن الأخيرة نافية ، والمعنى : وما لم أكن في الواقع مجرماً ، على حد قوله تعالى

(٣٥ : ٤١ إن أمكهما من أحد من بعده) وقوله (٧٢ : ٢٥ إن أدري أقرب

مانوعدون) .

بل يشكر له الإحسان المحدث ، الذي جاء به في اعتذاره ، وليس يعيب المعتذر
إن دَلَّ وخضع في اعتذاره إلى أخيه .

وأنشدني الأبرش :

هَبْنِي أَسَاتُ ، كما زعمت ، فأين عاطفة الأخوة ؟

أو إن أسأت ، كما أسأت ، فأين فضلك والبروة ؟

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

هَبْنِي مَسِيئًا كَالَّذِي قَلْتَ ظَالِمًا فَعَفُوًّا جَمِيلًا كَيْ يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ

فَإِنْ لَمْ أَكُنْ لِلْمَعْزُومِنِكَ - لَسُوهُ مَا أَتَيْتُ بِهِ - أَهْلًا ، فَأَنْتَ لَهُ أَهْلٌ

وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

هَبْنِي أَسَاتُ ، وَكَانَ جُرْمِي مِثْلَ جُرْمِ أَبِي لَهَبٍ

فَأَنَا أَرُوبُ كَمَا أَسَأْتُ ، وَكَمْ أَسَاتُ قَلَمٌ تَلَبُّ ؟

وأنشدني محمد بن أبي علي ، أنشدنا الربيع عن الأصمعي :

أَتَيْتُكَ تَائِبًا مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَيْرَ النَّاسِ مَنْ أَخْطَأَ فِتَابًا ^(١)

أَلَيْسَ اللَّهُ يُسْتَعْفَى فَيَعْفُو وَقَدْ مَلَكَ الْعُقُوبَةَ وَالتَّوَابَا

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

عَصَيْتُ وَتَبْتُ ، كَمَا قَدْ عَصَى وَتَابَ إِلَى رَبِّهِ آدَمُ

فَقُلْ قَوْلَ يُوسُفَ لَا تَتْرِبًا لَكُمْ يَغْفِرُ الْغَافِرُ الرَّاحِمُ

أنبأنا محمد بن المهاجر العدل ، حدثنا محمد بن عبد الله الجزري عن حميد بن

سنان الخالدي - وكان نديمًا لأبي دُكْفٍ - قال : دخلت على أبي دلف يوما ،

وبين يديه كتاب وهو يضحك ، فقال : هذا كتاب عبد الله بن طاهر ، وفيه

آيات أحبُّ أن أنشدك إياها ، وذلك أني كنت استبطأته في بعض المؤامرات ،

فكُتِبَتْ إِلَيْهِ :

(١) أَخْطَأَ : أَصْلُهُ أَخْطَأَ ، فَفَلَبَّ الْهَمْزَةَ أَلْفًا لِانْفِتَاحِ مَا قَبْلَهَا .

أرى وُدَّكم كالورد ليس بدائم ولا خير فيمن لا يدوم له عهدُ
ودى بكم كالآس حسناً وبهجة له نَضرة تبقى إذا فنى الورد
فكتب إلى بهذه الأبيات :

شَبَّهت ودى الورد ، فهو مثلكي وهل زَهَرُ إلا وسيدها الوردُ ؟
وشبَّهت منك الود بالآس في البقا ولم تخلف التشبيه فيك ولم تَمُدُّ
فودُّك كالآس المرير مذاقهُ وليس له في الريح قبلُ ولا بعدُ

أخبرنا عبد الكبير بن عمر الخطابي بالبصرة ، حدثنا أبو حاتم السجستاني عن
الأصعي قال : حدثنا عيسى بن عمر قال : كان لأبي الأسود الدؤلي صديق ،
فراى منه بعض ما يكره ، فقال أبو الأسود :

رأيت امرأً لم أكن أبه^(١) أناني ، فقال : اتخذني خليلاً
فخالته ، ثم صافيته فلم ينقص الود منه فتيلاً
فراجعتهُ ، ثم عاتبته عتاباً رفيقاً ، وقولا جميلاً
فألقيته غير مُستعجبٍ ولا ذا كبرٍ الله إلا قليلاً
أنت حقيقاً بتوديعه وأوسع ذلك هجراً ضويلاً

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الاعتذار يذهب المهوم ، ويجلي الأحران ،
ويدفع الحقد ، ويذهب الصد ، والإقلال منه تستغرق فيه الجنديات العظيمة
والذنوب السكثيرة ، والإكثار منه يؤدي إلى الاتهام وسوء الرأي ، فلو لم يكن
في اعتذار المرء إلى أخيه خصلة تُحمد إلا تفي التعجب عن النفس في الحال لكان
الواجب على العاقل أن لا يفارقه الاعتذار عند كل زلة .

(١) هكذا في الأصل ، والمحفوظ « رأيت امرأ كنت لم أبه » إلخ ، مع بعض
اختلاف في الباقي .

ولقد أنشدني الكريزي :

فانظر إلى بظرف غير ذي مرض فطال ماصح لي من طرفك النظر
أدرك بفضلك عظماً كنت تحبّه واجمع برقتك ماقد كاد ينتشر^(١)
أبناؤنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا مهدي بن سابق ،
حدثنا عطاء بن مصعب قال : قدم عبد الرحمن بن عتبسة بن سعيد ، على معن بن
زائدة باليمن ، وكانت بينهما عداوة ، فلما رآه قال له : يا عبد الرحمن ، بأي وجه
أتيتني ؟ ولأي خير أملتني ؟ قال : أصلح الله الأمير ! اسمع مني حتى أنشدك
بيتين قالهما نصيب في عبد العزيز بن مروان ، قال : وما هما ؟ فأنشده :

لو كان فوق الأرض حيٌّ فعالهُ كقطعك ، أو للفعل منك مقارب
نقلت له هذا ، ولكن تعذرتُ سواك على المستعنين المذاهبُ
فقال : أقم ، فإني لا أواخذك فيما مضى ، ولا أعنفك فيما بقي .

أبناؤنا الخلابي حدثنا محمد بن موسى السمرى عن حماد بن إسحاق ، قال ابن
السيماك لمحمد بن سليمان ، أو حماد بن موسى لكاتبه ، ورآه كالمعرض عنه : مالي
أراك كالمعرض عني ؟ قال : بلغتني عنك شيء كرهته ، قال : إذا لا أبالي ، قال : ولم ؟
قال : لأنه إن كان ذنباً غفرتّه ، وإن كان باطلا لم تقبله ، قال : فعاد إلى المؤانسة .
قال أبو حاتم رضي الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات في كتاب
« سראعة العشرة » ، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

ذكر الحث على لزوم كتمان السر

أبناؤنا محمد بن سليمان بن فارس الدلال ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد
العبدى ، حدثنا الهيثم بن أيوب العطار السلمي ، حدثنا سهل بن عبد الرحمن عن
محمد بن مطرف أبي غسان عن محمد بن المنكدر عن عروة عن أبي هريرة قال :

(١) ينتشر : يتفرق ويذهب ههنا وههنا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استعينوا على الخوائج بكتان السر ؛ فإن لكل نعمة حاسداً »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا إسناد حسن ، وطريق غريب ، إن كان عمرو هذا هو ابن الزبير بن العوام ، وسعيد بن سلام ما أرى حفظ حديثه ؛ فلذلك تنكبت ^(١) عن ذكره .

فالواجب على من سلك سبيل ذوى الحجب لزوم ما انطوى عليه الضمير بتركه إبداء المكنون فيه ، لا إلى ثقة ولا إلى غيره ؛ فإن الدهر لا بد من أن يضرب ضرباته ، فيوقع ضدَّ الوصل بينهما بحالة من الأحوال فيخرجها وجود ضد ما انطوى عليه قديماً من وفائه إلى صحة الخروج بالنكية إلى جنائه ، بإبداء مكتوماته ، والكشف عن مخبئاته .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثني محمد بن عبد الكريم العبدى ، حدثنا بكر بن يونس بن بكير ، حدثني موسى بن علي عن أبيه عن عمرو بن العاص أنه قال : عجبت من الرجل يفرُّ من القدر ، وهو موافقه ، ومن الرجل يرى القذاة في عين أخيه ، ويدع الجذع في عينه ، ومن الرجل يخرج الضغن من موضع ويدع الضغن في نفسه ، وما ندمت على أمر قط فأُمتُّ نفسي على تندي على ، وما وضعت سرى عند أحد فأمته على أن يفشيه ، كيف ألومه وقد ضقت به ؟ وأنشدني علي بن محمد البسامي :

تبيح بسرِّك ضيقاً به وتبغى لسرك من يكتم
وكتامك السرَّ ممن تخاف ومن لا تخافه أخزم
إذا ذاع سرُّك من مخبر فأنت ، وإن لمسه ، ألوم

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان :

إذا ضاق صدر المرء عن بعض سره فالتقاء في صدري ، فصدري أصيق

ومن لامني في أن أضيع سره وضيمه قبلي ، فذو السر أخرق^(١)
أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أحمد بن محمد الصيداوي ، حدثنا حماد
ابن إسحاق عن المدائني قال : كان يقال : أصبر الناس الذي لا يفشي سره إلى صديقه
مخافة أن يقع بينهما شيء فيفشي ، وأنشدني البغدادي :

صُنَّ السر بالكتان يرضيك غيِّه فقد يظهر المرء المضيع فيندم
فلا تلجئن سرّاً إلى غير حرزه فيظهر حرز السوء ما كنت تكتم
وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

إذا المرء لم يحفظ سريرة نفسه وكان لسراً الأخ غير كتوم^(٢)
فبعداً له من ذي أخ ومودة وليس على وُدِّ له بمقيم
قال أبو حاتم رضي الله عنه : من حصَّن بالكتان سره تمَّ له تديره ، وكان
له الظفر بما يريد والسلامة من العيب والضرر ، وإن أخطأه التمكن والظفر ،
والحازم يجعل سره في وعاء ، ويكتمه عن كل مستودع ؛ فإن اضطره الأمر
وغلبيه أودعه العاقل الناصح له ؛ لأن السر أمانة ، وإفشاؤه خيانة ، والقلب له
وعاؤه ، فمن الأوعية ما يضيق بما يودع ، ومنها ما يتسع لما استودع .

وأنشدني الكريزي :

اجعل لسرك من فؤادك منزلاً لا يستطيع له اللسان دخولا
إن اللسان إذا استطاع إلى الذي كتم الفؤاد من الشئون وصولاً
ألقيت سرّك في الصديق وغيره من ذي العداوة فاشياً مبدولاً
وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

سأ كتمه سرى ، وأكتم سره ولا غرّني أني عليه كريم
حليم فيفشي ، أو جهول يذيعه وما الناس إلا جاهل وحليم
أخبرني محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا إبراهيم بن الجنيد ، حدثني علي بن عيسى

(١) أخرق : أحرق . (٢) الأخ ، ههنا بتشديد الخاء ، وهي لغة .

عن محمد بن زياد عن ابن الأعرابي قال : كان يقال : العاقل من حذرَ صديقه ،
وأشدنى بعض إخواننا :

أمرك كتمان الفتى سراً مانوى أعفُ وأدنى للرشاد وأكرمُ
وأجلُ في بث الحديث مقالة وأحسن في الأخلاق دوماً وأحزم
وأشدنى الكريزي :

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها فأنت إذا حملته الناس أضيعُ
ويضحك في وجهي إذا ما لقيته ويتبشني بالغيب يوماً ويلسع
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الإفراط في الاسترسال بالأسرار عجزه ، وما كتبه
المرء من عدوه فلا يجب أن يظهره لصديقه ، وكفى لذوى الألباب عبراً ما جربوا ،
ومن استودع حديثاً فليستر ، ولا يكن مهتاكاً ، ولا مشياًعاً ، لأن السر إنعاسي
سراً لأنه لا يفشى .

فيجب على العاقل أن يكون صدره أوسع لسره من صدر غيره بأن لا يفشيه .
ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن يعقوب الأعم
قال : أنشدنى محمد بن سليمان بن سلام الجهمي لرجل من عبد شمس :

إذا ما ضاقَ صدرك عن حديث فأفشاء الرجالُ ، فمن تلومُ ؟
إذا عاتبتُ من أفشى حديثي وسررى عنده فأنا الظالم
وإني يوم أسأم حمل سرى وقد ضمنتَه صدرى سؤوم
فلت مُحدثاً سرى خليلي ولا نفسى إذا حضرت هموم
وأطوى السرَّ دون الناس ؛ إني لما استودعت من سر كَتومُ

وأشدنى على بن حيدة الكاتب ، قال : أنشدنا عبد الرحمن بن بندار
لشيطان الطاق :

أمتِ السر بكلمات ولا يُسمعن منك إذا استودعت سر

فإذا ضقت به ذرعا ، فلا تضعن^١ سرك إلا عند حر
أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا الرمادي ، حدثنا مسدد قال : سمعت ابن
داود يقول : سمعت الأعمش يقول : يضيق صدر أحدكم بسره ، حتى يحدث به ،
ثم يقول : اكتبه علي .

وأنشدني إبراهيم بن علي الظفري^(١) أنشدني الحسين بن عبيد الله :
لايكنم السر إلا من له شرف والمر عند كرام الناس مكتوم
السر عندى في بيت له غلق ضلت مفاتيحه والباب مختوم
أنبأنا الخلالدي ، حدثنا أحمد بن عبد الله بن شجاع البياضي ، قال : أنشدنا
عبد الرحمن بن محمد :

وإني لأنسى السر كما أصونه قيامن رأى شيئا يُصان بأن ينسى
مخافة أن يجرى بيالي ذكره فيخلسه قلبي إلى منطقي خلنا
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الظفر بالحزم ، والحزم باجالة الرأي ، والرأي
بتحصين الأسرار ، ومن كتم سره كانت الخيرة في يده ، ومن أنبا الناس بأسراره
هان عليهم وأذاعوها ، ومن لم يكنم السر استحق الندم ، ومن استحق الندم صار
ناقص العقل ، ومن دام على هذا رجع إلى الجهل .

فتحصين السر للعامل أولى به من التلطف بالندم بعد خروجه منه .
ولقد أحسن الذي يقول :

خشيتُ لساني أن يكون خثونا فأودعته قلبي ، فكان أمينا
فقلت ، ليخفي دون شخصي وناظري : أيا حرَكاتي كنَّ في سكوننا
أنبأنا إبراهيم بن إسحاق الأماطي ، حدثنا محمد بن سليمان اللصبصي ، حدثنا
ابن عيينة عن ابن شبرمة عن الحسن في قوله تعالى (٣ : ١٥٩) وشاورهم في الأمر

(١) وجد في هامش الأصل « نسخة الطرقي » .

قال : ما كان يحتاج إليهم ، ولكن أحب أن يَسْتَشِرَّ به مَنْ بَدَّه .
قال أبو حاتم رضى الله عنه : المستشار مؤتمن ، وليس بضامن ، والمستشير
متحصن من السقط ، متخير للرأى .

والواجب على العاقل السالك سبيل ذوى الحجى : أن يعلم أن المشاورة تفشى
الأسرار ، فلا يستشير إلا السليب الناصح الودود القاضل فى دينه ، وإرشاد الشَّيْرِ
المستشير قضاء حق النعمة فى الرأى ، والمشورة لا تخلو من البركة إذا كانت مع
مثل من وصفنا نفعه .

ولقد أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا ابن عائشة ، قال : قال الحسن
ما حارب^(١) قوماً قط أمر فاجتمعوا فمشاوروا فيه إلا أرشدهم الله لأصوبه .
وأشدنى الكرىزى :

دَبَّرَ إِذَا مَارَمْتَ أَمْراً بِفِكْرَةٍ تعلم مائتى وما تتجنب
وشاور نقي الرأى عند التباسه لكى يَضِحَ الأمر الذى هو أصوب^(٢)
وأشدنى المنتصر بن بلال :

لا تسبقنَّ الناس بالرأى واتند فإنك إن تعجل إلى القول تزلزل
ولكن تصفح رأى من كان حاضراً وقل بعدهم رسلاً ، وبالحق فاعمل

أنبأنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنى يحيى بن يزيد بن محمد الأبلى ، حدثنى
إسماعيل بن حبيب أبو حميد الأبلى عن عبد الله بن الديلمى عن وهب بن منبه
أنه قال : فى التوراة أربعة أحرف مكتوبة : من لم يشاور يندم ، ومن استغنى
استأثر ، والفقر الموت الأحر ، وكما تدبىر تدان .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا أنس أنس من استشارة عاقل ودود ، ولا
وحشة أوعس من مخالفته ؛ لأن المشاورة والمناظرة بابا بركة ومفتاحا رحمة ،

(١) حزبه : اشتد عليهم وشق .

(٢) يضح : مضارع وضع ، إذا اشتد ظهوره .

ومن استشير فليشر بالنصيحة ، وليجتهد بالرأى ، وليلزم الحق ، وقصد السبيل
وليحمل المستشار كنفه بترك الخيانة ، وبذل النصيحة ، وليكن كما أشدنى على
ابن محمد البسامي :

ومن الرجال إذا زكت أحلامهم من يستشار إذا استشير فيطرق
حتى يحول بكل واد قلبه فيرى ويعرف مايقول وينطق
إن الخليم إذا تفكر لم يكذب يخفى عليه من الأمور الأوفق

أبنانا أبو يعلى ، حدثنا عثمان بن الربيع ، حدثنا يزيد بن ثابت عن إلياس
ابن دغفل عن الحسن ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ماشاور قوم قط
إلا هُدوا إلى رشدهم » .

أخبرني محمد بن المنذر ، حدثنا أحمد بن خالد السيرافي ، حدثنا شيبان ، حدثنا
أبو الأشهب قال : قال الحسن : لا يندم من شاور مرشدا .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل إذا استشير قوم هو فيهم
أن يكون آخر من يشير ؛ لأنه أمكن من التفكير ، وأبعد من الزلل ، وأقرب من
الحزم ، وأسلم من السقط ، ومن استشار فلينفذ الحزم بأن لا يستشير عاجزاً ، كما أن
الحازم لا يستعين كسبلاً ، وفي الاستشارة عين الهداية ، ومن استشار لم يعدم رشداً ،
ومن ترك المشاورة لم يعدم غيئاً ، ولا يندم من شاور مرشداً ، ولقد أشدنى الواسطي :

الهمم ما لم تمضه لسبيله سقم القلوب وآفة الأبدان
ومعول الرجل الموفق رأيه عند اعتراض طوارق الأحزان
وإذا الحوادث سدت أسبابه كان التبصر أمجد الأعوان
وإذا أضل سبيله تديره طلب الهدى بتشاور الإخوان

أبنانا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا مطروح بن شاكر ، حدثنا أصيبغ عن ابن
وهب عن إبراهيم بن نشيط عن ابن أبي حسين قال : كان يقال : ماهلك امرؤ
عن مشورة ، ولا سعد بتوحد .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من شيم العاقل عند النوبة تنوُّبه : أن يشاور عاقلاً ناصحاً إذا رأى ثم يطيعه ، وليعترف للحق عند المشورة ، ولا يتأدى في الباطل ، بل يقبل الحق ممن جاء به ، ولا يحقر رأى الجليل إذا أتاه به الرجل الحقير ؛ لأن اللؤلؤة الخطيرة لا يشينها قلة خطر غائصها الذي استخرجها ، ثم يستخر الله ، ويمض فيها أشد عليه ؛ ولقد أنشدنى البغدادي :

أطع الخليم إذا الخليم عصب كما إن الخميم إذا عصاك هدا كما
وإذا استشارك من توذ ، فقل له : أطع الخليم إذا الخليم نها كما
ولئن آبيتَ لتأبينٍ خلافه أرباً يحوطك ، أو يكون هلا كما
واعلم بأنك لن تسود ، ولن ترى سبل الرشاد إذا أطعت هوا كما

أبناؤنا أبو محمد عبد الرحمن بن عبد المؤمن بجران ، حدثنا محمد بن حميد البراز حدثنا جرير عن ابن المقفع عن وزير كسرى قال : ثلاثة ليس لهم رأى ، فلا تستشروهم : صاحب الخف الضيق ، وحاقن البول ، وصاحب المرأة السوء السليطة (١) .

ذكر الحث على لزوم النصيحة للمسلمين كافة

أبناؤنا الحسين بن محمد بن أبي معشر - بجران - حدثنا عبد الرحمن بن عمرو البجلي ، حدثنا زهير بن معاوية عن سهيل بن أبي صالح عن عطاء بن يزيد الليثي عن تميم الداري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدين النصيحة ، قيل : لمن يارسول الله ؟ قال : لله ، ورسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم النصيحة للمسلمين كافة ، وترك الخيانة لهم بالإضمار والقول والفعل معاً ؛ إذ المصطفى صلى الله عليه وسلم كان يشترط على من بايعه من أصحابه « النصح لكل مسلم » مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .

(١) السليطة : أى البذيئة اللسان التي تكلم من قول السوء .

وأخبرني محمد بن أبي علي الغلابي ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن أبي السائب قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه « لاتعمل بالخدیعة فانها خلق اللثام ، واحضن أخاك النصیحة حسنة كانت أو قبیحة ، وزل معه حيث زال . »
وأنشدني الكريزي :

قل للنصیح الذي أهدي نصیحته سرًا إلینا ، وسامته التكاليفُ
النصح ليس له حدٌ فتعرفه والنصح مستوحش منه ومألوف
حتى إذ صرحت عَنَّا عواقبه كانت لنا عِظَةٌ منه وتعیف
لو كان للنصح حدٌ يستبان به ما نالنا حسرة منه وتلهیف
لكن له سبيلٌ شتى مخالفة بعضٌ لبعض ، فجهول ومعروف
والناس غاور ، وذورشد ، ومختلط والنصح ممضى ، ومردود ، وموقوف

قال أبو حاتم رضي الله عنه : خير الإخوان أشدهم مبالغة في النصيحة ، كما أن خير الأعمال أحدها عاقبة ، وأحسنها إخلاصا ، وضرب الناصح خير من تحية الثاني .

ويجب أن يكون للعاقل نصيحة مبدولة للعامة مكتوما من العام والخاص ما قدر عليه ، وليس الناصح بأولى بالنصيحة من المنصوح له .

وأبانا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن القاسم التيمي ، حدثني أبي قال « لما قدم على الكوفة لقيه للغيرة بن شعبة ، فقال له : إني أشير عليك برأى فأقبله ، قال : هات ، قال : أقر معاوية على الشام ، يسبح لك طاعته ، فإن أهل الشام قد ذاقوه فاستعذبوه ، ووليهم عشرين سنة لم يعتبوا عليه ، ولم يعتبوه في عرض ولا مال ، فقال : والله لو سألتني قرية ما وابتته إياها ، قال : فقال للغيرة : أراه سبلى أرضين وقرىبات »

أبانا محمد بن المهاجر ، حدثنا ابن أبي شيبة ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ،

حدثنا ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال « المؤمن شعبة من المؤمن ، وهو مرآة أخيه ، إن رأى منه ما لا يعجبه سدّده وقومته ونصحه في السر والعلانية » وأنشدني علي بن محمد البسامي :

أمنتُ على السر امرءاً غير حازم ولكنه في النصح غير مريب
فذاع به في الناس ، حتى كأنما بطلاه ناراً أوقدت بثقوب
فما كل ذي لب بمؤتيك نصحه وما كل مؤتٍ نصحه بليب
ولكن إذا ما استجمعا عند واحد فحقُّ له من طاعة بنصيب

سمعت محمد بن نصر بن نوفل الروزي ، يقول : سمعت أبا داود السنجي يقول : سمعت ابن الأعرابي يقول : قال بعض الحكماء ، « اثنان ظالمان : رجل أهديت له النصيحة فاتخذها ذنباً ، ورجل وسّع له في مكان ضيق فجلس متربعا » قال أبو حاتم رضى الله عنه : النصيحة محاطة بالتهمة ، وليست النصيحة إلا لمن قبلها ، كما أن الدنيا ليست إلا لمن تركها ، ولا الآخرة إلا لمن طلبها ، وليس على كل ذي نصح إلا الجهد ، ولو لم يقبل من نصحائه ما ينقل عليه لم يحمّد غيباً رأيه ، ومشاورة الأصمّ أحدٌ من الناصح المعرض عنه ، ومن بذل نصيحة لمن لا يشكر كان كالباذر في السباح ، وأكثر ما يوجد ترك قبول النصيحة من المعجب برأيه ، وأنشدني الأبرش :

إذا نصحت لذي عجب لترشده فلم يطلعك ، فلا تنصح له أبدا
فإن ذا العجب لا يعطيك طاعته ولا يُجيب إلى إرشاده أحدا
وما عليك ، وإن غاور غوى حِقَباً إن لم يكن لك عُربى ، أو يكن ولدا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : النصيحة تجب على الناس كافة على ما ذكرنا قبل ؛ ولكن إبدائها لا يجب إلا سرا ؛ لأن من وعظ أخاه علانية فقد شانه ، ومن وعظه سرا فقد زانه ، فابلاغ الجهود للمسلم فيها يزين أخاه أخرى من القصد فيها يشبهه .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العمري حدثنا الرمادي حدثنا علي بن المديني حدثنا
سفيان قال : قلت لسمر « نحب أن يخبرك رجل بعيوبك ؟ قال : أما أن يجيء
إنسان فيؤبختني بها فلا ، وأما أن يجيء - ناصح فعم » .

أخبرنا محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا محمد بن المغيرة النوفلي حدثنا محمد بن
علي الشقيق حدثنا أبي عن ابن المبارك قال « كان الرجل إذا رأى من أخيه
ما يكره أمره في ستر ، ونهاه في ستر ، فيؤجر في ستره ، ويؤجر في نبيه ، فأما
اليوم فإذا رأى أحد من أحد ما يكره استغضب أخاه ، وهتك ستره »

أخبرنا محمد بن سعيد التمار حدثنا محمد بن منصور حدثني علي بن المديني عن
سفيان قال : جاء طلحة إلى عبد الجبار بن وائل - وعنده قوم - فسأره بشيء ،
ثم انصرف ، فقال : أتدرون ما قال لي ؟ قال : رأيتك التفت أمس وأنت تصلي «
قال أبو حاتم رضي الله عنه : النصيحة إذا كانت على نعت ما وصفنا تقيم
الألفة ، وتؤدي حق الأخوة .

وعلاوة الناصح إذا أراد زينة المنصوح له أن ينصحه سراً ، وعلاوة من
أراد شينه أن ينصحه علانية ، فليحذر العاقل نصحه الأعداء في السر والعلانية .

ولقد أنشدني ابن زنجي البغدادي :

فكم من عدو معلن لك نصحه علانية ، والفش تحت الأضالع
وكم من صديق مرشد قد عصيته فكنت له في الرشد غير مطاوع
وما الأمر إلا بالحوافب ؛ إياها سيدو عليها كل سر وذائع

وأنشدني منصور بن محمد الكرزي :

وصاحب غير مأمون غوائله يبدى لي النصيح منه وهو مشتمل
على خلاف الذي يبدي ويظهره وقد أحطت بعلمه أنه دغل
غفوت عنه انتظرا أن يشوب له عقل إليه من الزلات ينقل

دهرا فلما بدا لي أن شيمته غش وليس له عن ذلك منتقل
تركته ترك قال لا رجوع له إلى مودته ما حنت الإبل^(١)
أخبرنا عبد الله بن محمد القيراطي حدثنا محمد بن يزيد الملقب بتمش حدثنا
يعلى بن عبيد حدثنا أبو حيان عن أبيه قال : كذب الربيع بن خيثم وصية :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به الربيع بن خيثم ، وأشهد عليه ،
وكفى بالله شهيداً وجازياً لعباده الصالحين مثيباً ، إني رضيت بالله رباً ، وبالإسلام
ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، وأن يعبد الله^(٢) من أطاعني في العابدين
وبحمده في الخامدين ، وينصح لجماعة المسلمين »

وصية الخطاب بن المعلی الخزومي ابنه

أخبرني محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلي
حدثني عبد الرحمن بن أبي عطية الحمصي عن الخطاب بن المعلی الخزومي القرشي
أنه وعظ ابنه فقال « يا بني ، عليك بتقوى الله وطاعته ، وتجنب محارمه بانباع
سنته ومعاله ، حتى تصح عيوبك ، وتقر عينك ، فإنها لا تخفى على الله خافية ،
وإني قد سمعت لك وصياً ، ووضعت لك رسماً ، إن أنت حفظته ووعيته وعمات
به ملأت أعين الملوك ، وانقاد لك به الصلوك ، ولم تزل مرتجى مشرفاً محتاج
إليك ، ورُغب إلى ما في يديك ، فأطع أباك ، وانصر على وصية أبيك ، وفرغ
لذلك ذهنك ، واشغل به قلبك ولُبِّك ، وإياك وهذّر الكلام ، وكثرة الضحك
والمزاح ، ومهازلة الإخوان ، فإن ذلك يذهب البهاء ، ويوقع الشحناء ، وعليك
بالرزانة والتوقر ، من غير كبر يوصف منك ، ولا خيلاء تحكي عنك ، والقر
صديقك وعدوك بوجه الرضى ، وكف الأذى ، من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم ،

(١) الإبل لا تترك الخدين ، فهذه كناية عن دوام تركه إياه .

(٢) في الأصل « وأن يعبد الله ومن أطاعني » والواو مقحمة .

وكن في جميع أمورك في أوسطها ؛ فإن خير الأمور أوسطها ، وقلل الكلام ،
وأفش السلام ، وامش متمكنا قَدُدا ، ولا تخطُ برجلك ، ولا تسحب ذيلك ،
ولا تلو عُقُك ، ولا رداءك ، ولا تنظر في عَطِلك ، ولا تكثر الالتفات ، ولا
تقف على الجماعات ، ولا تتخذ السوق مجلساً ، ولا الخوانيت متحدثاً ، ولا تكثر
المراء ، ولا تنازع السفهاء ، فإن تكلمت فاختصر ، وإن مزحت فاقصر ، وإذا
جلست فتربع ، وتحفظ من تشبيك أصابعك وتفقيعها ، والعَيْث بلحيتك وخاتمك ،
وذؤابة سيفك ، وتحليل أسنانك ، وإدخال يدك في أنفك ، وكثرة طرد الذباب
عنك ، وكثرة الثأوب والتمطى ، وأشبه ذلك مما يستخفه الناس منك ، ويفتمزون
به فيك .

وليكن مجلسك هادياً ، وحديثك مقسوماً ، وأصح إلى الكلام الحسن ممن
حدثك ، بغير إظهار عجب منك ، ولا مسألة إعادة ، وغُصَّ عن الفكاهات ،
من المضحك والحكايات ، ولا تحدث عن إعجابك بولئك ، ولا جاريتك ،
ولا عن فرسك ، ولا عن سيفك ، وإياك وأحاديث الرؤيا ، فإنك إن أظهرت
عجباً بشئ منها طمع فيها السفهاء ، فولدوا لك الأحلام ، واعتمزوا في عطفك ،
ولا تصنعُ نصنعُ المرأة ، ولا تبدلُ تبدلُ الصبد ، ولا تهبُ^(١) لحيتك ولا
تُبطنها ، وتوق كثرة الحف ، وتنف الشيب ، وكثرة الكحل ، والإسراف في
الدهن ، وليكن كحك غيباً ، ولا تلح في الحاجات ، ولا تخشع في الطلبات ، ولا
تُعلم أهلك وولدك - فضلا عن غيرهم - عدد مالك ، فإنهم إن رأوه قليلاً هنت
عليهم ، وإن كان كثيراً لم تبلغ به رضاهم ، وأخفهم في غير عنف ، وإن لم في
غير ضعف ، ولا تهازل أمتك ، وإذا خاصمت فتوقر ، وتحفظ من جهلك ، وتجنب

(١) هلب الشعر: تنف ما غلظ منه ، وتبطين اللحية : أن لا يؤخذ مما تحت الدفن

عن عجلتك ، وتفكر في حُجَّتِكَ ، وأر الحاكم شيئاً من حلك ، ولا تكسر
الإشارة بيدك ، ولا تحفز على ركبتك ، وتوق حرة الوجه ، وعرق الجبين
وإن سفه عليك فأحلم ، وإنا هذا غضبك فتكلم ، وأكره عرضك، وألق الفضول
عذك ، وإن قربك سلطان فكن منه على حد الستين ، وإن استرسل إليك
فلا تأمن من انقلابه عليك ، وارفق به رفقك بالصبي ، وكله بما يشتهي ، ولا
يحملك ما ترى من إطفائه إليك ، وخاصته بك : أن تدخل بينه وبين أحد من
ولده وأهله وحشمه ، وإن كان لذلك منك مستعماً ، والقول منك مطيعاً ، فإن
سقطه الداخل بين الملك وأهله صرعة لا تنهض ، وزلة لا تقال ، وإذا وعدت
محقق ، وإذا حدثت فاصدق ، ولا نجهر بمنطقك كمنزاع الأسم ، ولا تخافت به
كتخافت الأخرس ، وتخبر محاسن القول بالحديث المقبول ، وإذا حدثت بسماع
فانسه إلى أهله ، وإياك والأحاديث العابرة المشتمة التي تنكروها القلوب ، وتقف
لها الجلود^(١) ، وإياك ومضعف الكلام مثل : نعم ، نعم ، ولا ، لا ، ومجمل ، مجمل ،
وما أشبه ذلك ، وإذا توضحت فأجد شريكك كقبيك : وليكن وضعك لحرص^(٢)
من الأشنان في نيك كفعلك بالسواك ، ولا تنزع في الطست ، وليكن طرحك
لما من فيك مترسلاً ، ولا كتمج فتتضح على أقرب جلسائك ، ولا تعض نصف
اللغة ، ثم تعيد ما بقي منها منصيفاً ، فإن ذلك مكروه ، ولا تكسر الاستقاء
على مائدة الملك ، ولا تعبت بالمشاش^(٣) ، ولا تعب شيئاً مما يقرب إليك على
مائدة بقلة خل أو تابل أو غسل ، فإن السعاية قد صيرت لنفسها مهابة ، ولا تمسك
إمساك الثبور ، ولا تبدر تبذير السفيه المنرور ، واعرف في مالك واجب المحروق ،
وحرمة الصديق ، واستغن عن الناس محتاجوا إليك ، واعلم أن الجشع يدعو إلى

(١) تقف لها الجلود : تقشعر .

(٢) الحرص - بزنة تقبل أو عتق - الأشنان تغسل به الأيدي إثر الطعام .

(٣) المشاش - بزنة غراب - العظم الذي لامخ فيه .

الطبع ، والرغبة كاقيل تدق الرقبة ، وربّ أكلة تمنع أكالات ، والتعنف مال جسيم ، وخلق كريم ، ومعرفة الرجل قدره ، تشرف ذكره ، ومن تعدى القدر ، هوى في بعيد القمر ، والصدق زين ، والسكذب شين ، ولصدق يسرع عطب صاحبه أحسن عاقبة من كذب يسلم عليه فائله ، ومعاداة الخليم خير من مصادقة الأحمق ، ولزوم الكريم على المهوان خير من صحبة اللئيم على الإحسان ، ولقرب ملك جواد ، خير من مجاورة بحر طراد ، وزوجة السوء الداء العُضال ، ونكاح العجوز يذهب بماء الوجه ، وطاعة النساء تزرى بالعقلاء .

تشبه بأهل العقل تكن منهم ، وتصنع للشرف تدركه .

واعلم أن كل امرئ حيث وضع نفسه ، وإنما ينسب الصانع إلى صناعته ، والمرء يعرف بقربنه ، وإيالك وإخوان السوء فإنهم يخونون من رافقهم ، ويحزنون من صادقهم ، وقربهم أعدى من الجرب ، ورفضهم من استكمال الأدب ، واستخفاف المستجير لؤم ، والعجلة شوم ، وسوء التدبير وهن .

والإخوان اثنان : فحافظ عليك عند البلاء ، وصديق لك في الرخاء ، فاحفظ صديق البلاء وتجنب صديق العافية ، فإنهم أعدى الأعداء .

ومن اتبع الهوى ، مال به الردى ، ولا يمجبنك الجهم من الرجال ، ولا تحقر ضئيلاً كالخلال^(١) فإنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، ولا ينتفع به بأكثر من أصغريه .

وتوق الفساد ، وإن كنت في بلاد الأعادي ، ولا تفرش عرضك لمن دونك ، ولا تجعل مالك أكرم عليك من عرضك ، ولا تكثر الكلام فتثقل على الأقوام ، وامنع البشر جليستك ، والقبول ممن لا فاك .

وإيالك وكثرة التبريق والتزيق ، فإن ظاهر ذلك ينسب إلى التأنيث ، وإيالك

(١) الخلال - بكسر الحاء ، بزة الكتاب - العود الذي تجلل به الأسنان ،

يريد الرجل النحيف البالغ النحافة .

والتصنع تغازلة النساء ، وكن متقرباً ، متمززاً ، مشتهراً في فرصتك ، رقيقاً في حاجتك ، مثبتاً في حملتك ، والبس لكل دهر ثيابه ، ومع كل قوم شكلهم .
واحذر ما يلزمك اللأمة في آخرتك ، ولا تعجل في أمر حتى تنظر في عاقبته ، ولا ترد حتى ترى وجه المصدر .

وعليك بالتؤدة في كل شهر مرة ، وإياك وحلاق الإبط بالتؤدة ، وليكن السواك من طبيعتك ، وإذا استكت قمرضاً ، وعليك بالعمارة ، فلهيها أنفع التجارة ، وعلاج الزرع خير من اقتناء الفرح ، ومنازعتك اللثيم تطعمه فيك ، ومن أكرم عرضه أكرمه الناس ، وذم الجاهل إياك أفضل من ثنائه عليك ، ومعرفة الحق من أخلاق الصديق ، والرفيق الصالح ابن عم ، ومن أيسر أكبر ، ومن افتقر احتقر ، قصر في المقالة ، مخافة الإجابة ، والساعي إليك غالب عليك ، وطول السفر ملالة ، وكثرة المني ضلالة ، وليس للعائب صديق ، ولا على أئيت شفيق ، وأدب شيخ عناء ، وتأديب الغلام شقاء ، والقاحش أمير ، والوقاح^(١) وزير ، والحليم مطية الأحق ، والحق داء لاشفاء له ، والحلم خير وزير ، والدين أزين الأمور ، والسماجة سفاهة ، والسكران شيطان ، وكلامه هذيان ، والشعر من السحر ، والتهدد هجر ، والشح شقاء ، والشجاعة بقاء ، والهدية من الأخلاق السرية ، وهي تورث الهبة ، ومن ابتدأ المعروف صار ديناً ، ومن المعروف ابتداء من غير مسألة ، وصاحب الرياء يرجع إلى السخاء ، ولرياء بخير خير من معاندة بشر ، والعرق نزاع ، والعادة طبيعة لازمة : إن خيراً بخير ، وإن شراً فشر ، ومن حل عقداً احتمل حقداً ، ومراجعة السلطان خرق بالإنسان ، والفرار عار ، والتقدم مخاطرة ، وأجمل منعمة إيسار في دعة ،

(١) الوقاح - بفتح الواو - الوصف من الوقاحة ، وهي الإفراط في سوء الأدب

وكثرة العلل ، من البخل ، وشر الرجال ، الكثير الاعتلال ، وحسن اللقاء ،
يذهب بالشحناء ، ولين الكلام ، من أخلاق الكرام .

يا بني ، إن زوجة الرجل سكنه ، ولا عيش له مع خلافها ، فإذا هممت
بشكاح امرأة فسل عن أهلها ، فإن العروق الطيبة تنبت الثمار الحوة .

واعلم أن النساء أشد اختلافاً من أصابع الكف ، فتوقّ منهن كل ذات
بدا ، مجبولة على الأذى ، فمنهن المعجبة بنفسها ، المزرية ببعليها ، إن أكرمها رأته
تعضلها عليه ، لا تشكر على جميل ، ولا ترضى منه بقليل ، لسانها عليه سيف
صقيل ، قد كشفت الفجحة ستر الحياء عن وجهها ، فلا تستحي من إعرارها ، ولا
تستحي من جارها ، كلبة هزازة ، مهادشة عقارة^(١) ، فوجه زوجها مكلوم ،
وعرضه مشنوم ، ولا ترعى عليه لدين ولا لدنيا ، ولا تحفظه لصحة ولا لكثرة
بنين ، حجابها مهتوك ، وستره منشور ، وخيره مدفون ، يصبح كثيباً ، ويمسى
عائياً ، شرابه مر ، وطعامه غيظ ، وولده ضياع ، وبيته مستهلك ، وثوبه وسخ ،
ورأسه شعث ، إن ضحك فواهن ، وإن تكلم فتكاره ، نهاره ليل ، وليله ويل ،
تلدغه مثل الحية العقارة ، وتلسبه مثل العقرب الجرارة .

ومنهن شفشليق شمشع سلفع^(٢) ، ذات سم منقع ، وإبراق واختلاق ،
تهب مع الرياح ، وتطير مع كل في جناح ، إن قال : لا ، قالت : نعم ، وإن
قال : نعم ، قالت : لا ، مولدة لمخازيه ، محترقة لما في يديه ، تضرب له الأمثال ،

(١) هر الكلب هريراً : نبح ، وعقارة : نقر صاحبها كما يقر الكلب .

(٢) الشفشليق ، العجوز المترخية ، والششمع : الطويلة ، والسلفع : الصخابة

البديئة السيئة الخلق ، والمم النقع : المرين .

وتقصر به دون الرجال ، وتنقله من حال إلى حال ، حتى قلا بيته ، ومَلَّ ولده ،
وغثَّ عيشه ، وهانت عليه نفسه ، وحتى أنكره إخوانه ، ورحمه جيرانه .

ومنهن الورهاء الحقاء^(١) : ذات اللال في غير موضعها ، الماضغة للسانها ،
الآخذة في غير شأنها ، قد قنعت بحبه ، ورضيت بكسبه ، تأكل كالحمار الرانع ،
تنشر الشمس ولما يُسمع لها صوت ، ولم يكنس لها بيت ، طعامها بائت ، وإنائها
وضير^(٢) ، وعجينها حامض ، وماؤها قاتر ، ومتاعها مزروع ، وماعونها ممنوع ،
وخادمها مضروب ، وجارها محروب .

ومنهن العطوف الودود ، المباركة الولود ، المأمونة على غيرها ، المحبوبة
في جيرانها ، المحمودة في سرها وإعلامها ، الكريمة التبعيل ، الكريمة التفضل ،
الخافضة صوتا ، النظيفة بيتا ، خادمها مسمن ، وابنها مزين ، وخيرها دائم ،
وزوجها ناعم ، موموقة مألوفة ، وبالغاف والخيرات موصوفة .

جعلك الله يا بنى بمن يقتدى بالهدى ، ويأتم بالتقى ، ويتجنب السخط ،
ويحب الرضى .

والله خليفتي عليك ، والمتولى لأمرك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ،
وصلى الله على محمد نبي الهدى وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

ذكر الزجر عن تهاجر المسلمين كافة

حدثنا أبو يعلى الموصلي حدثنا وهب بن بقية الواسطي حدثنا خالد بن
عبد الله عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن أنس قال : قال رسول الله

(١) الورهاء : الحقاء ، وأصله قولهم « سحابة ورهاء » أي كثيرة المطر
(٢) الوضر - بفتح الواو والضاد - بقية الدسم والدهن في الإباء ، والوضر
- بكسر الضاد - الوصف منه .

صلى الله عليه وسلم « لا تباغضوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ،
وكونوا عباد الله إخوانا » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يحل التباغض ولا التنافس ولا التحاسد
ولا التدابر بين المسلمين ، والواجب عليهم أن يكونوا إخوانا كما أمرهم الله ورسوله
فإذا تألم واحد منهم تألم الآخر بألمه ، وإذا فرح فرح الآخر بفرحه ، بنفى الغش
والدغل ، مع استسلام الأنفس لله عز وجل ، مع الرضا بما يوجب القضاء
في الأحكام كلها ، ولا يجب الهجران بين المسلمين عند وجود زلة من أحدهما ،
بل يجب عليهما صرفها إلى الإحسان والمطف عليه بالإشفاق ، وترك الهجران .

ولقد حدثني محمد بن المهاجر حدثني موسى بن محمد الأخبارى عن الثميري
حدثني محمد بن يحيى الكتاني قال : أنشدني أبو غزيرة معاوية بن عبد الله
ابن جعفر :

لا يَرْهُدَنَّكَ فِي أَخٍ لَكَ أَنْ تَرَاهُ زَلَّ زَلَّهُ

والرهد يطرحه الذين يلونه في شر أهله^(١)

ويحونه من مأمّن أهل البطانة والسخلة^(٢)

والموت أعظم حادث مما يمر على الجيلة

أنشدني محمد بن الحسن بن قتيبة أنشدني حميد بن عياش :

ولأنك في حب الأخلاء مفرطاً فإن أنت أبغضت البغيض فأجمل

فإنك لا تدري متى أنت مبغض حبيبك أو تهوي البغيض فأعقل

(١) « الألة » بفتح الهمزة - أصله الحرب والسلاح ، وأراد في شر موضع

(٢) « السخلة » السخيلة وباطن الأمر ، وأصلها بسكون الخاء ، فأتبع حركتها

حركة الدال .

وأشدني عمرو بن محمد بن عبد الله النسوي ثعلب :

وما صدودُ ذواتِ الدَّلِّ يَرْمَضُنِي لَسَكُنَا المَوْتَ عِنْدِي صَدُّ إِخْوَانِي
إِنِّي لِأَصْبِرُ مِنْ عَوْدِ بِهِ جُلْبٍ عِنْدَ المَلَمَّاتِ إِلَّا عِنْدَ هِجْرَانِ^(١)
إِذَا رَأَيْتَ الزُّورَارَا مِنْ أَخِي ثِقَّةً صَاقَتْ عَلَى بِرْحَبِ الأَرْضِ أوطَانِي
وأشدني الأبرش :

أَبْلُ الرِّجَالِ إِذَا أَرَدْتَ إِخَاءَهُمْ وَتَوَسَّمَنَّ أَمْـُورَهُمْ وَتَقَدَّرَ
فَإِذَا ظَلَمْتَ بَدَى اللِّبَابَةُ وَالتَّقَى فِيهِ اليَدِينِ قَرِيرَ عَيْنٍ فَاشْدُدِ
فَتَى يَزِلُّ ، وَلَا مَحَالَةَ ، زَلَّةً فَعَلَى أَخِيكَ بِفَضْلِ حَلْمِكَ فَارِدِدِ
وَإِذَا الخَنْتَى نَقَضَ الخَبِي فِي مَجْلَسِ وَرَأَيْتَ أَهْلَ الطَّيْشِ قَامُوا فَاقْعَدِ

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب للمرء أن يدخل في جملة العوام والمهجم
بأحداث الود لإخوانه ، وتكديره لم بالخروج بالسبب الذي يؤدي إلى الهجران
الذي نهى المصطفى صلى الله عليه وسلم عنه بينهم ، بل يقصد قصده الإغضاء عن
ورود الزلات ، ويتحرى ترك المناقشة على المفوات ، ولا سيما إذا قيل في أحدم
الشيء الذي يحتمل أن يكون حقا وباطلا معا ، فإن الناس ليس يخلو وصلهم من
رشق أسهم العذال فيه .

ولقد سمعت محمد بن عثمان العقبى يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول :

قال محمد بن حديد :

وَمَنْ ذَا مَنْ عَيُوبِ النَّاسِ نَاجٍ بِحَقِّ قِيلٍ فِيهِ ، أَوْ قَرَأِ^(٢)
قَبِيحِ بِي إِذَا خَالَتْ خَلَا وَلَا زَمَ خُلَّتِي أَنْ لَا أَكْفِي
وَكَلُّ مَوَدَّةٍ لَا خَيْرَ فِيهَا إِذَا لَمْ تَحْتَمِلْ حَقَّ المَصْنُفِي

(١) العود - بالفتح - الجمل السن ، والجلب : القروح

(٢) أقرفه بكذا وقرفه : اتهمه .

فأما في الكلام فكم وفي ولكن في الشدائد لا يوافق
 إذا أحببت لم أنقض إخائي ولم أبن الإخاء على اعتساف
 ولكن أمنحُ الكرماء ودًا ولا أدعو اللئام إلى العطف
 متى تقطعُ صديقك بعد وصل ولا تثبت ، فعهديك غير واف
 إذا ما المرء أدبر لم تَطِقْهُ وصرار المستقيم إلى خلاف

سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت محمد بن عبد الرحمن يقول : سمعت أبا عمار
 الحسين بن حريث يقول : قيل لرجل : ألك عيوب ؟ قال : لا ، قيل له : فلك
 من يلتسها ؟ قال : نعم ، قال : فما أكثر عيوبك ! .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : السبب المؤدى إلى الهجران بين المسلمين ثلاثة
 أشياء : إما وجود الزلة من أخيه - ولا محالة يزل - فلا يفضى عنها ولا يطلب لها
 ضدها ، وإبلاغ وإش يقدر فيه ، ومشي عاذل بطلب له فيقبله ولا يطلب لتكذيبه
 سببا ، ولا لأخيه عنرا ، وورود ملل يدخل على أحدهما ، فإن اللالة تورث القطع
 ولا يكون للول صديق .

وقد أخبرني محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا محمد بن إبراهيم اليمرى
 حدثني عبد الرحمن بن إبراهيم الإصبهاني أنشدني بعض أهل الأدب :
 إنَّ الملوَّةَ ودُّهُ مثل السراب يذم وردُّهُ
 أو كالسحاب الزائد البراق لم يصدقك وعدُّهُ
 أو كالحمام هزرتَه عند الضراب ، فكلَّ حده (١)
 لا تقبلنَّ إخاءه فوعيده كذبٌ ووعدهُ
 بينا يودك رأى عيبتك إذ بدالك منه صدهُ
 وتغيرت أخلاقهُ وأزورٌ ، حتى مال خده

(١) كل حده : ضعف

أبانا محمد بن يعقوب الخطيب بالأهواز حدثنا معمر بن سهل حدثنا إبراهيم
ابن بشار عن سفیان قال : كان لابن شبرمة أخ ، فجماع ، فكتب إليه :
كلانا غنى عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة
أيام ؛ فمن فعل ذلك كان مرتكباً لعنمى النبي صلى الله عليه وسلم ، وخيرها الذى
يبدأ بالسلام ، والسابق بالسلام يكون السابق إلى الجنة ، ومن هجر أخاه سنة
كان كسفك دمه ، ومن مات وهو مهاجر أخاه دخل النار ، إن لم يتفضل الله
عليه بغفو منه ورحمة ، وغاية ما أبيع من المهران بين المسلمين ثلاثة أيام .

ولقد أنشدنى عبيد الله بن محمد الأنماطى قال : أنشدنى محمد بن الحسن :

ياسيدى عندك لى مظلده فاستفت فيها ابن أبى خيثمه

فإنه برويه عن شيخه قال : روى الضحاك عن عكرمه

عن ابن عباس عن المصطفى نبينا المبعوث بالرحمة

إن صدود الخلل عن خله فوق ثلاث ربنا حرمة^(١)

وأنشدنى محمد بن شاه الأبيوردى بالموصل :

ماودنى أحد إلا بذلت له صفو المودة منى آخر الأبد

ولا جفاني وإن كنت الحب له إلا دعوت له الرحمن بالرشد

ولا أتمت على سرفجت به ولا مدت إلى غير الجليل يدي

ولا أخون خليلي فى خليلته حتى أغيب فى الأكفان واللحد

أبانا محمد بن المهاجر حدثنا أحمد بن عبد الله بن شجاع حدثنا محمد بن سماعه ،

(١) وفى غير الأصل بعد الأيات

وأنت منذ شهر لنا هاجر فم نخاف الله فينا فمه ؟

قال : جئت يوماً إلى أبي على المصرى أسلم عليه ، قال : فبشّ بي واحتملنى فى حجّيرى ، ثم قال :

حسى بوصولك فى حياتى لذةً ورضيتُ فى ذلك الماد ثوابا
لو كنتَ رزقى ما أردتُ زيادةً ولقلتُ : أحسنَ خالقي وأطابا

ذكر الحث على لزوم الحلم عند الأذى

أبانا محمد بن الحسن بن قتيبة حدثنا يزيد بن خالد بن موهب الرملى حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا حلِيم إلا ذو عَثرة ، ولا حلِيم إلا ذو تجربة » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الخبر فى الضرب الذى ذكرت فى كتاب فصول السنن بأن العرب تُضيف الاسم إلى الشيء للقرب من التمام ، وتنفى الاسم عن الشيء للنقص من الكمال ، فلما كان الغالب على المرء أن لا يكون حلماً حتى يكون ذا عَثرة نفى النبي صلى الله عليه وسلم اسم الحلِيم عن من لم يكن بذى عَثرة ، انقصه عن الكمال .

فالحلِيم : عظيم الشأن ، رفيع المكان ، محمود الأمر ، مرضى الفعل .

والحلم : اسم يقع على زَمّ النفس عن الخروج عند الورود عليها ضد ما تحب إلى ما نهى عنه .

فالحلم يشتمل على المعرفة والصبر والأناة والتثبت ، ولم يقرب شىء إلى شىء أحسن من غفو إلى مقدره .

والحلم أجمل ما يكون من القتدر على الانتقام .

ولقد حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ببغداد حدثنا يحيى

ابن معين قال : حدثنا الحسن بن واقع عن ضمرة قال : « الحلم أرفع من العقل ، لأن الله تبارك وتعالى تسمى به » .

وأشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي .

ألم تر أنَّ الحلمَ زَيْنٌ مسودَّ لصحبه والجهلَ للمرءِ شينٌ
فكُن دافئاً للشرِّ بالخيرِ تسرحُ من ألمٍ ، إن الخيرَ للشرِّ دافنٌ

وأشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

إذا شئت يوماً أن تسود عشيرة فبالحلمِ سُدَّ ، لا بالتسرعِ والشمِ
وللحلمِ خيرٌ - فاعلمنَّ - مغبةٌ من الجهلِ ، إلا أن تشرسنَّ من الظلمِ^(١)
وأشدني علي بن محمد البسامي :

فأرض بما حُمَّ من قضاء يصبك من ذلك الخيار
وعشراً حيداً ، رخيَّ بال ملزأئك الحلمُ والوقارُ

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إن من نفاة اسم « الحلم » وارتفاع قدره ، أن الله جل وعلا نسي به ، ثم لم يُسمَّ بالحلم في كتابه أحداً إلا إبراهيم خليله وإسحاق ذبيحه ، حيث قال : (٩ : ١١٤ إن إبراهيم لأواه حليم) وقال : (٣٧ : ١٠١ فبشرناه بسلام حليم)^(٢) .

(١) يعني أن الظالم المعتدي لا يناسب الحلم معه ، فلا ينبغي أن يعامل إلا بالشراسة التي تردعه .

(٢) هذه الآية من سورة الصافات ، والسياق فيها واضح جداً بأنه إسماعيل ، فإنه سبحانه وتعالى بعد أن ساق قصة النبي صبره وأبيه ورضاهما التام عن ربهما بأمره ونجاحهما في هذا البلاء العظيم قال تعالى (٣٧ : ١٠٩ - ١١٣ سلام على إبراهيم ، كذلك نجزي المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين ، وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ، وباركنا عليه وعلى إسحاق ، ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين)

ولو لم يكن في الحلم خصلة محمد إلا تركها كتاب المعاصي ، والدخول في
المواضع الدنسة لكان الواجب على العاقل أن لا يفارق الحلم ما وجد إلى
استعماله سبيلا .

والحلم : سَجِيَّة ، أو تجربة ، أو هما .

حدثنا أبو حمزة محمد بن عمر بن يوسف حدثنا عبد الله بن سعيد الكندي .
حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه قال : سمعت معاوية بن أبي سفيان .
يقول « لا حلم إلا بالتجربة » .

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

صافي الصديق يودّه وإذا دنا شبراً فزده
واحلم إذا نطق السفيسه ، فمن يرد جهلاً يحده

أبنا محمد بن علي الصيرفي بالبصرة حدثنا ابن أبي الشوارب حدثنا أبو عوانة .
عن عبد الملك بن عمير عن رجاء بن حيوة عن أبي الدرداء قال « إنما العلم بالتعلم ،
وإنما الحلم بالتحلم ، ومن يتوخ الخير يُعطه ، ومن يتوق الشر يُوقه » .

وأنشدني الكريزي :

إذا أنا كافيت الجهول بفعله فهل أنا إلا مثله إذ أحاوره ؟
ولكن إذا ما طاش بالجهل طائش علي ، فإني بالتحلم قاهره

أبنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار حدثنا يحيى بن معين حدثنا عثمان
ابن صالح حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث ، أن رجلاً كتب إلى أخ له :
اعلم أن الحلم لباس العلم فلا تعرّين منه .

= والعجب العاجب أن يعني هذا على ابن حبان وغيره حق يقولوا : إن الذبيح
إسحاق ، مقلدين في ذلك من غير بيان حجة ، ثم غافلين عن النصوص القرآنية الصريحة ،
وبالأخص في هذه السورة بهذا السياق البين .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم الحلم عن الناس كافة ، فإن صب ذلك عليه فليتحالم ، لأنه يرتقى به إلى درجة الحلم .

وأول الحلم : المعرفة ، ثم الثبوت ، ثم العزم ، ثم التصبر ، ثم الصبر ، ثم الرضا ، ثم الصمت والإغضاء ، وما الفضل إلا للمحسن إلى المسمى ، فأما من أحسن إلى المحسن ، وحلم عن لم يؤذِهِ ؛ فليس ذلك بحلم ، ولا إحسان .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبى حدثنا إسحاق بن زكريا حدثنا عبد الصمد ابن حسان حدثنا أبو عمر المازنى عن وهب بن منبه أنه قال : يا بني لا تجادلن العلماء فتهون عليهم فيرفضوك ، ولا تمارين السفهاء فيجهلوا عليك ويشتموك ، فإنه يلحق بالعلماء من صبر ورأى رأيهم ، وينجو من السفهاء من صمت وسكت عنهم ، ولا تحسبن أنك إذا ماريت التقية إلا زدت غيظاً دائباً ، ولا تحمين من قليل تسمعه فيوقمك في كثير تكرهه ، ولا تفضح نفسك لتشفى غيظك ، فإن جهل عليك جاهل فلينعن إياك حذرك ، وإنك إذا لم تحسن حتى يحسن إليك فما أجرك ، وما فضلك على غيرك ؟ فإذا أردت الفضيلة فأحسن إلى من أساء إليك ، وانصف عن ظلمك ، وانصف من لم ينعك ، وانتظر ثواب ذلك من قبل الله ، فإن الحسنة الكاملة التي لا يريد صاحبها عليها ثواباً في الدنيا .

وأنشدني محمد بن حبيب الواسطي :

إذا المرء لم يصرف عذاباً من الأذى
فلم يصطنع إلا قليلاً صديقه
وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

احفظ لسانك إن لقيت مشامساً
من يشتري عرض اللئيم بعرضه
لا تجربن مع اللئيم إذا جرى
بحوى الندامة حين يقبض ما اشتري

أبنا إبراهيم بن نصر العنبري حدثنا علي بن الأزهر الرازي حدثنا إبراهيم
ابن رستم قال: سمعت ابن المبارك يقول: دعانا عبد الله بن عون إلى طعامه، فكنا
نأكل، فجاءت الخادم ومعهما صحفة فمثرت في ثوبها، فسقطت الصحفة من يدها
فقال لها ابن عون: مترس آزادي^(١)

حدثنا عمرو بن محمد، حدثنا الفلابي، حدثنا ابن عائشة قال: قال محمد بن
السدي لابنه عروة، لما ولى اليمن: إذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك، وإلى
الأرض تحتك، ثم عظم خالقهما.

قال أبو حاتم رضى الله عنه: الواجب على العاقل، إذا غضب واحتد أن
يذكر كثرة حلم الله عنه مع تواتر انتهاك محارمه وتعديه حرمانه، ثم يحلم،
ولا يخرج غيظه إلى الدخول في أسباب المعاصي.

والناس على ضروب ثلاثة: رجل أعز منك، ورجل أنت أعز منه، ورجل
ساواك في العز؛ فالتجاهل على من أنت أعز منه لزوم، وعلى من هو أعز منك
جَنَفٌ، وعلى من هو مثلك هراش كهراش الكلبين، ونقار كنقار الديكين،
ولا يفترقان إلا عن الخدش والتقر والهجر، ولا يكاد يوجد التجاهل وترك
التحالم إلا من سفهين، ولقد أحسن الذي يقول:

ما تمَّ حلمٌ ولا علمٌ بلا أدبٍ ولا تجاهلٌ في قوم حليانِ
وما التجاهل إلا ثوبٌ ذى دنسٍ وليس يلبسه إلا سفهانِ
وأشدنى ابن زنجي البغدادي:

وما شيء أسرُّ إلى لثيمٍ إذا شتم الكرام من الجواب
متاركة اللثيم بلا جوابٍ أشدُّ عليه من مؤرِّ العذاب

(١) معناه بالفارسية: لا تخافي، أنت حرة.

وأنشدني الكريزي :

تجرد ما استطعت من السفية بحسن الحلم ، إن العزَّ فيه
فقد يعصى السفية مؤدبيه ويؤثِّمُ باللجاجة منصفيه (١)
تلينُ له فيغليظ جانباه كبير السوء يرمحُ عالميه (٢)

أنيابنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا الحسن بن محمد الأزدي الكوفي ، حدثنا
عمر بن حفص بن غياث عن أبيه قال : كنت جالسا عند جعفر بن محمد ، ورجل
يشكو رجلا عنده ، قال لي كذا ، وفعل لي كذا ، فقال له جعفر : من أكرمك
فأكرمه ، ومن استخف بك فأكرم نفسك عنه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ماضٌ شيء إلى شيء هو أحسن من حلم إلى علم ،
وما عُدِمَ شيء في شيء هو أوحش من عدم الحلم في العالم ، ولو كان للحلم أبوان
لكان أحدهما العقل والآخر الصمت ، وربما يُدفع العاقل إلى الوقت بعد
الوقت إلى من لا يُرضيه عنه الحلم ولا يُقنعه عنه الصمغ ؛ فحينئذ يحتاج إلى سفية
ينتصر له ؛ لأن ترك الحلم في بعض الأوقات من الحلم .

ولقد حدثني محمد بن المنذر ، حدثنا يزيد بن عبد الصمد ، حدثنا عبد الرحمن
ابن إبراهيم ، حدثنا الوليد عن سعيد بن عبد العزيز ، أن رجلا استطال على
سليمان بن موسى ، فسكت له سليمان وانتصر له أخوه ، قال : فقال مكحول : ذلَّ
من لاسفيه له .

حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن
ابن القاسم عن أبيه قال : قال أبو حنيفة لشيطان الطاق (٣) : ما تقول في المتعة ؟

(١) أبرمه باللجاجة : أى غاظه بكثرة الملاحظة والتأدي في السفه والجمل . ولج في

الأمر : أوغل فيه وزاد . (٢) العير : الحمار ، ورمح : يعنى رفس .

(٣) شيطان الطاق : شاعر رافضى مشهور .

قال : حلال ، قال : فيسرك أن أمك تزوجت متعة ؟ فسكت عنه ساعة ، ثم قال :
يا أبا حنيفة : ماتقول في النبيذ ؟ قال : حلال ، قال : وشربه وبيعه وشراؤه ؟
قال : نعم ، قال : فيسرك أن أمك نبتاذة ؟ قال : فسكت عنه أبو حنيفة .

أشدني علي بن محمد البسامي :

إذا كنت بين الحلم والجهل قاعدا وخيرت : أي شئت ، فالحلم أفضل
ولكن إذا أنصفت من ليس منصفنا ولم يرض منك الحلم ، فالجهل أفضل
وأشدني محمد بن حبيب الواسطي :

إذا أمن الجهال جهلك مرة ففرضك للجهال غم من الغم
فم عليه الجهل والحلم واقفه بمرتبة بين العداوة والسلم
فيرجوك تارات ، ويخشاك قارة وتأخذ فيما بين ذلك بالحزم

حدثنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا يزيد بن عبد الصمد الدمشقي ، حدثنا

أبو مسهر ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن مكحول قال : لاحلم لمن لا جاهل له .

وحدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا مهدي بن سابق قال : قال

للأمون : يحسن بالوك الحلم عن كل أحد ، إلا عن ثلاثة : قادح في ملك ، أو
مذيع لسر ، أو متعرض لحرمة .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الحلم على ضربين :

أحدهما : ما يرد على النفس من قضاء الله من المصائب التي امتحن الله بها عباده

فيصبر العاقل تحت ورودها ، ويحلم عن الخروج إلى ما لا يليق بأهل العقل .

والآخر : ما يرد على النفس بصد ما تشتهي من المخلوقين ، فمن تعود الحلم فليس

بححتاج إلى التصبر ، لاستواء العدم والوجود عنده .

كما حدثنا أبو حمزة محمد بن يوسف بن عمر بنسا ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم

الدورقي ، حدثنا عبد الله بن صالح المجلي قال : سمعت ابن أبي عتبة يقول :

قيل للأحنف بن قيس التميمي : ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم التميمي ، أنه آت وهو محتب ، فقال : ابن أخيك قتل ابنك ! قال : عصي ربه ، وقت عضده ، وقطع رحمه ، جهزوه ، وما حلّ حيوته ، فنه تعلمت الحلم .

حدثنا محمد بن شاذل الهاشمي ، حدثنا أحمد بن الخليل البغدادي ، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق ، أخبرنا عبد الله عن جعفر بن سليمان قال : كانت امرأة بالبصرة متعبدة تصيبها المصائب ، فنكر من صبرها ، حتى أصابها مصيبة موجعة ، فصبرت ، فذكرت ذلك لها ، فقالت : ما من مصيبة تصيبني فأذكر معها النار إلا صارت في عيني مثل التراب .

حدثنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي بالبصرة ، حدثنا عمرو بن إسحاق بن خلاد الجهضى ، حدثنا خالد بن خدّاش ، حدثنا ابن وهب عن بكر بن مضر قال : كان أبو الهيثم مات ولده ، وبقي له بنتٌ صغيرة ، فمات ، فأتاه إخوانه يعزونه وهو في ناحية المسجد ، فقال لهم : تركني حزينٌ يوم القيامة لا آسى على شيء ، فانتى ، ولا أفرح لما أتاني .

حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي ، حدثنا القاسم بن الحسن الزبيدي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال : مات ابن لشریح ، فلم يصيحوا عليه ، ولم يشعر به أحد ، فقيل له : يا أبا آمنة ، كيف هو ؟ قال : قد سكن عجزه ^(١) ورجاه أهله ، ولم يكن منذ اشتكى أسكن منه الليلة .

ذكر الحث على لزوم الرفق في أمور وكرهية العجلة فيها

حدثنا محمد بن صالح الطبري بالصيمرة ، حدثنا عبد الجبار بن العلاء العطار حدثنا سفيان بن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملكة عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أعطى

(٢) العلز - محرّكة - قلق وخفة وهلع يصيب الرريض والمختصر .

حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ مَنَعَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ مَنَعَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ»

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الرفق في الأمور كلها وترك العجلة والخفة فيها ؛ إذ الله تعالى يحب الرفق في الأمور كلها ، ومن منع الرفق منع الخير ، كما أن من أعطى الرفق أعطى الخير ، ولا يكاد المرء يتمكن من بعثته في سلوك قصده في شيء من الأشياء على حسب الذي يحب إلا بمقارنة الرفق ومفارقة العجلة.

وأشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

الرفق مما سبقت اليمن صاحبه وألحق منه يكون العنف والزلل
والحزم أن يتأني المرء فرصته والسكف عنها إذا ما أمكنت قسئل
والبر لله خير الأمر عاقبة والله للبر عون ماله مثل
خير البرية قولاً خيرهم عملاً لا يصلح القول حتى يصلح العمل

وأشدني منصور بن محمد الكريزي :

الرفق أيعن شيء أنت تتبعه وألحق أشأم شيء يقدم الرجل
وذو الثبث من حمد إلى ظفر من يركب الرفق لا يستحب الزلل
حدثنا محمد بن أبي علي الخلاوي ، حدثنا محمد بن خلف البسامي عن أحمد

ابن موسى الأزرق أنه أشده :

وزن الكلام إذا نطقت ، فإنما يبدى العقول أو العيوب المنطق
لا ألفتك ناويا في غربة إن الغريب بكل سهم يرشق
لو سار ألف مدجج في حاجة لم يقضها إلا الذي يتفرق
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم الرفق في الأوقات ، والاعتدال في الحالات ؛ لأن الزيادة على القدر في المبتغى عيب ، كما أن النقصان فيما يجب

من المطلب عجيز ، وما لم يصلحه الرفق لم يصلحه العنف ، ولا ذليل أمر من رفق ،
كما لا ظهير أوثق من العقل ، ومن الرفق يكون الاحتراز ، وفي الاحتراز ترجى
السلامة ، وفي ترك الرفق يكون الخرق ، وفي لزوم الخرق تخاف الهلكة .
ولقد أنشدني الأبرش :

عليك بوجه التصد ، فاسلك سبيلهُ ففي الجور إهلاك ، وفي التصد مسلك
إذا أنت لم تعرف لثفك قدرها تحمّلها ما لا تطيق قهالك
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الراق لا يكاد يسبق ، كما أن العجل لا يكاد
يتلحق ، وكما أن من سكت لا يكاد يندم ، كذلك من نطق لا يكاد يسلم ،
والعجل يقول قيل أن يعلم ، ويحجب قيل أن يفهم ، ويحمد قيل أن يُحرب ،
ويذم بعد ما يحمد ، يعزم قيل أن يفكر ، ويمضي قيل أن يعزم ، والعجل تصعبه
الندامة ، وتمترله السلامة ، وكانت العرب تسكنى العجالة أمّ الندامات .
ولقد أنشدني بعض أهل العلم :

العجز ضرٌّ ، وما بالحزم من ضرر وأحزم الحزم سوء الظن بالناس
لا تترك الحزم في أمر تحاذره فإن أمنت فما بالحزم من بأس
أخبرنا عمرو بن محمد حدثنا القلابي حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب قال :
كان يقال : لا يوجد المجول محموداً ، ولا الغضوب مسروراً ، ولا الحر حريصاً ،
ولا الكريم حسوداً ، ولا الشره غنياً ، ولا الملول ذا إخوان .
وأشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

إذا ما أتيت الأمر من غير بابهِ نصّبت ، حتى لا ترى فيه مُرتبتي
وإن الذي يصطاده التّمخ إن عتا على الفخ كان الفخ أعتى وأضيقا
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العجالة تكون من الحدة ، وصاحب العجالة
إن أصاب فرصته لم يكن محموداً ، وإن أخطأها كان مذموماً ، والعجل لا يسير

إلا منا كبا للقصده ، منحرفا عن الجادة ، يلتمس ما هو أنكد وأوعر وأخفى مسارا ، يحكم حكم الوژها ، ويناسب أخلاق النساء .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا القلابى حدثنا مهدي بن سابق قال : قال خالد بن برمك : من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق أن لا ينزل به كبير مكروه : العجلة ، واللّجاجة ، والمعجب ، والتواني ، قسرة العجلة الندامة ، وثمرة اللّجاجة الخيرة ، وثمرة المعجب البغضة ، وثمرة التواني الذل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العجلة موكل بها الندم ، وما عجل أحد إلا اكتسب ندامة ، واستفاد مذمة ؛ لأن الزلل مع العجل ، والإقدام على العمل بعد التأنى فيه أحزم من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه ، ولا يكون العجل محموداً أبداً ، والمائل يعلم أن العجز في الأمور يقوم في النقص مقام الإفراط في السى ، فيتجنبهما معاً ، ويجعل لنفسه مسلكا بينهما .

ولقد حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو الدرداء عبد العزيز بن منيب حدثني إبراهيم بن عاصم قال : سمعت صدقة يقول : سمعت الشمر دل يقول : نكح العجز التواني ، فولد الندامة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سبب النجاح ترك التواني ، ودوامي الحرمان الكسل ؛ لأن الكسل عدو المروءة ، وعذاب على الفتوة ، ومن التواني والعجز أنتجت الملكة ، وكما أن الأناة بعد الفرصة أعظم الخطأ كذلك العجلة قبل الإمكان نفس الخطأ ، والرشيد من رآه عن العجلة ، والخائب من خاب عن الأناة ، والمجل مخطيء أبداً ، كما أن المثبت مصيب أبداً .

وحدثني محمد بن عثمان العقبي حدثنا محمد بن الحسن المصرى حدثني نعيم ابن حماد حدثنا ابن المبارك حدثنا معمر قال : كتب عمرو إلى معاوية يعاتبه في التانى « أما بعد ، فإن التفهم في الخير زيادة ورشد ، وإنه من لا ينفعه الرفق

يضره الخرق ، ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعاني - أو قال : المعالي - ولا يبلغ الرجل مبلغ الرأى حتى يئلب حله جهله ، وتصبره شهوته ، ولا يدرك ذلك إلا بقوة الحلم .

وأشدنى محمد بن حبيب الواسطى :

بني ، إذا ماساقت الضرفا تئيد ففارق أولى بالأريب وأحرز
فلا تحمين عند الأمور تمززا فقد يورث الذل الطويل التعزز

أخبرني محمد بن المنذر حدثنا إسماعيل بن إسحاق حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد عن أيوب قال : قال أكرم بن صيفي : ما يسرنى أنى نزلت بدار معجزة فأسمت وألبنت^(١) . قيل له : لم ؟ قال : لأنى أخاف أن أتخذ المعجز عادة .

أشدنى المنتصر بن بلال :

وعليك فى بعض الأمور صعوبة والرقق للمستصعبات مدان
وبحسن عقل المرء يثبت حاله وعلى المنفارس ثمر العيدان

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا مهدي بن سابق عن عبد الله بن عياش عن أبيه قال : شهد أعرابي عند معاوية بشهادة ، فقال معاوية : كذبت ، فقال الأعرابي : إن الكاذب للمتمثل فى ثيابك ، فقال معاوية : هذا جزاء من يعجل .

ذكر الحث على تعلم الأدب ولزوم الفصاحة

حدثنا الحسين بن إدريس الأنصارى أنبأنا أحمد بن أبي بكر عن مالك عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من البيان لسحرا »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد شبه النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا الخبر

(١) أسمت : صرت ذا سمن ، وألبنت : صرت ذا لبن .

البيان بالسحر : إذ الساحر يستميل قلب الناظر إليه بسحره وشعوذته والفصيح
الدَّربُ اللسان يستميل قلوب الناس إليه بحسن فصاحته ونظم كلامه ، فالأنفس
تكون إليه تائفة ، والأعين إليه رامقة .

ولقد حدثنا أبو خليفة حدثنا أبو محمد التوزي النحوي حدثنا عبد الله بن صالح
حدثنا حيان بن علي قال : سمعت ابن شبرمة يقول : ما رأيت لباساً على رجل أحسن
من فصاحة ، ولا على امرأة من شحم ، وإن الرجل ليتكلم فيعرب ، فكان
عليه الخبز الأدكن ، وإن الرجل ليتكلم فيلحن فكان عليه أسحالا^(١) ، إن
أحبت أن يصغر في عينك الكبير ، ويكبر في عينك الصغير : فتعلم النحو .

وأشدني الكريزي :

أكرم بندي أدب، أكرم بندي حسب	فإنما العزم في الأحساب والأدب
والناس صنفان: ذو عقل، وذو أدب	كمدن القضة البيضاء والذهب
وسائر الناس من بين الوري همج	كانوا موالى ، أو كانوا من العرب
وأشدني البسامي :	

ليس المسود من بالمال سودده	بل المسود من قد ساد بالأدب
لأن من ساد بالأموال سودده	مادام في جمع ذا الأموال والنشب
إن قف يوماً له مال يصير إلى	هون من الأمر في ذلك وفي تعب

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الفصاحة أحسن لباس يلبسه الرجل وأحسن
إزار يتزر به العاقل ، والأدب صاحب في الغربة ، ومؤنس في القلة ، وزين في
المخافل ، وزيادة في العقل ، ودليل على المروءة ، ومن استفاد الأدب في حديثه
انتفع به في كبره ؛ لأن من غرس قسيلاً^(٢) بوشك أن يأكل رطبها ، وما يستوى
عند أولى النهى ، ولا يكون سيان عند ذوى الحجى ؛ رجلان : أحدهما يلحن ،
والآخر لا يلحن .

(١) الأسحالا : الثياب البالية . (٢) القسييل : صغار النخل .

واقف حدثنا الحسين بن محمد بن مصعب السنجي حدثنا أبو داود حدثنا
عبد الله بن بكر بن حبيب حدثنا أبي عن سالم بن قتيبة قال : كنت عند
ابن هبيرة فخرى الحديث ، حتى ذكروا العربية ، فقال : والله ما استوى رجلان
حسبهما واحد ، ومروءتهما واحدة ، أحدهما يلحن ، والآخر لا يلحن ، إلا أن
أفضلهما في الدنيا والآخرة الذي لا يلحن ، قال فقلت : أصلح الله الأمير ! هذا
أفضل في الدنيا تفضل فصاحته وعريته ، أرأيت الآخرة ما باله فضلٌ فيها ؟ قال :
إنه يقرأ كتاب الله على ما أنزل ، والذي يلحن يحمله لحنه على أن يدخل في
كتاب الله ما ليس فيه ، ويخرج منه ما هو فيه ، قال قلت : صدق الأمير وبراً !
وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

أيها الطالب فخرًا بالنسبُ إنما الناس لأم ولأب
هل ترام خلقوا من فضة أو حديد أو نحاس أو ذهب ؟
أو ترى فضلهم في خلقهم هل سوى لحمٍ وعظمٍ وعصب ؟
إنما التفضل بحلمٍ راجح وبأخلاقٍ كرامٍ وأدب
ذاك من فآخر في الناس به فاق من فآخر منهم وغلب
وأنشدني محمد بن نصر بن نوفل أنشدني عبد العزيز بن أحمد بن بكار إمام
مسجد مكة :

ما حلةٌ نسجت بالدُّرِّ والذهب إلا وأحسن منها المرء بالأدب
حدثنا محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا أحمد بن محمد المسروقي حدثنا محمد بن
الحسين البرجلاني حدثنا أبو عمر العمري حدثني عبد الله بن سلمة بن مرداس عن
أبيه قال : قال لي رجل من حكام القوس : أقربُ القرابة المودة الدائمة ، وأفضل
ما ورث الآباء الأبناء حسن الأدب .
قال أبو حاتم رضى الله عنه : أفضل ما ورث أب ابناً ثناء حسن وأدب نافع ،
والحرص عندي خير من البيان بالكذب ، كما أن الحضور خير من الغايم .

فيجب على العاقل أن يذكي قلبه بالأدب ، كما يذكي النار بالخشب ؛ لأن من لم يذكي قلبه ران حتى يسود ، ومن تعلم الأدب فلا يتخذ الحرارة عُدَّة ، ولا العبارة ملجأ ، ولكن يقصد قصد الانتفاع بنفسه ، وليستعين به على ما يقربه إلى بارئه .

وتقد أنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

أدبُ المرء كلهم ودمر ماحواه رجل إلا صلح
لو وزتم رجلا ذا أدب بألوف من ذوى الجهل رجع
أبانا أحمد بن بشر الكرجي حدثنا محمود بن الخطاب حدثنا رُسْتة
عبد الرحمن بن عمر قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : ما ندمت على شيء
ندامتني أني لم أنظر في العربية .

سمعت إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل القاضي يقول : سمعت ابن أخي
الأصمعي يقول : سمعت عمي يقول : تعلموا النحو ، فإن بني إسرائيل كفروا بكلمة
واحدة ، كانت مشددة فخففوها ، قال الله « يا عيسى إني ولدتك » فقرأوا يا عيسى
إني ولدتك مخفف فكفروا .

حدثنا الحسن بن إسحاق الإصبهاني حدثنا أبو أمية حدثنا عبد الله بن صالح
حدثنا أبو زيد النحوي قال : جاء رجل إلى الحسن ، فقال : ما تقول في رجل
ترك أبيه وأخيه ؟ فقال الحسن : ترك أباه وأخاه ، قال الرجل : فما لأباه ولأخاه ؟
فقال : الحسن فما لأبيه ولأخيه ؟ فقال الرجل : كلما تابعتك خالفت .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا زينة أحسن من زينة الحسب ، كما أن من
أجمل الجمال استعمال الأدب ، ولا حسن لمن لا أدب له ، ومن كان من أهل
الأدب ممن لا حسب له يبلغ به أدبه مراتب أهل الأحساب ؛ لأن حسن الأدب
خلف من الحسب ، وليست الفصاحة إلا إصابة المعنى والتصد ، ولا البلاغة

إلا تصحيح الأقسام واختيار الكلام ، ومن أحد الفصاحة للاقتدار عند البدهة
والفرارة عند الإطالة ، وأحسن البلاغة وضوح الدلالة ، وحسن الإشارة .

ولقد سمعت محمد بن نصر بن نوفل الروزي يقول : سمعت أبا داود السنجى
يقول : سمعت الأصمى يقول : ليست البلاغة بحفة اللسان ، ولا كثرة المذنبين ،
ولكن بإصابة المعنى والتقص إلى الحاجة ، وإن أبلغ الكلام ما لم يكن بالتقوى
المجدع ، ولا البدوى للمرب .
وأشدنى الكريزى :

ولم أر فضلاً ثمَّ إلا بشيمة ولم أر عقلاً صحح إلا على أدب
ولم أر فى الأعداء حين اختبرتهم عدواً لعقل المرء أعدى من الغضب

حدثنا عمر بن محمد حدثنا العلابى حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمى قال : قال
المدائنى : ذكر عند على بن عبد الله بن عباس بلاغة رجل ، فقال : إني لأكره
أن يكون مقدار لسانه فاضلاً على مقدار علمه ، كما أكره أن يكون مقدار علمه
فاضلاً على مقدار عقله .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكلام مثل اللؤلؤ الأزهر ، والزبرجد الأخضر
والياقوت الأحمر ، إلا أن بعضه أفضل من بعض ، ومنه ما يكون مثل الخرف
والحجر والتراب والمدبر ، وأحوج الناس إلى لزوم الأدب وتعلم الفصاحة أهل
العلم ؛ لكثرة قراءتهم الأحاديث ، وخوضهم فى أنواع العلوم .

ولقد سمعت محمد بن نصر بن نوفل يقول : سمعت أبا داود السنجى أو
حدثنى سهل بن هانى عنه ، قال : سمعت الأصمى يقول : إن أخوف ما أخاف
على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل فيما قال النبي صلى الله عليه وسلم
« من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم
يكن لغائياً ، ولم يلحن فى حديثه ، فهما رويت عنه ولحن فى كذبت عليه .

وأشدنى ابن زنجى البغدادى :

ليس الفتى كلُّ الفتى إلا الفتى فى أدبه
وبعضُ أخلاق الفتى أولى به من نسبه
حَتَفُ امرئٍ لسانه فى جدِّه أو لعبه
بين اللُّهى مقلته رُكَّبَ فى مركبته

سمعت أحمد بن الخطاب بن مهران بتسْتَرِيْقُول : سمعت عثمان بن حُرِّ زَادَ يقول : سمعت على بن الجعد يقول : سمعت شعبة يقول : مثل الذى يطلب الحديث ولا يعرف النحو مثل الدابة عليها الخلاة ، ليس فيها شيء .

ذكر إباحة جمع المال للقائم بحقوقه

حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين ابن بنت الحسن بن عيسى بن ماسرَجِسَ حدثنا جدي حدثنا ابن المبارك أنيأنا موسى بن على بن رباح عن أبيه عن أبى قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يا عمرو نَمِماً المال الصالح للرجل الصالح » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الخبير يصرح عن النبي صلى الله عليه وسلم بإباحة جمع المال من حيث يجب ، ويحل للقائم فيه بحقوقه ، لأن فى تقريره الصلاح بالمال والرجل معاً بياناً واضحاً ، لأنه إنما أباح فى جمع المال الذى لا يكون بمحرم على جامعه ، ثم يكون الجامع له قائماً بحقوق الله فيه ، ولقد ذكرت هذه المسألة بتامها بالعلل والحكايات فى كتاب « الفضل بين الغنى والفقر » بما أرجو الغنية فيها لمن أراد الوقوف على معرفتها ، فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

أشدنى منصور بن محمد الكريزى :

إذا كان ما جمعت نيس بنافع فأنت وأقصى الناس فيه سواء
على أن هذا خارج من أئامه وأنت الذي تجرى به وتساء
أنيأنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا
أبو عياد حدثنا شعبة عن قتادة قال: سمعت مطرف بن عبد الله بن الشخير يحدث
عن حكيم بن قيس بن عاصم عن أبيه أنه أوصى بنيه عند موته : فقال : عليكم
بالمال واصطناعه فإنه منبهة للكريم ، ويستغنى به عن اللئيم ، وبإياكم ومساءلة
الناس ؛ فإنها آخر كسب الرجل .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إن من أحسن ما ينفع المرء [به] في عمره وبعد
المات تقوى الله والعمل الصالح .

فالواجب على العاقل أن يعمل في شبابه فيما يقم به أودّه ، كالشيء الذي
لا يفارقه أبداً ، وفيما يصلح به دينه كالشيء الذي لا يجده غداً ، وليكن تعاوده
لله ما يصلح به معاشه ، ويصون به نفسه ، وفي دينه ما يقدم به لآخرته ، ويرضى
به خالقه ، والعاقة خير من الغني بالحرام ، والغني الذي لا مروءة له أهون من
الكسب ، وإن هو طويقاً وخنخيل .

حدثني محمد بن عثمان العقبى حدثنا عمران بن موسى بن أيوب حدثني أبي
حدثني عيسى بن يونس عن محمد بن سوفة عن محمد بن المنكدر قال : نعم العون
على تقوى الله الغنى .

وأشدني علي بن محمد البسامي :

أرى كل ذي مال يسود بحاله وإن كان لا أصل هناك ولا فصل
وآخر منسوباً إلى الرأي خاملاً وأنوك مجهولاً ، فه الجاه والنبل
فلا ذا بفضل للرأي أدرك بُلغة ولم أر هذا ضرراً النوك والجهل

وأشدني منصور بن محمد السكريني ليحيى بن أكرم :

إذا قلَّ مال المرء قلَّ بهاؤه وضافت عليه أرضه وسأؤه
وأصبح لا يدري، وإن كان حازماً أقدامه خيرٌ له أم وراؤه
ولم يعض في وجه من الأرض واسعٍ من الناس إلا ضاق عنه فضاؤه
وأصبح مردوداً عليه مقاله وكان به قد يفتدى خطباؤه
وإن يبق لم يضرُّ عدواً بقاؤه وإن يفتن لم يفقد خيراً قناؤه

حدثني محمد بن المهاجر حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري عن سليمان بن أبي
شيخ حدثني الزبيرى قال : مر عمر بن الخطاب بمحمد بن مسلمة وهو يغرس
وَدِيًّا^(١) . فقال : ما تصنع يا ابن مسلمة ؟ قال : ما ترى ، أستغنى عن الناس ، كما
قال صاحبكم أحيحة بن الجلاح :

استغن ، أو مت ، فلا يغزرك ذونشب من ابن عم ، ولا عم ، ولا خال
إني أظلُّ على الزوراء أعمرها إن الحبيب إلى الإخوان ذو المال

أبنا محمد بن المنذر حدثنا علي بن عبد الرحمن عن عبدان قال : دخلت على
عبد الله المبارك ، وهو يبكي ، فقلت له : مالك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : بضاعة لي
ذهبت ، قال : قلت : أو تبكي على المال ؟ قال : إنما هو قوام ديني .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أسعد الناس من كان في غناه عفيفاً ،
وفي مسكنته قنعاً ؛ لأن من نزل به الفقر لم يجد بُدًّا من ترك الحياء ، والفقر
يذهب العقل والمرءة ، ويذهب العلم والأدب ، وكاد الفقر أن يكون كفراً ،
ومن عرف بالفقر صار مَعْدِنًا للتهمة ، ومجماً للبلايا ، اللهم إلا أن يرزق المرء قلباً
نقياً قنعاً ، يرى الثواب المدخر من الضجر الشديد ، فينثذ لا يبالي بالعالم بأمرهم

(١) الودى - بفتح الواو وكسر الدال وياء مشددة - صغار النخل ، واحده ودية.

والدنيا وما فيها ، والفقر داعية إلى المسهانة ، كما أن الغنى داعية إلى المهابة ، ولقد أحسن الذي يقول :

يغطى عيوب المرء كثرة ماله وصدق فيما قال ، وهو كذوب
ويزرى بعقل المرء قلة ماله يحتمه الأقبام وهو لبيب

أخبارنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي حدثنا الثمر بن قادم حدثنا حماد بن زيد عن أيوب قال : قال لي أبو قلابة : يا أيوب ، الزم سوقك ؛ فانك لا تزال كريما على إخوانك ما لم تحتج إليهم .

وأشدني العقبي أشدني محمد بن خلف التيمي بالكوفة :

كأن مقيلاً حين يغدو لحاجة إلى كل من يلقي من الناس مذنب
وكان بنوعى يقولون : مرحبا فلما رأوني مُعديماً مات مرحب

وأشدني الكريزي :

لعمرك ، إن المال قد يجعل الفتى نسيباً ، وإن الفقر بالمرء قد يزرى
ولا رفع النفس الدينثة كالغنى ولا وضع النفس الكريمة كالفقر

حدثنا محمد بن يحيى العمى ببغداد حدثنا الصلت بن مسعود حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب قال : قال لي أبو قلابة : الزم السوق ؛ فإن الغنى من العافية .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ليس خلة هي للغنى مدح إلا وعى للفقير عيب ؛ فإن كان الفقير حليماً قيل : بليد ، وإن كان عاقلاً قيل : مكار ، وإن كان بليغاً قيل : مهذار ، وإن كان ذكياً قيل : حديد ، وإن كان صموتاً قيل : عيبى ، وإن كان متسائياً قيل : جبان ، وإن كان عارماً قيل : جرىء ، وإن كان جواداً قيل : مسرف ، وإن كان مقدرًا قيل : ممسك .

وشر المال ما اكتسب من حيث لا يحل وأنفق فيما لا يجمل ، ووجوده

وعدمه ليسا بتجدر ولا بكثرة حيلة ، ولكنه أقسام ومواهب من الخلاق العليم^(١)
واقداشدنى الأبرش :

يشقى رجالٌ ، ويشقى آخرون بهم ويسعدُ الله أقواما بأقوام
وليس رزق الفتى من حُسن حيلته لكن جُدود بأرزاق وأقسام
كالصيد يُحرمه الراعى المجيد ، وقد يرمى فيرزقه من ليس بالراعى

حدثني محمد بن سعيد القزاز حدثنا أحمد بن داود بن موسى العطار حدثنا
أحمد بن نصر المندني حدثنا المندني قال : قال أبو قيس بن معدى كرب ، وكان
له أحد عشر ذكرا : يا بني ، اطلبوا هذا المال أجمل الطلب ، واصرفوه في أحسن
مذهب ، صلوا به الأرحام ، واصطنعوا به الأقوام ، واجعلوه جنة لأعراضكم
تحسن في الناس قائلكم ، فإن جمع كمال الأدب ، وبذله كمال المروءة حتى إنه
يسود غير السيد ، ويقوى غير الأيد ، وحتى إنه ليكون في أنفس الناس نبيا ،
وفي أعينهم مهيبا . ومن جمع مالا فلم يصن عرضا ، ولم يعط سائلا ، بحث الناس
عن أصله ؛ فإن كان مدخولا هتكوه ، وإن كان صحيحا نسبوه إما إلى عرض
دنية ، وإما إلى لوص^(٢) لئيم حتى يهجنوه .

(١) فإذا كان كذلك فما بال أبي قلابة يقول « الزم سوقك فإن الفتى من
العافية » ؟ نعم هو هبة من الخلاق العليم ، ولكن الخلاق العليم هو سبحانه
الخبير الحكيم ، الذي جعل لكل شيء سببا ، ودعا الإنسان إلى الأخذ بأسباب
ما سخر له في السموات والأرض ، متوكلا على الله ، ضارعا إليه أن يديم عليه التوفيق
لهذه الأسباب ، والإحسان فيها والتقدير لها ، وشكرها لمسديها ، وفاقه يقول (من
كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها ، وهم فيها لا يبخلون)

(٢) في اللسان : لاصه بعينه لوصا ، ولاوصه : طالعه من خلك أو ستر . وقيل :
الملاوصة النظر بعينه ويسرة ، كأنه يروم أمرا . إلى أن قال - والإنسان بلاوص =

حدثنا مطهر بن يحيى بن ثابت بواسط حدثنا سنان القطان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال « سمع رجلا صوتا في غمام : اذهبي إلى أرض فلان ، فاستقيه قال : فقال الرجل : لآتين فلانا هذا فلأنظرون ما يعمل في أرضه ، فأتاه وقد مطر فيها وهو قائم يفتح الأوعى ، فسلم عليه ، وقال : يا عبد الله ، أخبرني ما تعمل في أرضك هذه ؟ قال : أنظر إلى ما أخرج الله منها ، فأرد فيها ثلثه ، وأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثه . قال علقمة : فكان ابن مسعود يبعثني إلى أرض له يوازن أهل فيها مثل ذلك » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن شر المال مالا يُخرج منه حقوقه ، وإن شرا منه ما أخذ من غير حله ، ومنع من حقه ، وأضق في غير حله ، واستنار المال قوام المعاش ، ولا بد للمرء من إصلاح ماله ، وما ارتفع أحد قط عن إصلاح ماله صالحا كان أو ظالما .

ولا يجب للعاقل أن يعتمد على مجاورة نعم الله عنده فلا يقضى منها حقوقها ؛ لأن من أساء مجاورة نعم الله أساءت مجاورته ، وتحولت عنه إلى غيره .

ولقد أنشدني ابن زنجي البغدادي :

فإن كنتَ في خير ، فلا تقتر به وإن كنتَ قل : اللهم سلم وتمم
فمن لم يَصُنْ عِرْضًا إذا ما استفاده ويشكر لأهل الخير يسأب ويذمم

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي أنشدنا مهدي بن سابق :

وربَّ مُملِكٍ مالا كثيرا ولكن حظه منه قليل

== الشجرة إذا أراد قلعها بالهأس ، فتراه يلاوص في نظره بمنة ويسره كيف يضرها ، وكيف يأتيها ليقلمها .

يعيش بفضل هذا وهذا وقد سالت به فيه سيول
 له منه الذي يحيا عليه ، وبيشته ، وسائر فضول
 حدثنا أحمد بن الحسين الخرازي - بالموصل - حدثنا أحمد بن سنان القطان
 حدثنا كثير بن هشام عن عيسى بن إبراهيم عن معاوية بن عبد الله عن كعب
 قال : أول من ضرب الدينار والدرهم آدم ، وقال : لا تصلح المعيشة إلا بهما .
 قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ماشا كل هذه الحكايات في كتاب
 « السخاء والبذل » فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

ذكر الحث على إقامة المروءات

حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل القاضي وعبد الله بن محمود بن سليمان
 السعدي قالا : حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله العتكي حدثنا مسلم بن خالد الزنجي
 عن الملا بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه
 وسلم « كرم الرجل دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خلقه » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : صرح النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر
 بأن المروءة هي العقل ، والعقل اسم يقع على العلم بسلوك الصواب واجتناب الخطأ .
 فالواجب على العاقل أن يلزم إقامة المروءة بما قدر عليه من الخصال المحمودة ،
 وترك الخلال المذمومة .

وقد نبغ نابتة اتكلوا على آباؤهم ، واتكلوا على أجدادهم ، في الذكر
 والمروءات ، وتمدوا عن القيام بإقامتها بأنفسهم .

ولقد أنشدني منصور بن محمد في دم من هذا نعتة :

إن المروءة ليس يُدركها امرؤ ورث المروءة عن أب ، فأضاعها

أمرته نفس بالدناءة وألحنا ونمته عن طلب العلى فأطاعها
فإذا أصاب من الأمور عظيمةً بينى الكريم بها المروءة باعها
وأشدنى محمد بن إسحاق :

خاسة أخلاق الرجال تشبههم وقل غناء عنهم النسب المحض
يصولون بالآباء فى كل مشهد وقد غيّت آباءهم عنهم الأرض
طويلٌ تبدّتهم بمجدٍ أيهم وما لهم فى المجد طول ولا عرض
وأشدنى الحسين بن أحمد البغدادي :

ليس الكريم بمن يُدنس عرضه ويرى مروءته تكون بمن مضى
حتى يشيد ببناءه بينانه ويزين صالح ما أتوه بما أتى
قال أبو حاتم رضى الله عنه : مارأيت أحداً أخسر صفقة ، ولا أظهر حسرة ،
لا أخيب قصداً ، ولا أقلّ رشداً ، ولا أحقّ شعرا ، ولا أدنس دثاراً ، من
لفتخر بالآباء الكرام وأخلاقهم الجسام ، مع تعرّيه عن سلوك أمثالهم ، وقصد
شباههم ، متوهماً أنهم ارتفعوا بمن قبلهم ، وسادوا بمن تقدمهم ، وهيهات ! أتى
سود المرء على الحقيقة إلا بنفسه ؟ وأتى ينبل فى الدارين إلا بكده ؟

ولقد أنشدنى البسامى :

وكم قائل : إني ابن بيت ، هو ابنه وقد هدم البيت الذى مات عامرة
فأودى عموداه ، ورثت حباله وأصلح أولاه ، وأفسد آخره

وأشدنى الأبرش :

فإن قلت : لى آباءٌ صدق ومنصبٌ كريم وإخوانٌ مضت وجلودُ
صدقت ، ولكن أنت هدمت ما بنوا بكفك عمداً ، والبناء جديدُ

وأشدنى محمد بن عبد الله البغدادي :

إن لم تكن بفعل نفسك سامياً لم يكن عنك سموً من سمو به
ليس القديم على الحديث تراجع إن لم تجده آخذاً بنصيبه
ولربما اقترب البعيد بوجه وغداً القريب مباعداً لقريبه
أبناؤنا الحسين بن محمد بن مصعب السنجي حدثنا أبو داود السنجي حدثنا
عبد الرزاق عن معمر عن الحسن قال : لا دين إلا بمروءة .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : اختلف الناس في كيفية المروءة :
فمن قائل قال : المروءة ثلاثة : إكرام الرجل إخوان أبيه ، وإصلاح ماله ،
وقعوده على باب داره .

ومن قائل قال : المروءة إتيان الحق ، وتعاهد الضيف .
ومن قائل قال : المروءة تقوى الله ، وإصلاح الضيعة ، والغذاء والمشاء
في الأفتية .

ومن قائل قال : المروءة إنصاف الرجل من هو دونه ، والسمو إلى من هو
فوقه ، والجزاء بما أتى إليه .

ومن قائل قال : مروءة الرجل صلح لسانه ، واحتماله عثرات جيرانه ،
وبذله المعروف لأهل زمانه ، وكفنه الأذى عن أباعدة وجيرانه .

ومن قائل قال : إن المروءة التباعد من الخلق الذي قطع :

ومن قائل قال : المروءة أن يعتزل الرجل الريبة ؛ فإنه إذا كان مريباً
كان ذليلاً ، وأن يصلح ماله ؛ فإن من أفسد ماله لم يكن له مروءة ، والابقاء
على نفسه في مطعمه ومشربه .

ومن قائل قال : المروءة حسن العشرة ، وحفظ الفرج واللسان ، وترك المرء
ما يعاب منه .

ومن قائل قال : المروءة سخاوة النفس ، وحسن الخلق .

ومن قائل قال : المروءة العفة والحُرْفَةُ ، أى يَعْفُ عما حرم الله ، ويحْتَفِ قِيماً أحل الله .

ومن قائل قال : المروءة كثرة المال والولد .

ومن قائل قال : المروءة إذا أعطيت شكرت ، وإذا ابتليت صبرت ، وإذا قدرت غفرت ، وإذا وعدت أنجزت .

ومن قائل قال : المروءة حسن الحيلة فى المطالبة ، ورقة الظرف فى المكاتبه .

ومن قائل قال : المروءة اللطافة فى الأمور ، وجودة الفطنة .

ومن قائل قال : المروءة مجانبه الريه ؛ فإنه لا يندل صريب ، وإصلاح

المال ؛ فإنه لا ينبيل فقير ، وقيامه بمحوائج أهل بيته ؛ فإنه لا ينبيل من احتاج أهل بيته إلى غيره .

ومن قائل قال : المروءة النظافة ، وطيب الرائحة .

ومن قائل قال : المروءة الفصاحة والسباحة .

ومن قائل قال : المروءة طلب السلامة ، واستعفاف الناس .

ومن قائل قال : المروءة مراعاة العهود ، والوفاء بالعقود .

ومن قائل قال : المروءة التذلل للأحباب بالتملق ، ومداراة الأعداء بالترقق .

ومن قائل قال : المروءة ملاحه الحركة ، ورقة الطبع .

ومن قائل قال : المروءة هى المفاكمة ، والمباهمة .

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسلم بن عبيد أبو فراس

قال : قال ربيعة : المروءة مروءتان ؛ فالفلسف مروءة ، وللحضر مروءة :

فأما مروءة السفر فبذل الزاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح

فى غير مسأخط الله

وأما سرودة الحضر فلا إيمان إلى المساجد ، وكثرة الإخوان في الله ،
وقراءة القرآن .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : اختلفت أفاضهم في كيفية المروءة ومعاني
ما قالوا قريية بعضها من بعض .

والمروءة عندي خصلتان : اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعال ،
واستعمال ما يحب الله والمسلمون من الخصال .

وهاتان الخصلتان يأتیان على ما ذكرنا قبل من اختلافهم ، واستعمالها هو
العقل نفسه ، كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم « إن سرودة المرء عقله » .

ومن أحسن ما يستعين به المرء على إقامة مروءته المال الصالح .

ولقد أنشدني منصور بن محمد الكريزي :

احتل لنفسك أيها المحتالُ فن المروءة أن يُرى لك مالُ
كم ناطق وسط الرجال ، وإتما عنهم هناك تكلم الأموالُ

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يقيم مروءته بما قدر

عليه ، ولا سبيل إلى إقامة مروءته إلا باليسر من المال ، فمن رزق ذلك وضنَّ

ببنداقه في إقامة مروءته فهو انذى حسر الدنيا والآخرة ، ولا آمن أن تفيجأه المنية

قتلبيه عما ملك كريبها ، وتودعه قبراً وحيداً . ثم يرث المال بعد من يأكله

ولا يحمد ، وينفقه ولا يشكره ، فأى ندامة تشبه هذه ؟ وأى حسرة تزيد عليها ؟

ولقد أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

يا جامع المال في الدنيا لو ارثه هل أنت قبل الموت منتفع ؟

قدم لنفسك قبل الموت في مهل فإن حظك بعد الموت منقطع

أنا أبو الفضل بن محمد الجندي - بمكة - حدثنا إسحاق بن إبراهيم الطبري حدثنا

أزهر عن ابن عون عن ابن سيرين قال : ثلاثة ليست من المروءة : الأكل في

الأسواق ، والأدهان عند العطار ، والنظر في مرآة الحجام .

حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني حدثنا هُشَيْمٌ
عن مغيرة عن الشعبي قال : ليس من المروءة النظر في مرآة الحجام .

حدثنا محمد بن يحيى بن الحسن العمى ببغداد حدثنا الصلت بن مسعود حدثنا
حماد بن زيد حدثنا أيوب قال : سمعت أبا قلابة يقول : ليس من المروءة أن
يربح الرجل على صديقه .

وأشدنى البسامي :

اعلم بأنك ، لا أبالك ، في الذي أصبحت تجمعهُ لغيرك خازنُ

إنَّ النية لا تؤامر مَنْ أتت في نفسه يوماً ، ولا تستأذن

أنيابنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال : كان
يقال : مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلب صدأ الذنوب ، ومجالسة ذوى المروءات
تدل على مكارم الأخلاق ، ومجالسة العلماء تذكى القلوب .

حدثني محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري عن
سليمان بن أبي شيخ حدثنا محمد بن الحكم عن عوانة قال قال معاوية بن
أبي سفيان : آفة المروءة إخوان السوء .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : والواجب على العاقل تفقد الأسباب
المستحقة عند العوام من نفسه حتى لا يثلم مروءته ؛ فإن المحقرات من ضد
المروءات تؤذى السكامل في الحال بالرجوع في القهقري إلى مراتب العوام
وأوباش الناس ^(١) .

ولقد حدثنا جعفر بن محمد الهمداني بصور ، قال : سمعت طلحة بن إسحاق
ابن يعقوب قال : سمعت موسى بن إسحاق الأنصاري يقول : سمعت علي بن
حكيم الأودي يقول : سمعت شريكاً يقول : ذل الدنيا خمسة : دخول الحمام

(١) عربية هذه الكلمة « أو شاب الناس » أي أخلاطهم .

سَحْرًا بلا كَرْنِيب^(١) ، وعبور المعبر بلا قطعة ، وحضور مجلس العلم بلا نسخة ،
وحاجة الشريف إلى الدني ، وحاجة الرجل إلى امرأته .

حدثنا أبو شعبة الحسن بن محمد الإصطخري حدثنا عبد الرحمن بن محمد
ابن منصور ، حدثنا محمد بن عبد العزيز الرملي ، حدثنا رشدين بن سعد ، حدثنا
طلحة بن زيد عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « من قلة مروءة الرجل نظره
في بيت الحائلك ، وحمله القلوس في كفه »

باب الحث على لزوم السخاء ، ومجانبة البخل

أنا أحمد بن يحيى بن زهير بتسّر ، حدثنا الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي
حدثنا سعيد بن محمد الوراق ، حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري عن الأعرج عن
أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السخي قريب من الله ،
قريب من الناس ، والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الناس ، والسخي جاهل ،
أحب إلى الله من بخيل عابد »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن كان حفظ سعيد بن محمد إسناد هذا الخبر
فهو غريب غريب .

فالواجب على العاقل إذا أمكنه الله تعالى من سخطام هذه الدنيا الفانية ، وعلم
زوالها عنه ، وانقلابها إلى غيره ، وأنه لا ينفعه في الآخرة إلا ما قدم من الأعمال
الصالحة : أن يبلغ مجهوده في أداء الحقوق في ماله ، والقيام بالواجب في أسبابه ،

(١) في القاموس : الكرنيب - بالفتح ، ويكسر - الميجع ، والكرنية : إطعامه
للضيف ، وأكل التمر باللبن وهذه المعاني لا تناسب ما هنا ، والظاهر أنه أراد إناء
يعرف به ، وفي مدينة حلب من سوريا يستعمل هذا اللفظ لإناء على شكل مخصوص
معد لفرف الجامدات من بر ونحوه .

حبتنياً بذلك الثواب في العقبى ، والذكر الجليل في الدنيا ، إذ السخاء محبة ومحملة كما أن البخل مذمة ومبغضة ، ولا خير في انسال إلا مع الخود ، كما لا خير في المنطق إلا مع الخبر .

ولقد أنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

الجود مكرمة ، والبخل مبغضة لا يستوى البخل عند الله والجود
والفقر فيه شغوص ، والغنى دعة والناس في المال مرزوق ومحدود^(١)
حدثني محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا محمد بن الحسن الذهلي ، حدثنا محمد
ابن يوسف السدوسي ، حدثنا أحمد بن خالد القمي ، حدثنا سليمان مولى عبد الصمد
ابن علي أن المنصور أمير المؤمنين قال لابنه المهدي : « اعلم أن رضا الناس غاية
لا تدرك ؛ فتحبب إليهم بالإحسان جهدك ، وتودد إليهم بالإفضال ، واقصد
بافضالك موضع الحاجة منهم » .

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

أعاذتني اليوم ، وبمحا مَهلاً وكَمَّا الأذى عني ، ولا تكثرا العذلا
دعاني تجد كفي بما ملكت يدي سأصبح يوماً أترك الجود والبخلا
إذا وضعوا فوق الضريح جناذلا عليّ وخلفتُ اللطيفة والرحلا
فلا أنا مختار إذا ما نزلته ولا أنا لاقٍ ما تويت به أهلا

أخبارنا إبراهيم بن إسحاق الأنطاقي ، حدثنا لوين ، حدثنا ابن أبي الزناد عن
هشام بن عروة قال : كان أبي يقول « ما ليِم قومٌ قطُّ أقاموا على ما عذب »
حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الفلابي حدثنا بكر بن عامر العتري ، حدثنا هشام
ابن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال « من آتاه الله منكم
مالاً فليصل به القرابة ، وليحسن فيه الضيافة ، وليتق في العسنى والأسير

(١) المحدود : - بالحاء المهملة - المنوع من البخت وغيره .

وابن السبيل والمساكين والفقراء والمجاهدين ، وليصبر فيه على النائية : فإن بهنـه
الخصال ينال كرم الدنيا وشرف الآخرة »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أجود الجود من جاد بماله ، وصان نفسه عن
مال غيره ، ومن جاد ساد ، كما أن من يخل رذل .

والجود حارس الأعراض ، كما أن العفو زكاة العقل ، ومن أتم الجود أن
يتعزى عن العنة ؛ لأن من لم يمتن بمعروفه وفقره . والامتنان يهدم الصنائع ، وإذا
تعزت الصنعة عن إزار له طرفان : أحدهما الامتنان ، والآخر طلب الجزاء .
كان من أعظم الجود ، وهو الجود على الحقيقة .

ولقد أنشدنى ابن زنجى :

يارب عاذلة في الجود ، قلت لها : قلى ، على الله فيما أنفق الخلقنا
هل من بحيل رأيت المال أخذه ؟ أم هل رأيت جوادا ميتا عجفا ؟^(١)
لما رأيتى أوتى المال طالبة ولا أبلى تِلادا كان أم طرفا ؟^(٢)
عدت سماحى تديرا ، ولست أرى ما يكسب الحمد تديرا ولا سرقا

أبانا الحسين بن مفيان ، حدثنا حبان بن موسى قال : قسم ابن الميارك
يوما بين إخوانه وأصحاب الحديث ألفَ درهم ، ثم أنشأ يقول :

لاخير في المال لكتأزه إلا جواد الكف وهابه
يفعل أحيانا بزواره ما تعمل الخمر بشرابه

حدثنى محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا الحسن بن محمد عن ابن السماك ، قال :
يا عجبى لمن يشتري المالك بالثمن ، ولا يشتري الأحرار بالمعروف .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أحسن خصال الرء الجود فمن غير
امتنان ، ولا طلب ثواب ، والحلم من غير ضعف ولا مهانة .

(١) العجب : المزال (٢) الطريف : نال التحدث ، وطرف ككرم .

وأصل الجود ترك الضنَّ بالحقوق عن أهلها ، كما أن أصل تربية الجسد أن لا يحمل عليه في الأكل والشرب والبناء ، فكما لا تنفع المروءة بغير تواضع ، ولا الحفظ بغير كفاية ، كذلك لا ينفع العيش بغير مال ، ولا المال بغير جود ، وكما أن القرابة تتبع العودة ، كذلك المحمدة تبع للاتفاق .

أبناؤنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا المبارك ابن سعيد الثوري قال : كان يقال : ثلاث هنَّ أحسن شيء فيمن وجدت فيه : نودة في غير ذل ، وجود لغير ثواب ، ونصب لغير الدنيا .

حدثنا أبو يعلى بالموصل ، حدثنا محمد بن الصباح الدولابي ، حدثنا إسماعيل ابن زكريا عن عاصم الأحول قال : قلت للحسن : ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « اليد العليا خير من اليد السفلى » ؟ قال : يد المعطى خير من يد المانع .

حدثنا أبو خليفة ، حدثنا ابن كثير ، أبناؤنا سفيان عن الأعمش عن ذكوان وعبد الله بن مرة عن كعب قال : من أحب الله ، وأبغض الله ، وأعطى الله ، ومنع الله ؛ فقد استكمل الإيمان .

وأشدني الكريزي ليحيى بن أكرم :

ويُظهرُ عيبَ المرء في الناس بخله ويستقره عنهم جميعا سخاؤه
تغطَّ بأثواب السخاء ؛ فإنني أرى كل عيب والسخاء غطاؤه
وأشدني أحمد بن محمد بن عبد الله اليماني لبعض القرشيين :

سأبذلُ مالي كلما جاء طالبٌ وأجعله وقفا على القرض والقرض
فإما كريما صُنْتُ بالجود عرضة وإما لثيما صُنْتُ عن لؤمه عرضي
وأشدني كامل بن مكرم أبو العلاء ، أشدني هلال بن العلاء بن عمر الباهلي :

ملاَّتْ يدي من الدنيا مرارا فما طمع المواذل في اقتصادي
وما وجبتُ على زكاةٍ مالي وهل تجب الزكاة على الجواد ؟

قال أبو حاتم رضي الله عنه : البخل شجرة في النار أغصانها في الدنيا ، مَنْ تعلق بفصل من أغصانها جرَّه إلى النار ، كما أن الجود شجرة في الجنة أغصانها في الدنيا ، فمن تعلق بفصل من أغصانها جرَّه إلى الجنة ، والجنة دار الأسخياء ، والبخيل يقال له في أول درجته : البخيل ، فإذا عتا وطفى في الإمساك يقال له : الشحيح ، فإذا ذم الجود والأسخياء يقال له : لثيم ، فإذا صار يحتاج للبخلاء ويعذرهم في فعالهم يقال له : الملائم .

وما أترز رجل يإزار أعتك لعرضه ، ولا أثم لدينه من البخل .

وتقد أنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

لكلِّ هم من الموم سَمَةٌ والبخل والاثوم لافلاح مَعَهُ^(١)

قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه

أقبل من الدهر ما أتاك به من قرَّ عيننا بعيشه نفعه

سمعت الخطابي بالبيصرة يقول : سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سأل كسرى : أي شيء أضر على ابن آدم ؟ قالوا : الفقر ، قال : الشح أضر منه ، إن الفقير إذا وجد اتسع ، وإن الشحيح لا يتسع إذا وجد .

أنيأنا إبراهيم بن محمد بن يعقوب حدثنا ابن أبي القمقاع قال قال أبو الهذيل : كنت عند يحيى بن خالد البرمكي ، فدخل عليه رجل هندي ، ومعه مترجم له ، فقال المترجم : إن هذا رجل شاعر ، قد حاول مدحتك ، فقال يحيى : لينشد ، فقال الهندي :

أرَه أَصْرَه كَسَكْرَا كِي كَرِه مَنذَرِه

فقال يحيى للمترجم : ما يقول ؟ قال : يقول :

إذا المسكارم في آفاقنا ذكرت فإنما بك فيها يضربُ المثل

قال : فأمر له بألف دينار .

(١) الأبيات محفوظة لأوس بن حجر ، وفيها « وانصح والسي لا فلاح معه »

وأنشدني عبد الرحمن بن محمد القاتلي^(١) :

إذا المرء لم يدأس من اللوم عرضهُ فكلُّ رِداء يرتديه جميلٌ
إذا قلتَ : لا، في كلِّ شيءٍ سئلتُهُ فليس إلى حسن التناء سبيلٌ

وأنشدني عمرو بن محمد الأنصاري أنشدني الغلابي أنشدني مهدي بن سابق :

يا مانع المال ، كم تَصِينُ به تَطْمَعُ بالله في الخلود معه ؟
هل حمل المال ميتٌ معه ؟ أما تراه لغيره جمعه ؟

أبنانا عمران بن موسى السخيتاني حدثنا سليمان بن عبد المروزي حدثنا
عثمان بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني يحيى بن أيوب عن أبي علي الغافقي
سمع عامر بن عبد الله اليحصبي قال : كان ابن منبه يقول : أجود الناس في الدنيا
من جاد بحقوق الله ، وإن رآه الناس بخيلاً بما سوى ذلك ، وإن أبخل الناس
في الدنيا من أبخل بحقوق الله ، وإن رآه الناس كريماً جواداً بما سوى ذلك .

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

رب مال سيتعمُّ الناس فيه وهو عن ربه قليل الغناء^(٢)
كان يشقى به ، وينصب فيه ثم أضحي لمعشر غرباء
ماله عندهم جزاء إذا ما نعموا فيه غير سوء التناء
رب مال يكون ذمًّا وغمًّا وغنى بعد في الفقراء

حدثنا أحمد بن الحسن بن أبي الصغير المدائني حدثنا الربيع بن سليمان قال :
سمعت الشافعي يقول : كان أبو حاتم - يعني الطائي - سخياً ، وكان يضع الأشياء
مواضعها ، وكان حاتم مبدراً ، فاجتمع يوماً عند أبيه أصحابه ، وشكوا إليهم حاتماً ،
قال : والله ما أدري ما أصنع ، لا يأخذ شيئاً إلا بذرته ، فاجتمع رأيهم على أن

(١) أوله هذين البيتين وعجز ثانيهما في كلمة مشهورة للسموأل بن عدياء

(٢) الغناء بالفتح والمد : النفع

لا يعطيه شيئاً سنة ، قال : فأقام أبوه ، ولم يمكنه من شيء سنة ، مع ما هو فيه من الضر ، فلما مضت السنة أمر له بمائة ناقة حمراء ، قال : فلما وقفت عليه قال حاتم : من أحب شيئاً فهو له ، حتى أخذوها كلها ، فدعاه أبوه ، فقال له : أى بنى ، ماذا تصنع ؟ قال : والله يا أبى لقد بلغ الجوع منى شيئاً لا يسألنى أحد شيئاً إلا أعطيته إياه .

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان :

تجودُ بالمسال على وارث ولا ترى أهلاً له نفسك
قدّمَ حسن الظن بالله من جاد ، وسوء الظن من أمسكا

أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة قال : كان عمر بن عبد العزيز كثيراً ما يشتمل بهذا الشعر ويعجبه :

وما تزودَ مما كان يجمعه إلا خنوطاً غداة البين مع خرقِ
وغيرَ ففحةِ أعواد تُشدُّ له وقلاً ذلك من زادٍ لمنطلقِ

أنبأنا أبو يعلى حدثنا يحيى بن أيوب القسابرى حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن نافع قال « مرض ابن عمر بالمدينة ، فاشتمى عنباً في غير زمانه ، قال : فطلبوا ، فلم يجدوا إلا عند رجل ، فاشتري سبع حبات بدرهم ، فجاء سائلٌ فأمر له به ، ولم يذقه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : ما رأيت أحداً من الشرق إلى الغرب ارتدى برداء الجود وأثرر بإزار ترك الأذى إلا رأساً أشكاله وأضداده ، وخضع له الخاص والعام ، فمن أراد الرفعة العالية في العقبى ، والمرتبة الجليلة في الدنيا ، فليزِم الجود بما ملك ، وترك الأذى إلى الخاص والعام ، ومن أراد أن يهتك عرضه ، ويثلم دينه ، ويمتله إخوانه ، ويستقله جيرانه ، فليزِم البخل .

ولقد ذم البخل أهل العقل في الجاهلية والإسلام إلى يومنا هذا : فنه
ما أشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

كأما نُفرت كَفَّاه من حجر فليس بين يديه والذدى عمل
يرى التيسم في بحر وفي بلد مخافة أن يرى في كفه بلل
وأشدني عمرو بن محمد أنشدني الغلابي أنشدنا مهدي بن سابق :

لو أن دارك أنبت لك ، واحتشيت إبرا يضيق بها فناء المنزل
وأناك يوسف يستعيرك إبرة لينخبط قد قيصه لم تفعل
وأشدني أحمد بن محمد بن أيوب :

وكفأك لم يخلقنا للذدى ولم يك يخلهما بدعه
فكف عن الخير مقبوضة كما حط من مائة سبعة^(١)
وأخرى ثلاثة آلافها وتسع مئتيها لها شرعه

سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزي يقول : سمعت محمد بن صالح الوركاني
يقول : قيل للنضر بن شميل : أي بيت قالته العرب أسخى ؟ قال : الذي
يقول :

فلو لم تكن في كفه غير روحه لجاد بها ، فليق الله سائله
قال : وأي بيت قالته العرب أبخل ؟ فقال :

نو جيل الخردل في كفه ماسقطت من كفه خردلة
قال : وأي بيت قالته العرب أجهى ؟ قال :

العَجْرَفِيُّونَ لا يوفون ما وعدوا والمجرقيات ينجزن المواعيدا
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل ، إذا لم يُعرف بالساحة ،

(١) في المأمن والساوى (كما قصت مائة تسعة)

أن لا يعرف بالبخل ، كما لا يجب ، إذا لم يعرف بالشجاعة ، أن يعرف بالجلين ، ولا إذا لم يعرف بالشهامة أن يعرف بالمهانة ، ولا إذا لم يعرف بالأمانة أن يعرف بالخيانة ، إذ البخل بأس الشعار في الدنيا والآخرة ، وشر ما يدخر من الأعمال في العقبى .

حدثنا أحمد بن عمرو بن جابر بالرملة حدثنا أبو عتبة الحمصي أحمد بن الفرج حدثنا ضمرة حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة قال : سمعت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز تقول : أف للبخل ، والله لو كان طريقاً ما سلكته ، ولو كان ثوباً ما لبسته .

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا العباس بن بكار الهذلي قال : قال الحسن : من أيقن بالتخلف جاد بالعطية .

ذكر الزجر عن ترك قبول الهدايا من الإخوان

حدثنا محمد بن صالح الطبري حدثنا عبد الله بن عمران الأصبهاني - بالري - حدثنا يحيى بن ضريس ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أجيبوا الداعي ، ولا تردوا الهدية ، ولا تضربوا المسلمين»

قال أبو حاتم رضى الله عنه : زجر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر عن ترك قبول الهدايا بين المسلمين .

فالواجب على المرء إذا أهديت إليه هدية أن يقبلها ولا يردها ، ثم يثيب عليها إذا قدر ، ويشكر عنها ، وإنى لأستحب للناس بعث الهدايا إلى الإخوان بينهم ، إذ الهدية تورث المحبة ، وتذهب الضغينة .

ولقد حدثنا محمد بن المهاجر ، حدثنا الدارمي ، حدثنا عبد الله بن صالح ،

أنيابنا الليث قال : سمعت عبد الملك بن رفاعة القهسي يقول : الهدية هو السَّحْر
الظاهر .

حدثني إبراهيم بن أبي أمية بطرسوس حدثنا حامد بن يحيى البلخي حدثنا
سفيان قال : لما قدم أبو حنيفة قال للناس مساور الوراق :

كنا من الذين قبل اليوم في سعة حتى يلينا بأحاب المقاييس
قوم إذا اجتمعوا صاحوا كأنهم ثعالب صَبَحَت بين النواويس

قال : فبلغ ذلك أبا حنيفة ، فبعث إليه بمال ، فقال مساور حين قبض المال :

إذا ما الناس يوما قايسونا بأبدة من الفتيا طريفة
أتيناهم بمقياس صحيح مصيب من طراز أبي حنيفة
إذا سمع الفقيه بها وعابها وأثبتها بحبر في صحيفة

وأنشدني الكريزي :

إن الهدية حلوة كالسحر تختلبُ القلوبا
تدني البعيد من الهوى حتى تصيره قريبا
وتعيد مضطفن العداوة بعد بغضته حبيبا
تفني السخيمة من ذوى العشجنا وتمتحن الذنوبا

أنيابنا الحسين بن إسحاق الأصبهاني - بالكرج - وإبراهيم بن محمد الدستوائي
بتستر قالوا : حدثنا محمد بن عبيد بن عتبة اليماني حدثنا بكار بن أسود العامري
حدثنا إسماعيل بن أبان قال : بلغ الحسن بن عمار أن الأعمش يقع فيه ، فبعث
إليه بكسوة ، فلما كان بعد ذلك مدحه الأعمش فقيل له : كيف تدمه ثم تمدحه ؟
قال : إن خيشمة حدثني عن عبد الله قال « إن القلوب جبلت على حب من أحسن
إليها ، وبغض من أساء إليها » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قال لنا هذان الشيخان عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنا أهابه ، قال : والبشر محبوبون على محبة الإحسان ، وكرهية الأذى ، واتخاذ المحسن إليهم حبيبا ، واتخاذ المسيء إليهم عدوا .

فالعاقل يستعمل مع أهل زمانه لزوم بعث الهدايا بما قدر عليه لاستجلاب محبتهم إياه ، ويفارق تركه مخافة بغضهم .

ولقد أنشدنى الأبرش :

هدايا الناس بعضهم لبعض تولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في الضمير هوى وودا وتكسوك المهابة والجلالا
مصايد للقلوب بغير آتق^(١) وتمنحك المحبة والجمالا

حدثني محمد بن سعيد القزاز حدثنا عبد الله بن لقمان البهراني النجراتي حدثنا موسى بن أيوب حدثنا خدش بن المهاجر عن الحسن بن دينار عن ابن سيرين قال : كانوا يتهادون الدراهم في الجواقات^(٢) والأطباق .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يستعمل الأشياء على ما يوجب الوقت ، ويرضى بنفاذ القضاء ، ولا يتمنى ضد ما رزق ، وإن كان عنده الشيء التافه لا يجب أن يمتنع من بذله لاستحقاقه واستقلاله ؛ لأن أهون ما فيه لزوم البخل والمنع ، ومن حقر شيئا منعه ، بل يكون عنده الكثرة والقلة في الحالة سيات ؛ لأن ما يورث الكثير من الخصال أورث الصغير بقدره من الفعال .

حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب عن الأصمعي قال : دخلنا على كهمس العابد ، فجاء بخمسة وعشرين بكرة حمراء ، فقال : هذا الجهد من أخيك ، والله المستعان .

(١) كذا بالأصل واللفظ والنقوب التعب

(٢) الجواقات : أوعية من الخيش ونحوه كالزكايب والأخراج ، واحدها جواق

وأشدنى ابن زنجى :

إن المنى عجبٌ لله صاحبها اهلٌ حَتَفَ امرىءَ فيما تنفاه
فإن ترى عبيراً فيهنَّ معتبرٌ يجرى بهما قدر ، فآله أجراه
لا تحقرنَّ من الإحسان محقرة أحسن ، فعاقبة الإحسان حسناه

حدثنا محمد بن أيوب بن مشكان - بطبرية قصة الأردن - حدثنا أبو عتبة
حدثنا سلمة بن عبد الملك العرضى حدثنا العاقى بن عمران قال : سمعت ميمون
يقول : من رضى من خلة الإخوان بلا شيء فليواخ أهل القبور .

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسى حدثنا محمد بن الوليد بن أبان العقيلي
حدثنا نعيم بن حماد قال : أنشدنى ابن المبارك :

ماذا طعمَ الفنى من لاقنوع له ولن ترى قاناسا معاش مفتقرا
والعرف من يأتاه يحمده عواقبه ماضاع عرف ، ولو أوليته حجرا
سمعت يوسف بن يونس القرغاني يقول : بعث أبو السنور الشاعر إلى
الأمير أبي الأشعث بطبق ورد يوم النيروز هدية ، وبعث إليه بهذه الأبيات :
بعثنا ببر تافه ، دون قدركم وماتبع الألفاظ للقل والكثر
ولكن ظرفاً أن تزيد مودة فهل تكرمنا بالقبول وبالعذر ؟
فلو كان يرى حسب ما أنت أهله أتاك إذا روى على طبق البر

سمعت عمر بن محمد الهمداني يقول : سمعت وزيره بن محمد النسائي يقول :
قدم بعض الكتاب السكر ، فأهدى إليه إخوانه ، وكان فيهم من قعدت به
الحال ، فوجه إليه بدقة وأشنان ، وكتب إليه : لو تمت الإرادة - جعلت فداك! -
ببلوغ النية فيه ، وملكتنى الجدة بسط القدرة لأتعبت السابقين إلى برك ،
ولبرزت أمام المجتهدين فى فضلك ، ولكن البضاعة قعدت بالهمة ، وقصرت عن
مساماة أهل النعمة ، وكرهت أن تطوى صحيفة البر ، وليس لى فيها ذكر ،

فوجهت إليك بالابتداء به لئنه وبركته ، وباحتتم به لطيبه ونفعه ، مقتصراً عن
 ألم التقصير فيه ، فأما ما سوى ذلك فالمعبر عنى فيه قول الله (٩ : ٩١) ليس على
 الضعفاء ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) والسلام .

حدثنا محمد بن يوسف الأرمي ، حدثنا إبراهيم بن عبد العزيز الموصلي ، حدثنا
 محمد بن علي بن الفضل المدني ، حدثنا عبد الله بن شبيب الزبيرى ، حدثنا محمد
 ابن إسحاق السبيعي عن القاسم بن المعتمر عن حميد بن معيوف عن أبيه قال « كنت
 ممن شهد الحكم بن حنطب بمنبج ، وهو يريد أن يموت ، وقد كان لقي من الموت
 شدة ، فقلت ، أو قال رجل : اللهم هَوِّنْ عليه الموت ، فلقد كان ، ولقد كان .
 فأثنى عليه ، فأفاق من غشيته ، قال : من المتكلم ؟ قال المتكلم : أنا . قال : إن
 ملك الموت يقول : إني بكل رجل سخي رفيق ، قال : ثم كأن فتيلة أطفئت
 فمات ، فبلغ ابن هرمة الشاعر موته ، فأشأ يقول :

سألا عن المجد والمعروف أين هما ؟ فقلت : إنهما ماتا مع الحكم
 ماتا مع الرجل الموفى بدمته يوم الحفاظ إذا لم يوف بالدم
 ماذا بمنبج لو تُنبش مقابرها من التهدم بالمعروف والكرم

حدثنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن موسى السمرى عن حماد بن إسحاق
 ابن إبراهيم عن أبيه قال : قيل للمغيرة بن شعبة : ما بقى من لذتك ؟ قال : الإفضال
 على الإخوان ، قيل : فمن أحسنُ الناس عيشاً ؟ قال : من عاش بعيشه غيره ، قيل :
 فمن أسوأ الناس عيشاً ؟ قال : من لا يعيش بعيشه أحد .

ذكر استحباب التفريج عن الناس بقضاء الحوائج

حدثنا أبو عمرو محمد بن محمود النسائي ، حدثنا حميد بن زنجويه ، حدثنا
 محاضر بن المورع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم « من نَفَسَ عن أخيه كَرْبَةً من كَرْبِ الدنْيَا نَفَسَ اللهُ عنه كَرْبَةً من كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، ومن يَسَّرَ على معسر ، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على المسلمين كافة نصيحة المسلمين والقيام بالكشف عن همومهم وكربهم ؛ لأن من نَفَسَ كَرْبَةً من كَرْبِ الدنْيَا عن مسلم نفس الله عنه كَرْبَةً من كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، ومن تَحَرَّى قضاء حاجته ولم يقصَّ قضاؤها على يديه فكأنه لم يقصر في قضاؤها ، وأيسر ما يكون في قضاء الخواص استحقاق الثناء ، والإخوان يعرفون عند الخواص ، كما أن الأهل تختبر عند الفقر ؛ لأن كل الناس في الرخاء أصدقاء ، وشر الإخوان الخاذل لإخوانه عند الشدة والحاجة ، كما أن شر البلاد بلدة ليس فيها خصب ولا أمن .

وأشدنى الكريزى :

خَيْرَ أَيَّامِ الْفَتَى يَوْمٌ نَفَعُ
وَاصْطَنَاعِ الْعُرْفِ أَبْقَى مَصْطَنَعُ
مَائِنَالِ الْخَيْرِ بِالْشَّرِّ ، وَلَا
يَحْصُدُ الزَّارِعُ إِلَّا مَا زَرَعَ
لَيْسَ كُلُّ الدَّهْرِ يَوْمًا وَاحِدًا
رَبَّمَا أَحْطَ الْفَتَى ، ثُمَّ ارْتَمَعَ
حدثنا محمد بن سليمان بن فارس ، حدثنا أحمد بن سعيد الدارمي ، حدثنا بشر بن عمر ، حدثنا الربيع قال : كان الحسن يقول « قضاء حاجة أخ مسلم أحب إلى من اعتكاف شهرين » .

وأشدنى على بن محمد البسامي :

سَابِقٌ إِلَى الْخَيْرِ وَبَادِرٌ بِهِ
فِيَّانَ مِنْ خَلْقِكَ مَا تَعْلَمُ
وَقَدَّمَ الْخَيْرَ ، فَكُلَّ امْرِي .
عَلَى الَّذِي قَدَمَهُ يَقْدَمُ
حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي ، حدثنا محمد بن موسى البصري ، حدثنا

الأصمعي ، حدثنا أبو معمر شبيب بن شذبة الخطيب قال : لما حضرت ابن سعيد ابن العاص الوفاة قال لبنيه « يا بني ، أيسم يقبل وصيتي ؟ فقال ابنه الأكبر : أنا قال : إن فيها قضاء ديني ، قال : وما دينك يا أبت ؟ قال : ثمانون ألف دينار ، قال : يا أبت قيم أخذتها ؟ قال : يا بني في كريم سددت خلتها^(١) ، ورجل جاءني في حاجة وقد رأيت السوء في وجهه من الحياء ، فبدأت بحاجته قبل أن يسألها » قال أبو حاتم رضي الله عنه : حقيق على من علم الثواب أن لا يمنع ما ملك من جاء أو مال إن وجد السبيل إليه قبل حلول النية ، فيبقى عن الخيرات كلها ، ويتأسف على ما فاتته من المعروف .

والعاقل يعلم أن من سحب النعمة في دار الزوال لم يحل من قدها ، وأن من تمام الصنائع وأنهاها إذا كان ابتداء من غير سؤال .

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن المهلب قال : دخل أبو العتاهية على الرشيد ، فقال : سل يا أبا العتاهية ، فقال :

إذا كان للنال يبذل وجهه فلا قرئت من ذاك النال
وأشدني عبد العزيز بن سليمان :

يبقى النساء وتنفد الأموال ولكل دهر دولة ورجال
مانال محمدة الرجال وشكرهم إلا الصبور عليهم الفضال

حدثني محمد بن عبدل بن المهدي الشعراي ، حدثنا محمد بن يزيد الطرسوسي حدثنا ابن عائشة قال : قال أبي « جاء رجل إلى يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، فقال له : هب لي شيئا ، قال : يا غلام أعطه مامعك ، فأعطاه عشرين ألفا ، فأخذها ليحمنها فقلت عليه ، فعمد بيكي ، فقال : ما بيكيك ؟ لعلك استقلتها فأزيدك ، قال : لا ، والله ما استقلتها ، ولكن بكيت على ما تأكل الأرض من كرمك ، فقال له يحيى : هذا الذي قلت لنا أكثر مما أعطيناك »

(١) الخلة ، بالفتح : الحاجة والفقر .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب الإلخاف عند السؤال في الخواص ؛ لأن شدة الاجتهاد ربما كانت سبباً للحرمين والمنع ، والطالب لله للاح كالضرب بالقداح : سهم له ، وسهم عليه ، فإن أعطى وجب عليه الحمد ، وإن منع لزمه الرضاء بالقضاء ، ولا يجب أن يكون السؤال إلا في ديار القوم ومنازلهم ، لا في المحافل والمساجد والملا ؛ لأن محمد بن محمود السائي ، حدثنا ، قال : حدثنا علي بن خشرم ، حدثنا جرير بن عبد الحميد الضبي عن حنيف المؤذن قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « لا تسألوا الناس في مجالسهم ومساجدهم فتفحشوم ، ولكن سلوهم في منازلهم ، فمن أعطى أعطى ، ومن منع منع » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الذي قاله عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه إذا كان المستول كريماً ؛ فإنه إن سئل الحاجة في نادى قومه ولم يكن عنده قضاؤها تشور وخجل ، وأما إذا كان المستول ثيباً ودفع المرء إلى مسألته في الحاجة نفع له ، فإنه إن سأله في مجلسه ومسجده كان ذلك أفضى لحاجته ؛ لأن اللئيم لا يقضى الحاجة ديانة ولا روية ، وإنما يقضيها إذا قضاها طلباً للذكر والمحمدة في الناس .

على أنى أستحب للعاقل أن لو دفعه الوقت إلى أكل القيد^(١) ومص الحصى ثم صبر عليه لكان أحرى به من أن يسأل لثيباً حاجة ؛ لأن إعطاء اللئيم شين ، ومنعه حثف .

وقد أنشدنى محمد بن عبد الله البغدادي :

إذا أعطى القليل فتى شريف فإن قليل ما يعطيك زين
وإن تكن العطية من دنى فإن كثير ما يعطيك شين

أبنا أحمد بن محمد بن الفضل السجستاني بدمشق ، حدثنا علي بن خشرم قال : سمعت سعيد بن مسلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي يقول : خرجت حاجاً فملت

(١) القيد : البر من الجلد تحصف به النعال .

المحمل ، فنزلت أسائر القطرَات ، فقال : أتانا أعرابي ، فقال لي : يافتي لمن الجمال بما عليها ؟ قلت : لرجل من باهلة . قال : يا لله أن يعطي الله باهليا كل ما أرى ، قال : فأعجبني ازدراؤه بهم ، ومعى صُرَّة فيها مائة دينار ، فرميت بها إليه ، فقال : جزاك الله خيرا ! وافقت منى حاجة ، فقلت : يا أعرابي ، أيسرك أن تكون الجمال بما عليها لك وأنت من باهلة ؟ قال : لا ، قلت : أفيسرك أن تكون من أهل الجنة وأنت باهلي ؟ قال : بشرط أن لا يعلم أهل الجنة أنى من باهلة . فقلت : يا أعرابي ، الجمال بما عليها لي وأنا من باهلة . قال : فرمى بالصُرَّة إلى ، فقلت : سبحان الله ! ذكرت أنها وافقت منك حاجة ، قال : ما يسرنى أن ألقى الله ولباهلي عندي يد ، فحدثت بها المأمون ، فجعل يتمعجب ويقول : ويحك ياسعيد ! ما كان أصبرك عليه .

حدثنا محمد بن الرقام بتستَرَّ حدثنا أبو حاتم السجستاني حدثنا الأصمعي حدثنا هشام بن القاسم قال : سألت سالم بن قتيبة حاجة ، فقضاها ، ثم سأته أخرى ، فاتهرنى وقال : حاجتين في حاجة ، أو قال : على الريق ؟ ثم دعا بالطعام ، فلما تغدى قال : هات حاجتك ، أما سمعت قول الصبيان :

إذا تغديت وطابت نفسى فليس في الحق غلام مثلى

* إلا غلام قد تغدى قبلى *

أبنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا مهدي بن سابق عن عطاء بن مصعب قال : قال أبو عمرو المنذرى : أتيت مسلم بن قتيبة في حاجة ، وكان له صديق من أهل الشام ، فكلمته أن يكلمه في حاجتى ، فجعل يقول : اليوم ، غداً ، فطال على ، فترأيت له ، وقد كان يعرفنى ، فدعاني فقال : أبا عمرو ، إنك لها هنا ؟ قلت : نعم أطالك بحاجة منذ كذا وكذا وسيلتى فيها فلان ، فضحك ، وقال : قد كنت أراك قد أحكت الآداب ، لا نستعن إلى من تطلب إليه حاجة بمن له

عنده طُعْمَةٌ : فإنه لا يؤثر على طعمته ، ولا تستمن بكذاب ؛ فإنه يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب ، ولا تستمن بأحق ؛ فإن الأحق يجهد لك نفسه ، ولا يكون عنده شيء ، ولا يبلغ لك ما تريد ، فأنصرفت فقلت : يكفيني هذا ، قال : لا ، ولكن تقضى لك حاجتك ، فقضاها .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للعاقل أن يتوسل في قضاء حاجته بالعدو ، ولا بالأحق ، ولا بالفاسق ، ولا بالكذاب ، ولا بمن له عند المسئول طعمة ، ولا يجب أن يجعل حاجتين في حاجة ، ولا أن يجمع بين سؤال وتقاضٍ ، ولا يظهر شدة الحرص في اقتضاء حاجته ، فإن الكريم يكفيه العلم بالحاجة دون المطالبة والاقتضاء .

واقعد أنشدني منصور بن محمد الكريزي :

وإذا طلبت إلى كريم حاجة فاصبر ، ولا تكُ للوطال مَلُولًا
لا تُظهِرَنَّ شَرَّهَ الحريص ، ولا تكن عند الأمور إذا نهضت ثقيلًا

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي العزمي :

وإذا طلبت إلى كريم حاجة فحضوره يكفيك والتسليم
فإذا رآك مسلما عرفَ الذي حملته فكأنه ملزوم

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يتسخط ما أعطى ، وإن كان تافهًا ؛ لأن من لم يكن له شيء فكل شيء يستفيده ربح ، ولا يجب أن يسأل الحاجة كل إنسان ؛ فرب مهروب منه أضع من مستغاث إليه ، ولا يجب أن يكون السائل متشفعًا لآخر ؛ لأن من لم يقدر على أن يسبح فلا يجب أن يحمل على عنقه آخر ، ومن سئل فليبدل ؛ لأن مال المرء نصفان ، له ما قدم ، ولوارثه ما خلف ، وأقرب الأشياء في الدنيا زوال المال والولاية ، والتعاهد للصنيفة

بالتحفظ عليها أحسن من ابتدائها ، ومن غرس غراساً فلا يضمن بالنفقة على
تربيته ، فذهب النفقة الأولى ضياعاً .

حدثني محمد بن أبي علي الخلابي حدثني محمد بن أبي يعقوب الرعي حدثنا
عبد الكريم بن محمد الموصلي حدثنا أبي قال : سمعت أبا تمام حبيب بن أوس الطائي
يقول : وقعت على باب مالك بن طوق الرحبي أشهراً فلم أصل إليه ، ولم يعلم
بمكاني ، فلما أردت الانصراف قلت للحاجب : أتأذن لي إليه أم أنصرف ؟
قال : أما الآن فلا سبيل إليه ، قلت : فيأصل رقعة ، قال : لا ، ولا يمكن هذا ،
ولكن هو خارج اليوم إلى بستان له فاكتب الرقعة وارم بها في موضع أرانيه
الحاجب ، فكتبت :

لعمري ، ائن حَجَبْتَنِي العبيد عنك ، فلم تحجب العافية
سأرى بها من وراء الجدا ر شعاء تأتيك بالداهية
تصم السميع ، وتعمى البصير ومن بعدها تسأل العافية

فكتبت بها ورميت بها من المكان الذي أرانيه الحاجب فوقعت بين يديه ،
فأخرجها ، فنظر فيها ، فقال : على بصاحب الرقعة ، فخرج الخادم ، فقال : من
صاحب الرقعة ؟ قلت : أنا ، فأدخلت عليه ، فقال لي : أنت صاحب الرقعة ؟
قلت : نعم ، فاستنشدني ، فأنشدته ، فلما بلغت — ومن بعدها تسأل العافية —
قال : لا ، بل نسأل العافية من قبلها ، ثم قال : حاجتك ، فأنشأت أقول :
ماذا أقول إذا انصرفت ، وقيل لي : ماذا أصبت من الجواد المفضل ؟
إن قلت : أغصابي كذبت ، وإن أقل : ضنَّ الجواد بماله ، لم يمسلم
فاختر لنفسك ما أقول ، فإنني لا بد أخبرهم ، وإن لم أسأل
فقال : إذا والله لا أختار إلا أحسنها ، كم أقت بيابي ؟ قلت : أربعة أشهر ،
قال : يعطى بعدد أيامه ألوفا ، فقبضت مائة وعشرين ألف درهم .

سمعت محمد بن نصر بن نوفل بقول يقول : سمعت أبا داود السنجي يقول :
كان ببغداد رجل يقال له ابن الهفت ، فر يوماً على سائل واقف على الجسر ،
وهو يقول : اللهم ارزق المسلمين حتى يعطوني ، فقال له : تسأل ربك الحوالة ؟

ذكر الحث على إعطاء السؤال وطلب المعالي

حدثنا محمد بن صالح الطبري بالصيغة حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء
الهمداني حدثنا مصعب بن المقدام حدثنا سفيان عن محمد بن النسكر عن
جابر قال « ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا ، ولا ضرب بيده
شيئاً قط »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إني لأستحب للمرء طلب المعالي من
الأخلاق ، مع ترك رد السؤال ؛ لأن عدم المال خير من عدم محاسن الأخلاق ،
والندامة موكلة بترك معاملة الفرصة ، وإن الحرَّ حقَّ الحر من أعتقته الأخلاق
الجميلة ، كما أن أسوأ العبيد من استعبده الأخلاق الدنية ، ومن أفضل الزاد في
المعاد اعتقاد الحمد الباقية ، ومن لزم معالي الأخلاق أنتج له سلوكها فراخاً
تطير بالسرور .

ولقد حدثني محمد بن سعيد القزاز حدثنا هارون بن صدقة القاضي حدثنا
المسيب بن واضح يقول : سمعت يوسف بن أسباط يقول : ما كان المال مُذْ
كانت الدنيا أنفع منه في هذا الزمان .

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

بأدر هواك إذا همتَ بصالح خوف العوائق أن تجيء فتغيب
وإذا همتَ بسيء فتعدَّه وتجنب الأمر الذي يتجنب

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ما ضاع مال ورث صاحبه مجداً ، ولولا

المتفضلون مات المتجملون ، وليس يستحق المرء اسم الكرم بالكف عن الأذى إلا أن يقرنه بالإحسان إليهم ، فمن كثرت في الخير رغبتة ، وكان اصطناع المعروف همته ، قصده الراجون ، وتأمله المتأملون ، ومن كان عيشه وحده ولم يعش بعيشه غيره فهو - وإن طال عمره - قليل العمر ، والبائس من طال عمره في غير الخير ، ومن لم يتأس بغيره في الخير كان عاجزاً ، كما أن من استحسن من نفسه ما يستقبحه من غيره كان كالفاسق لمن تحب عليه نصيحته ، ومن لم يكن له همّة إلا بطنه وفرّجه عدّه من البهائم ، والهمة تبلغ الرتبة العانية ؛ لأن الناس يهتمهم .

وقد حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة قال : قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان : كان لي خال من كلب ، فكان يقول لي : يا عبيد الله ، هم ؛ فإن الهمّة نصف المروءة .

وأشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

قد بلونا الناس في أخلاقهم فرأيناهم لدى المال تبع
وحبيب الناس من أطمعهم إنعسا الناس جميعاً بالطمع

حدثنا عمر بن حفص البزار - بمجنديسابور - حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا الحسن بن واقع الرملي حدثنا ضمرة بن ربيعة ، قال : سمعت كديراً أبا سليمان الضبي يقول « كان تقصر إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ثمانية أبواب من حيث جاء السائل أعطى »

حدثنا محمد بن أحمد الرقام - بقستر - حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا أبو مسهر حدثنا سعيد بن عبد العزيز أن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم : سمع رجلاً إلى جنبه يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم ، فأنصرف فبعث بها إليه .

وأشدني الكريزي :

لا تحقرن صنيع الخير تفعله ولا صغير فعال الشر من صفه
فلو رأيت الذي استصغرت من حسن عند الثواب أطلت العجب من كبره
سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله الثماني يقول : سمعت صالح بن آدم يقول :
أشد إنسان عند عبد الله بن جعفر هذين البيتين :

إن الصنعة لا تكون صنعة حتى يصاب بها طريق المصنع

فإذا صنعت صنعة فأعمد بها لله ، أو لذوي القرابة ، أودع

فقال عبد الله بن جعفر : إن هذين البيتين يبخلان الناس ؛ ينبغي لمن عمل
بهذا أن يدعو لمن طلب حاجة بالبينة ، بل ثبت الصنائع ويرعى بها مواضع القطر
حيث حلت ، وفي مثله يقول العتابي :

له في ذوى المعروف نعمى ، كأنه مواقع ماء القطر في البلد القفر

إذا ما أتاه السائلون لحاجة علته مصابيح الطلاقة والبشر

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي حدثنا أحمد بن مسروق حدثني ابن
أبي سعيد عن شيخ له قال : رأيت ابن المبارك يعرض يد خادم له ، فقلت له :
تعرض يد خادمك ؟ قال : كم أمره أن لا يعد الدرهم على السؤال ، أقول له :
أحس لهم حثوا .

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن القاسم عن
عن أبيه قال : قال إبراهيم بن أبي البلاد : حدثني أخى قال : رأيت الحجاج بمنى
في عمله على العراق ، وقام إليه رجال من أهل الحجاز يسألونه ، فقال : توهمتم
بنا أننا بغير بلادنا ومالك مترك ، من هاهنا من أهل العراق ؟ فقام إليه تجار
أهل العراق ، فقال : هل من سلف ؟ فقالوا : نعم ، فحملوا إليه ألف ألف درهم ،
فقسمها ، فلما قدم العراق ردها ، وأكثر ظني أنها ومثلها معها .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يبدأ بالصنائع
والإحسان الأقرض فالأقرض ، يبدأ بأهل بيته ، ثم بإخوانه وجيرانه ، ثم
الأقرب فالأقرب ، ويتحرى المعروف والإحسان في أهل الدين والعلم منهم ،
ويحْتَبِضُ ضد ما قلنا ؛ لأن مثل من لم يفعل ما أومأنا إليه كما أنشدنى الحسين
ابن أحمد البغدادي :

تصول على الأدنى ، وتحتب العدا وما هكذا تُبَنَى المكارمُ يا يحيى
فكنتَ كفعل السوء ينزو بأمه ويترك باقي الخليل سائمة ترعى
وأنشدنى البسامي :

وكنت كهريق الذي في سقائه لرقراق ماء فوق رابية صلد
كرضعة أولادٍ أخرى ، وضَيِّمت بنى بطنها ، هذا الضلالُ من القصد

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل ينتدئ بالصنائع قبل أن يسأل ؛ لأن
الابتداء بالصنيعة أحسن من المكافأة عليها ، والإمسالك عن التعرض خير من
البذل ، والصنائع إنما تحسن بآتمامها ، والتعافظ عليها بعدها ؛ لأن بصلاح الخواص
تزكو الأوائل ، والعطية بعد المنع أجمل من المنع بعد العطية ، والناس في الصنائع
على ضربين : شاكر ، وكافر ، ولقد أنشدنى بعض إخواننا :

وما للناس في حسن الصنيعة عندهم وفي كفرهم إلا كبعض المزارع
فزرعة طابت وأضعف ريعها ومزرعةٌ كُذتْ^(١) على كلِّ وارع
وأنشدنى محمد بن عبد الله البغدادي :

ومن يَضَعُ المعروف في غير أهله يكن ضائعا في غير حمد ولا أجر
وحسب امرئ من كفر نَعَى جُجودها إذا وقعت عند امرئ غير ذى شكر

(١) أي منعت وخيبت ظن الزارع ، وأصله من الكدية ، وهي القطعة
العليقة الصلبة من الأرض لا يعمل العاس فيها .

وأشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

لعمرك ما المعروف في غير أهله وفي أهله إلا كبعض الودائع
فستودع ضائع النسي كان عنده ومستودع ما عنده غير ضائع
قال أبو حاتم رضي الله عنه : امتح من الناس إذا أحسن إليه يرى ذلك
استحقاقا منه له ، ثم يرى الفضل لنفسه على المحسن إليه ، فلا يحمد عند الخير ،
ولا يشكر عند البر ، ويتعجب ممن يشكر ، ويذم من يحمد ، وإذا امتحن العاقل
يثل من هذا فته استعمل معه ما أشدني الكريزي :

إن ذا اللوم إذا أكرمه حَسِبَ الإكرام حقالزمك
فأهنه بهوان : إنه إن تُهنه بهوان أكرمك
وأشدني الأبرش :

إذا أوليتَ معروفاً لئياً يَعدُّك قد قتلتَ له فتيلاً
فكن من ذلك معتذراً إليه وقل : إني أتيتك مستقيلاً
فإن تغفر ، فبجرتي عظيم وإن عاقبت لم تظلم فتيلاً
ولست بعائد أبداً لهذا وقد حَلَّتْني حِمْلاً ثَقِيلاً
قال أبو حاتم رضي الله عنه : أهنأ الصنائع وأحسنها في الحقائق ، وأوقمها
بالقلوب ، وأكثرها استدامة للنعم ، واستدفاعاً للنعم ، ما كانت خالية عن المن في
البداء والنهاية ، متعربة عن الامتنان ، وهو الغاية في الصنعة ، والنهاية في
الإحسان .

ولقد أشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

أحسن من كل حسن في كل وقت وزمن
صنعة . مهوبة خالية من المن

حدثنا محمد بن غدار بن محمد الحارثي بالبصرة حدثنا سهل بن زادويه حدثنا

محمد بن أبي الدوامي عن أبيه قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

ما أحسن الدنيا وإقبالها إذا أطاع الله من نالها

من لم يؤاس الناس من فضلها عرض للإدبار إقبالها

فاحذر زوال الفضل يا حائراً واعط من الدنيا لمن سالها

فإن ذا العرش سريع الجزاء يخلف بالحيلة أمثالها

حدثنا محمد بن المهاجر حدثنا محمد بن أحمد بن النضر المعنى حدثني سعيد

حدثني أبوك - يعني أباه أحمد بن النضر - قال : كان بالكوفة قوم من العرب ،

فأصابت رجلاً منهم حاجة ، فكان عياله يغزلون ويبيعون ، وكان بشرهم ،

فقالوا : لا تعود علينا بشيء ، وما نكسب تشركنا فيه ، فأبى من قولهم ، فخرج

يؤم بغداد ، ولم يدخل بغداد قبل ذلك ، وليس له حميم ولا قريب بها ، فدخلها

ومر على وجهه ، فرى على باب يعقوب بن داود كاتب المهدي ، فرأى قوما جلوساً

عليهم بزرة فقال : ما أخلق هؤلاء دعوا إلي وليمة ، لو دخلت معهم لعلني أصيب

شبهة ، فاندس معهم ، فخرج الإذن ، فقال : ادخلوا ، فدخلوا إلى دار قوراء

كبيرة ، وإذا بهو في صدر الدار ، فجلسوا في البهو بمنة ويسرة ، وأخلوا الصدر

فجاء يعقوب فسلم عليهم وقعد ، ثم قال : يا غلام ، هات ، فجاء بصوانٍ عليها

مناديل مغطى بها ، وإذا فيها أكياس ، فقال : أعطهم ، فوضعوا في حجر كل

رجل منهم كيساً ، ووضعوا في حجري كيساً حتى فرغ منهم ، ثم قال : أعد

عليهم ، فوضع في حجر كل رجل منهم كيساً ، ووضعوا في حجري كيساً حتى

والى بين خمسة أكياس ، ثم قال : قوموا مبارك لكم ، وقد تعينه الخدم ، وليس

له عندهم اسم ولم يعرفوه : فلما بلغ الدهليز ربطوه فصاح وصاحوا ، وسمع يعقوب

الصوت ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : رجل دخل مع هؤلاء القوم لانعرفه ، فقال :

علي به ، فقال له : يا عبد الله ، ما أدخلت هذه الدار ؟ فقص عليهم القصة والسبب

الذي دخل له ، فقال له : من أين أنت ؟ قال : من أهل الكوفة ، قال : من يعرفك بالكوفة ؟ قال : يعرفني فلان وفلان ، فسعى له قوما يعرفهم ، فقال : خلوا عن الرجل ، إنا كاتبون إلى هؤلاء القوم : فإن كان الأمر على ما ذكرت ، فتمال كل سنة في هذا الوقت ، ولك عندما مثل هذا ، وكتب إلى القوم ، فسألهم فكتبوا بمعرفة ، فكان يحيى أيام حياته فيأخذ خمسة آلاف وينصرف

ذكر الحث على الضيافة وإطعام الطعام

حدثنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي ببغداد حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو الأحوص عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إني لأستحب للعامل المداومة على إطعام الطعام والمواظبة على قرى الضيف : لأن إطعام الطعام من أشرف أركان التدي ، ومن أعظم مراتب ذوى الحجي ، ومن أحسن خصال أولى النهى ، ومن عرف بإطعام الطعام شرف عند الشاهد والغائب ، وقصده الرضى والغائب ، وقرى الضيف يرفع المرء ، وإن رقَّ نسبه إلى منتهى بنيته ونهاية محبته ، ويشرّفه برفيع الذكر وكال الذخر .

حدثنا محمد بن زنجويه القشيري حدثنا أبو مصعب حدثنا الدروردي عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : كان إبراهيم الخليل أول من أضاف الضيف

حدثنا الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب حدثنا الأصبغى أخبرني نافع بن أبي نعيم قال : قال رجل ممن قد أدرك الجاهلية « قدمت

المدينة ، فاذا مناد ينادى : من أراد الشحم واللحم فليأت دار دُليم ، وهو جد سعد ابن عبادة بن دليم سيد الخزرج ، ثم ضرب الزمان من ضربه ، فقدمت المدينة ، فاذا مناد ينادى : من أراد الشحم واللحم فليأت دار عبادة ، ثم ضرب الزمان من ضربه فقدمتها ، فاذا مناد ينادى : من أراد الشحم واللحم فليأت دار سعد .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : كل من ساد في الجاهلية والإسلام حتى عرف بالسؤدد ، وانقاد له قومه ، ورحل إليه القريب والقاصي ، لم يكن كمال سؤوده إلا بإطعام الطعام ، وإكرام الضيف

والعرب لم تكن تعدُّ الجود إلا قري الضيف ، وإطعام الطعام ، ولا تعد السخى من لم يكن فيه ذلك ، حتى إن أحدهم ربما سار في طلب الضيف الليل واليلين .

وقد حدثني محمد بن المنذر حدثنا علي بن الحسن الفلستيني حدثنا أبو بكر السني حدثنا محمد بن سليمان القرشي قال : بينما أنا أسير في طريق اليمن إذا أنا بغلام واقف على الطريق في أذنيه قرطان ، وفي كل قرطة جوهرة بيضى ، وجهه من ضوء تلك الجوهرة ، وهو يمجّد ربّه بأبيات من شعر ، فسمعتة يقول :

ملكٌ في السماء به افتخاري عزيزُ القدر ليس به خفاء
قد نوت إليه ، فسلمت عليه ، فقال : ما أنا براد عليك سلامك حتى تؤدى من حتى الذى يجب لى عليك ، قلت : وما حقاك ؟ قال : أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل ، لا أتعدى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير لليل واليلين فى طلب الضيف ، فأجبتة إلى ذلك ، قال : فرحّب بى وسرت معى حتى قربنا من خيمة شعر ، فلما قربنا من الخيمة صاح : يا أختاه ، فأجابتة جارية من الخيمة يالبيسكاه قال : قومى إلى ضيفنا هذا ، قال : فقالت الجارية : اصبر حتى أبدأ بشكر المولى الذى سبب لنا هذا الضيف ، قال : قامت وصلت ركعتين شكراً لله ، قال :

فأدخلني الخيمة ، فأجلسني ، فأخذ الغلام الشفرة ، وأخذ عناقاً له ليذبحها^(١) ، فلما جلست في الخيمة نظرت إلى جارية أحسن الناس وجهاً ، فكنت أسارقها النظر ، ففطنت لبعض لحظاتي ، فقالت لي : مه ، أما علمت أنه قد نقل إلينا عن صاحب يثرب - تعني النبي صلى الله عليه وسلم - أن « زَيْ العَيْنين النظر » أما إني ما أردت بهذا أن أوبخك ، وإنما أردت أن أؤدبك لكيلا تعود لمثل هذا ، فلما كان وقت النوم بثتُ أنا والغلام خارج الخيمة ، وباتت الجارية في الخيمة ، قال : فكنت أسمع دويّ القرآن الليل كله أحسن صوت يكون وأرقه ، فلما أن أصبحت قلت للغلام : صوت من كان ذلك ؟ قال : فقال : تلك أختي تحيي الليل كله إلى الصباح ، قال : فقلت : يا غلام أنت أحتق بهذا العمل من أختك ، أنت رجل وهي امرأة ، قال : فتبسم ، ثم قال : ويحك يافتي ! أما علمت أنه موفق ومخذول .

وأشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

إذا ما أتاك الضيفُ فابداً بحقه قبل العيال ، فإنَّ ذلك أصوب^(٢)
وعظّم حقوق الضيف واعلم بأنه عليك بما توليه ممن وذاهب

أبناؤنا أحمد بن قريش بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلي عن الحسن بن عيسى بن ماسرجس قال : صحبت ابن المبارك من خراسان إلى بغداد فما رأيته أكل وحده .

حدثني محمد بن عثمان العقبى حدثنا أبو أمية حدثنا عصام بن عمرو أبو حميد الطائي حدثنا عمرو بن هانيء قال : كان رافع بن عميرة بن عمرو السبسي - فخذ من طيء - يُفدّي أهل ثلاثة مساجد ، ويعشيهم ، يوماً بثراند ، ويوماً برطبة ، يعني الحبس . وماله قميص إلا قميص هو لجمته وهو للبيت .

(١) الشفرة - بالفتح - السكين . والعناق - بوزن السحاب - الأثني من ولد العز

(٢) عجز هذا البيت لا يستقيم مع صدره ولا مع ما بعده

قال أبو حاتم رضى الله عنه : يجب على العاقل ابتغاء الأضياف ، وبذل الكسبر ؛ لأن نعمة الله إذا لم تُصن بالقيام في حقوقها ترجع من حيث بدأت ، ثم لا يرفع من زالت عنه التلطف عليها ، ولا الإفكار في الظفر بها ، وإذا أدى حق الله فيها استجلب النماء والزيادة ، واستدخر الأجر في القيامة ، واستقصر إطعام الطعام .

وعنصر قرى الضيف هو ترك استحقاق القليل ، وتقديم ما حضر للأضياف ؛ لأن من حقر منع ، مع إكرام الضيف بما قدر عليه ، وترك الادخار عنه .

واقعد حدثني كامل بن مكرم حدثنا محمد بن يعقوب الفرجي حدثنا الوليد ابن شجاع حدثنا عتبة بن علقمة ومبشر بن إسماعيل أنهما سألا الأوزاعي : ما إكرام الضيف ؟ قال : طلاقة الوجه ، وطيب الكلام .

وأشدني الكريزي في قوم لم يكونوا يضيفون :

أقاموا اللدديبان على بفاع^(١) وقالوا : لا تم للديديبان

إذا أبصرت شخصاً من بعيد فصفق بالبنان على البنان

ترام خشية الأضياف خرساً يصلون الصلاة بلا أذان

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أبخل البخلاء من بخل بإطعام الطعام ، كما أن من أجود الجود بذله ، ومن صن بما لا بد للجنة منه ، ولا تربو النفس إلا عليه : كان بغيره أبخل ، وعليه أشح .

ومن إكرام الضيف طيب الكلام ، وطلاقة الوجه ، والخدمة بالنفس ، فإنه لا يدك من خدم أضيافه ، كما لا يعز من استخدمهم ، أو طلب لقراءه أجراً .

وأشدني كامل بن مكرم أنشدني محمد بن سهيل :

وإني لطلق الوجه للمبتغى القرى وإن فسأني القرى لرحيب

(١) البفاع : الأرض المرتفعة .

أضاحك ضيق عند إنزال رحله فيخصبُ عندي ، والمحلُّ جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثُر القِرَى ولسكنا وجه الكريم خصب
وأشدنى الأبرش :

لا تبخلنَّ بدنيا ، وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولتْ فأحرى أن تجود بها فالحد منها إذا ما أدبرت خلفُ

أبناؤنا الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا العقبى عن أبي مخنف لوط بن يحيى
حدثني هشام بن عروة عن أبيه : أن قيس بن سعد بن عبادة خرج من مصر ،
فر بأهل بيت من القَيْنِ فنزل بهم ، فنحرم لهم المنزل جزوراً وأنام به ،
فقال : دونكم ، فلما كان من الغدٍ نحروا لهم آخر ، ثم حبستهم السماء اليوم
الثالث ، فنحروا لهم مثله ، فلما أراد قيس أن يرتحل وضع عشرين ثوباً من ثياب
مصر وأربعة آلاف درهم عند امرأة الرجل ، وخرج قيس ، فاحسار إلا قليلاً
حتى أتاه صاحب البيت على فرس كريم ورمح طويل ، وقدامه الثياب والدرهم ،
فقال : يا هؤلاء ، خذوا بضاعتكم عني ، قال قيس : انصرف أيها الرجل ، فإننا لم
نكن لناخذها ، فقال الرجل : لتأخذنَّها ، أو لا ينفذ منكم رجل ، أو تذهب
نفسى ، فعجب قيس منه ، وقال : لِمَ ؟ الله أبوك ! ألم تكرمنا وتحسن إلينا ؟
فكافأناك ، ما في هذا من بأس ، فقال الرجل : إنا لا نأخذ القري ابن السبيل
وقري الضيف ثمناً ، لا والله لا أفعل أبداً ، قال لهم قيس : أما إذ أبي أخذوها
منه ، فأخذوها ، ثم قال قيس : ما فضلنى ^(١) رجل غير هذا .

حدثني أحمد بن عمرو الزبقي بالبصرة حدثنا الحسن بن مدرك السدوسي
حدثنا عبد العزيز بن عبد الله القرشي حدثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب
قال : لأن أشبع كبداً جامعة أحب إليَّ من حجة بعد حجة .

(١) فضلنى : زاد على في الفضل وأرى .

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثني عيسى بن أبي موسى الأنصاري حدثني
أبي حدثنا أحمد بن بشير عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كان من دعاء قيس
ابن سعد بن عبادة « اللهم ارزقني مالا وفعالا ، فإنه لا يصلح الفعال إلا بالمال » .

ذكر الحث على المجازاة على الصنائع

حدثنا الفضل بن الحباب الجمحي حدثنا عبد الرحمن بن بكر بن الربيع
ابن مسلم ، قال : سمعت الربيع بن مسلم يقول : سمعت محمد بن زياد يقول : سمعت
أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لا يشكر الناس
لا يشكر الله » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على من أهدى إليه معروف أن يشكره
بأفضل منه أو مثله ، لأن الإفضال على المعروف في الشكر لا يقوم مقام ابتدائه
وإن قلَّ ، فمن لم يجد فليثن عليه ؛ فإن الثناء عند العدم يقوم مقام الشكر
للمعروف ، وما استغنى أحد عن شكر أحد .

ولقد أنشدني محمد بن زنجي البغدادي :

فلو كان يستغنى عن الشكر ماجد لِعِزَّةِ مُلْكٍ ، أو علوِّ مكان
لما أمر الله العباد بشكره فقال : اشكروني أيها الثقلان
وأنشدني الكريزي :

إذا المرء لم يشكر قليلا أصابه فليس له عند الكثير سُكُور
ومن يشكر المخلوق بشكر لربه ومن يكفر المخلوق فهو كفُور

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

حافظ على الشكر كي تستجزل القيسا مَنْ ضَيَّعَ الشكر لم يستكمل النعما
الشكر لله ككنز لانفاد له من يلزم الشكر لم يكسب به ندما

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الفلاني حدثنا العقبى قال : مر سعيد بن العاص
بدار رجل بالمدينة فاستسقى فسقوه ، ثم مر بعد ذلك بالدار ومناد ينادى عليها
فيمن يزيد ، فقال لمولاه : سأل لم تباع هذه ؟ فرجع إليه فقال : على صاحبها دين ،
قال : فارجع إلى الدار ، فرجع ، فوجد صاحبها جالسا وغريمه معه ، فقال : لم تباع
دارك ؟ قال : لهذا على أربعة آلاف دينار ، فنزل وتحدث معهما ، وبث غلامه
فأثاه ببدره فدفع إلى الغريم أربعة آلاف ، ودفع الباقي إلى صاحب الدار وركب
ومضى .

وأشدني المنتصر بن بلال :

ومن يسد معروفا إليك ، فكن له
ولا تبخلن بالشكر ، والقرض فأجزه
تكن خيرا مصنوع إليه وصانع
وأشدني بعض أهل العلم :

فكن شاكرا للنعمين لفضلهم
ومن كان ذا شكر فأهل زيادة
وأشدني الكريزي :

أحق الناس منك بحسن عون
وأشكرهم أحقهم جميعا
لمن سلفت لكم نعم عليه
بحسن صنيعه منكم إليه

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحر لا يكفر النعمة ، ولا يتسخط المصيبة ،
بل عند النعم يشكر ، وعند المصائب يصبر ، ومن لم يكن لقليل المعروف عنده وقع
أوشك أن لا يشكر الكثير منه ، والنعم لا تستعجل زيادتها ولا تدفع الآفات
عنها إلا بالشكر لله جل وعلا ، ولن أسداها إليه .

ولقد حدثني أحمد بن محمد القيسي حدثني محمد بن المنذر حدثنا إسحاق بن
إبراهيم القرشي قال : سمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى يقول : ماتت لعبيد بن معمر

بنت ، فقعده في المأتم في مسجده في سكة سيانوش ، فجاء عبيد الله بن أبي بكره معزيا ، وإذا الأشراف قد أخذوا مواضعهم ، فنظر إليه رجل قد كان سبق إلى مجلسه مع الأشراف قد عرفه ، فقام قائما ، وجعل يقول له : ههنا ، حتى أخذ بيده فأقده في مجلسه ، ثم ذهب فقعده في أخريات الناس ، فأمر عبيد الله غلاما كان معه أن يتعاهده إلى قيامه ، فلما قام دعا الرجل ، فقال : أتعرفني ؟ قال : نعم ، قال : من أنا ؟ قال أنت عبيد الله بن أبي بكره صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فما حلتك على تركك مجلسك لي ؟ قال : إجلالا لولد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أوجب الله على أمثالي خصوصا من التبجيل ، فقال له عبيد الله : هل لك على أن تصحبنا إلى ضيعة نريد أن نصير إليها ؟ قال : نعم ، قال : فصحبه الرجل إلى تلك الضيعة في نهر مكحول ، ضيعة فيها ثلاثمائة جريب نخل ، وعلى وجه الضيعة قصر بني بآجر وجص وخشب ساج ، فلما دخل الضيعة أخذ عبيد الله بيد الرجل وجعل يدور به في تلك النخيل ، فقال للرجل : كيف ترى هذه الضيعة ؟ قال : تالله ما رأيت نخيلا أحسن منها ، ولا أكثر ثمرة ، ولا أسرى ضيعة منها ، قال : قد جعلناها لك بما فيها من الخدم والآلة نبث إليك بصكها ، قال : فاستطار الرجل فرحا وبكاء ، وقال : أنعشتني وأنعشت عيالي ، فقال عبيد الله : وكم لك من العيال ؟ قال : ثلاثة عشر نفسا ، قال : فإني قد جعلت اسم عيالك في اسم عيالي ، أنفق عليهم ما عشت ، فقال له عبيد الله : من تكون له مثل هذه الضيعة يحتاج أن يكون منزله في سرّة البصرة ، إذا صرنا إلى منزلنا فأخذ علينا نأمر بك بشراء دار تشبه هذه الضيعة ورأس مال وخدم تصالح للبارك تعيش بها إن شاء الله ، قال : فقدا الرجل عليه ، فأمر له بشراء دار بخمسة آلاف دينار ، وأعطاه عشرة آلاف دينار ، ودفع إليه صك الضيعة ، وأمر له بداية وبخل وسائس وكسوة وصرفه .

وأنشدني الأبرش :

الشكر يفتح أبوابا مغلقة لله فيها على من رame نَمَّ
فبادر الشكر ، واستغلق وثائقه واستدفع الله ما تجرى به النقم

حدثنا أحمد بن الحسن المدائني بمصر قال : سمعت الربيع بن سليمان يقول :
أخذ رجل بركاب الشافعي ، فقال : ياربيع أعطه أربعة دنانير ، قال : فأعطيته إياها .

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب :

ومن يشكر العرف الصغير فإنه سيني ، ويَجْتَرُّ المزيذ أصاغره
ومن يشكر المعروف يحمده إلهه ويضمف أضعافاً على الحمد شاكره

وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

وإذا اصطنعت إلى أخيه لك صنيعه ، فأنس الصنيعه
والشكر من كرم القتي والكفر من لؤم الطبعه
والصبر أكرم صاحب فأصعبه إن نزلت فبيعه

حدثنا أحمد بن قريش بن بشر بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلي
حدثنا أحمد بن خليل حدثنا يحيى بن أيوب عن أبي عيسى قال : كان إبراهيم
ابن آدم إذا صنع إليه أحد معروفًا حرص على أن يكافئه ، أو يفضل عليه ، قال
أبو عيسى : فلقيني وأنا على حمار ، وأنا أريد بيت المقدس ، جئت من الرملة ، قال :
وقد اشترى بأربعة دنانير تفاعاً وسقراً جلاً وخوخاً وفاكهة ، فقال : يا أبا عيسى ،
أحب أن تحمل هذا ، قال : وإذا عجوز يهودية في كوخ لها ، فقال : أحب أن
توصل هذا إليها ، فانتى مررت وأنا ممس ، فبيتنتي عندها ، فأحب أن أكافئها
على ذلك .

وأنشدني الكريزي :

يدُ المعروف عنم حيث تُسدى تحملها شكورٌ ، أم كفورٌ
كفى شكر الشكور لها جزاء وعند الله ما كفر الكفور

وأنشدني بعض أهل العلم :

رهنتُ يدي للعجز عن شكرِ برِّه وما فوق شكري للشكور مزيد

ولو كان شيء يستطيعُ استطعته ولكنَّ ما لا يستطيعُ شديدُ

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على المرء أن يشكر النعمة ، ويحمد

المعروف على حسب وسعه وطاقته ، إن قدر فبالضعف ، وإلا فبالمثل ،

والا فبالمعرفة بوقوع النعمة عنده ، مع بذل الجزاء له بالشكر ، وقوله : جزاك الله

خييرا ، فمن قال له ذلك عند العدم فكأنه أبلغ في الثناء .

ومن الناس من يكفر النعم ، وكفران النعم يكون من أحد رجلين : إما

رجل لا معرفة له بأسباب النعم والمجازاة عليها ، لما لم يركب فيه من التفقد لمراعاة

العشرة ، فإذا كان كذلك وجب الإغضاء عنه ، وترك المناقشة على فعله ، والرجل

الآخر : أن يكون ذا عقل لم يشكر النعمة ، استخفافا بالنعم ، واستحقارا للنعمة ،

وتهاونا في نفسه لها أو لأحدهما ، فإذا كان كذلك يجب على العاقل ترك العود

إلى فعل مثله ، والخروج باللائمة على نفسه إذا كان له خيرة به .

وأنشدني علي بن محمد :

علامة شكر المرء إعلان حمده فمن كتم المعروف منهم فما شكركم

إذا ما صديقي نال خيرا ، فخانتني فما الذنب عندي للذي خان أو فجر

ولكن إذا أكرمه بعد كفره فإني ملوم حيث أكرم من كفر

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب :

إذا أنا أعطيت القليل شكرتم وإن أنا أعطيت الكثير فلا شكر

وما لمت نفسي في قضاء حقوقكم وقد كان لي فيما اعتذرت به عذر

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إني لأستحب للمرء أن يلزم الشكر للصنائع

والسمى فيها من غير قضائها إذا كان المنعم من ذوي التقدير فيه ، والاهتمام بالصنائع ،

لأن الاهتمام ربما فاق المعروف ، وزاد على فعل الإحسان . إذ المعروف
يعمله المرء لنفسه ، والإحسان يصطنعه إلى الناس ، وهو غير مهم به ، ولا مشفق
عليه ، وربما فعله الإنسان وهو متكاره . والاهتمام لا يكون إلا من قرط عناية
وقضل وودٍ ، فالعاقل يشكر الاهتمام أكثر من شكره للمعروف .

أنشدني عبد العزيز بن سليمان :

لأشكرنك معروفًا همتَ به إنَّ اهتمامك بالمعروفِ معروفُ

ولا ألومك إن لم يعضه قدرٌ فالشيء بالقدر الجلوب مصروفُ

وأشدى ابن زنجي البغدادي :

بَطْرَ النِّعَةِ مَنْ ضَيَّعَهَا وَمُضِيْعُ الشُّكْرِ مُسْتَدْعَى الْغِيْرِ

فاجعل الشكر عليها حارساً ربما ابتزَّ القتي النعمى البطر

حدثني عمرو بن محمد حدثنا محمد بن زكريا حدثنا محمد بن عبد الله
الجشمي حدثنا علي بن محمد قال : مر عمر بن هبيرة - لما انصرف في طريقه -
فسمع امرأة من قيس تقول : لا والذي ينجي عمر بن هبيرة ، فقال : يا غلام ،
أعطها ما معك ، وأعطها أني قد نجوت .

ذكر الحث على سياسة الرياسة ، ورعاية الرعية

حدثنا عبد الله بن قحطبة حدثنا العباس بن عبد العظيم العنبري حدثنا مؤمل
ابن إسماعيل حدثنا سفيان حدثنا عبد الله بن دينار قال : سمعت ابن عمر يقول :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ،
فالأمر راع على رعيته ، ومسئول عنهم ، والرجل راع على أهل بيته ، وهو
مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت زوجها ، وهي مسئولة عنه ، والعبد راع
على مال سيده ، وهو مسئول عنه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : صرحت السنة عن المصطفى صلى الله عليه

جوسم ، بأن كل راع مسئول عن رعيته ، فالواجب على كل من كان راعياً لزوم
التعاهد لرعيته ، فرعاة الناس العلماء ، وراعى الملوك العقل ، وراعى الصالحين تقواهم
وراعى المتعلم معلمه ، وراعى الولد والده ، كما أن حارس المرأة زوجها ، وحارس
العبد مولاه ، وكل راع من الناس مسئول عن رعيته .

وأكثر ما يجب تعاهد الرعية للملوك ؛ إذ هم رعاة لها ، وهم أرفع الرعاة لكثرة
نفاذ أمورهم ، وعقدُ الأشياء وحلها من ناحيتهم ، فإذا لم يراعوا أوقاتهم ولم
يحتاطوا لرعيتهم هلكوا وأهلكوا ، وربما كان هلاك عالم في فساد ملك واحد ،
ولا يدوم ملكٌ ملك إلا بأعوان تطيعه ، ولا يطيعه الأعوان إلا بوزير ، ولا يتم
ذلك إلا أن يكون الوزير ودوداً نصوحاً ، ولا يوجد ذلك من الوزير إلا بالعفاف
والرأى ، ولا يتم قوام هؤلاء إلا بالمسال ، ولا يوجد المال إلا بصلاح الرعية ، ولا
تصلح الرعية إلا بإقامة العدل ، فكان ثبات الملك لا يكون إلا بلزوم العدل ،
وزواله لا يكون إلا بفارقتة .

فالواجب على الملك أن يتفقد أمور عماله ، حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ،
ولا إساءة مسيء ، لأنه إذا خفى عليه أعمال عماله لم يكن قائماً بالعدل .

ولقد أنشدني علي بن محمد البسامي :

إذا سُتَّ قوماً فأجعل العدل بينهم وبينك ، تأمن كلَّ ما تتخوفُ

وإن خِفْتَ من أهواء قوم تشنتا فبالجود فأجمع بينهم يتألقوا

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب القاضي

حدثنا الأصمعي قال : قال ملك طخارستان لنصر بن سيار : ينبغي للامير أن يكون

له ستة أشياء : وزير يثق به ويفضى إليه بسره ، وحصان يلجأ إليه إذا فرغ أنجاه

يعنى فرساً ، وسيف إذا نازل به الأقران لم يخف أن يخونه ، وذخيرة خفيفة الحمل

إذا نابته نائبة أخذها ، وامرأة إذا دخل إليها أذهبت همه ، وطباخ إذا لم يشته

الطعام صنع له شيئاً يشتهي .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب للسلطان أن يفرط البشاشة والمهشاشة للناس ، ولا أن يقلّ منهما ؛ فإن الإكثار منها يؤدي إلى الخفة والسخف ، والإقلال منها يؤدي إلى العجب والكبر ، ولا ينبغي له أن يفضب لأن قدرته من وراء حاجته ، ولا أن يكذب ؛ لأنه لا يقدر أحد على استكراهه ، ولا له أن يبخل ؛ لأنه لا عذر له في منع الأموال والجاه معاً ، ولا له أن يحقد ؛ لأنه يجب أن يترفع عن المجازاة ، فأفضل السلطان ما لم يخالطه البطر ، وأعجزهم آخذهم بالهويّنا ، وأقلهم نظراً في العواقب ، وخير السلطان من أشبه النسر حوله الجيف ، لا من أشبه الجيف حولها النسر .

ويجب عليه استبقاء الرياسة وما فيه من نعمة الله عليه بلزوم تقوى الله ، وتفقد أمور الرعية ، وإنصاف بعضهم بعضاً ؛ لأنه ما من قوى في الدنيا إلا وفوقه أقوى منه ، فمتى ما عرف السلطان فضل قوته على الضعفاء فقرم ذلك من قوة الأقوياء كانت قوته حينئذ عليه وهلاكاً له ، والضعيف المحترس أقرب إلى السلامة من القوي المغتر ؛ لأن صرعة الاسترسال لا تكاد تستقال ، ولا يجب أن يعجل في سلطانه بعقاب من يخاف أن يندم عليه ، ولا يتقن بمن عاقبه من غير جرم .

وما أشبه السلطان إلا بالنار ، إن قصرت بطل نفعها ، وإن جاوزت عظم ضررها ، فخير السلطان من أشبه الغيث في أحيائه في نفع من يليه ، لا من أشبه النار في أكلها ما يليها .

والسلطان إذا كان عادلاً خيراً من المطر إذا كان ابلاً ، وسلطان غشوم خيراً من فتنة تدوم ، والناس إلى عدل سلطانهم أحوج منهم إلى خصب زمانهم .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا مرجى بن المؤمل بن المثنى للري عن أبيه قال : قال الأحنف بن قيس « الولي من الرعية مكان الروح من الجسد الذي لا حياة له إلا به ، وموضع الرأس من أركان الجسد الذي لا بقاء له إلا معه » .

وأشدنى ابن زنجى البغدادى للأفوه الأودى :

لا يَصْلُحُ النَّاسُ قَوْضَى لاسْرَاةَ لَهُمْ ولا سَرَاةَ إِذَا جُهَاهُمْ سَادُوا
والْبَيْتُ لَا يُبْتَنَى إِلَّا بِأَعْمَدَةٍ ولا عِمَادَ إِذَا لَمْ تُرْسَ أوتَادُ
فَإِن تَجْمَعُ أوتَادُ وَأَعْمَدَةٌ وسَاكِنٌ أَدْرَكُوا الأَمْرَ الَّذى كَادُوا
تُهْدَى الأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأى مَا صَاحَتْ فَإِن تَوَلَّتْ فَبِالأَثْمَارِ تَنْقَادُ

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على السلطان قبل كل شىء أن يبدأ بتقوى الله وإصلاح سريره بينه وبين خالقه ، ثم يتفكر فيما قلده الله من أمر إخوانه ، ورفعه عليهم ؛ ليعلم أنه مسئول عنهم فى دق الأمور وجلبها ، ومحاسب على قليلها وكثيرها ، ثم يتخذ وزيراً صالحاً عاقلاً عفيفاً نصحاً ، وعمالاً صالحين بررة راشدين ، وأعاوناً مستورين ، وخداماً معلومين ، ثم يقدر عماله ما لاغنى له عنهم ، ويشترط عليهم تقوى الله وطاعته ، وأخذ المال من حله ، ويفرقه فى أهله ، ثم يتفقد أمر بيت المال بأن لا يدخله حبة مما فوقها من قهر أو جور ، أو سلب أو نهب أو رشوة ؛ فإنه مسئول عن كل ذرة منه ، ومحاسب على كل حبة فيه ، ثم لا يخرجها إلا فى المواضع التى أمر الله جل وعلا فى سورة الأنفال (١) .

ثم يتفقد أمور الحرمين وطريق الحاج ومجاورى بيت الله وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يتفقد شعور المسلمين ، ولا يولى على الثغور من عماله إلا من يعلم أن القتل فى سبيل الله يكون آثر عنده من البقاء فى الدنيا ليغزى الناس ولا يعطل الثغر .

(١) فى قوله تعالى (٨ : ٤١) واعلموا أنما غنمتم من شىء . فأن لله خمسة وللرسول ولدى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل — الآية) : والآيات فى هذا المعنى كثيرة

ثم يتفقد ثغور المسلمين ومراقبهم والأبرجة التي بين المسلمين وبين عدوهم ،
بأن يعمرها ويقيم فيها أعيننا من المسلمين تتجسس أخبار العدو ويُجرى عليهم من
بيت ما لهم .

ثم يتفقد أولاد المهاجرين والأنصار بعطايهم ، ويعرف فضيلتهم ، وسابقة
آبائهم ، وأنه إنما نال ما نال بهم .

ثم يتفقد أمور الحكام بأن لا يولى أحداً على قضاء المسلمين إلا من يعلم منه
العفاف والعلم ، وترك الميل إلى الهوى والحكم بغير ما يوجهه العلم .

ثم يتفقد أهل العلم والقراء والمؤذنين والصالحين وضعفاء المسلمين ، وليكن لمن
هو أصغر سنّاً منه أبا ، ولين هو أكبر منه ابناً ، ولأترابه ^(١) أخاً ، فيكون في
تفقد أمورهم ولصلاح أسبابهم أكثر من تفقدهم بأنفسهم .

ثم يختار من الرعية أقواماً أمناء ، يبعث بهم في كل سنة إلى المدن ، ليشرفوا
على العمال والحكام ، ويتفقدوا أسبابهم وسيرهم ، ويخبروه بها فيعزل من استحق
منهم العزل ، ويُقر من اتبع الحق .

ثم يحمل لنفسه موضعاً لا يتبع منه لظرح القصص ، ويبرز للرعية في كل يوم
مرة ، أو في كل ثلاثة أيام ، أو في كل أسبوع ، يرفعوا إليه حوائجهم ، وليجتنب
الحِدَّةَ وليلزم الحلم الدائم فيما يرد عليه من أسبابهم .

وافد حدثنا عبد الله بن قحطبة ، حدثنا محمد بن زنبور ، حدثنا أبو بكر
ابن عياش ، أن أهل الجاهلية لم يكونوا يسودون عليهم أحداً لشجاعة ولا لسخاء
إنما كانوا يسودون من إذا شتم حُلم ، وإذا سئل حاجة فضاها ، أو قام
معهم فيها .

وأشدنى الأبرش :

وقد يُبْفِضُ الحياتِ أولادُ آدمَ وأبْغَضُ ما فيها إليهم رهوسها

(١) الأتراب : جمع ترب - بالكسر - وهو المساوي لك في السن

وما ابليت يوما بشر قبيلة أضرت عليها من ستمه يسوسها
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يستحق أخذ اسم الرياسة حتى يكون فيه
ثلاثة أشياء : العقل ، والعلم ، والمنطق .
ثم يتعرى عن ستة أشياء : عن الحدة ، والمجلة ، والحسد ، والهوى ، والكذب ،
وترك المشاورة .

ثم ليزم في سياسته على دائم الأوقات ثلاثة أشياء : الرفق في الأمور ، والصبر
على الأشياء ، وطول الصمت .
فمن تعرى عن هذه الأشياء - وهو ذو سلطان - عى عليه قلبه ، وتشتت عليه
أموره ، ومن لم يكن فيه خصلة من هذه الخصال نقص من ضوء بصر قلبه مثلها ،
ودخل الخلل في أموره نحوها .

وإنما مثل الرئيس والرعية : كمثل جماعة ليس فيهم إلا قائد واحد ؛ فإن لم يكن
ذلك القائد أحد الناس بصراً ، وألطفهم نظراً ، كان خليفاً أن يوقعهم وإياه
في وهنة تندق أعناقهم وعنقه معهم .

والواجب على السلطان أن لا يغفل عن الأشياء الأربعة التي صلاحه في دينه
ودنياه فيها ، وهي ما حدثنا به عمرو بن محمد ، حدثنا الفلابي حدثنا محمد بن
عبيد الله الجشمي حدثنا المدائني قال : خرج الزهري يوماً من عند هشام بن
عبد الملك فقال : ما رأيت كالليوم ، ولا سمعت به كأربع كلمات تكلم بهن رجل
أنفا عند هشام بن عبد الملك ، فقيل له : وما هن ؟ قال : قال له رجل : يا أمير
المؤمنين ، احفظ عني أربع كلمات ، فيهن صلاحُ مملكتك ، واستقامة رعيتك .
قال : هاتهن ، قال : لا تبتدئ عدّة لا تثق من نفسك بإنجازها ، ولا يفرنك
المرتقى ، وإن كان سهلاً ، إذا كان المنحدر وعراً ، واعلم أن للأعمال جزاءاً ،
فاتقِ العواقب ، وأن للأموار بفتات ؛ فكن على حذر .

وأشدني المنتصر بن بلال :

بلاء الناس مذ كانوا إلى أن تأتي الساعه

بحب الأمر والنهي وحب السمع والطاعة

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للعاقل طلب الإمارة ؛ لأن من أوتيتها

عن مسألة وُكِّلَ إليها ، ومن أعطيها من غير مسألة أعين عليها ، ومن اشتهر

بالرياسة فليحترز ؛ لأن الريح الشديدة لا تحطم الكلاً ، وهي تحطم دوح الشجر

ومشيدّ البنيان .

وليُزِمَ المشورة ؛ فإن في المشورة صلاح الرعية ومادة الرأي ، وليصطنع إلى

الناس كافة في الوقت الذي يقدر على الصنائع والمعروف قبل أن يجيئه الوقت الذي

يفقد فيه القدرة عليها ، وليعتبر بمن كان قبله من الملوك والأمراء والسادة والوزراء

لأن من ظفر بأمر جسيم فأضاعه فاتمه ، ومن أمكنته الفرصة فأخر العمل فيها

لا تنكاد تعود إليه .

والسائفة إنما هي قول الحق والعمل بالعدل ، لا التفاخر في الدنيا واستعمال البذل .

ولقد حدثنا محمد بن سعيد القرزاز ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندى ،

حدثنا عبد الله بن سليمان قال : قال أبو عمرة بن العلاء : كانوا لا يسودون إلا من

تكاملت فيه ست خصال وتماهن في الإسلام السابعة : السخاء ، والنجدة ، والصبر

والحلم ، والبيان ، والتواضع ، وتماهن في الإسلام الحياه .

وأشدني الكريزي :

إذا نلت الإمارة فاسمُ فيها إلى العلياء بالعمل الوثيق

بمحض خليقةٍ لا عيبَ فيها وليس المحضُ كاللبن المذيق^(١)

ولا تكُ عندها حلواً فتُحسى ولا مرّاً فتتَشَبَّ في الخلق

(١) المحض : الخالص في جنسه لا يشوبه شيء من جنس آخر ، واللبن المذيق :

المخلوط بالماء .

وكلُّ إِمارةٍ إلا قليلاً مُغَيَّرَةٌ الصديق عن الصديق
قال أبو حاتم رضى الله عنه : من صحب السلطان فلا يجب أن يكتبه نصيحته ؛
لأن من كتم السلطان نصيحته ، والأطباء مرضه ، والإخوان بشه^(١) ؛ فقد خان نفسه
ومن صحب السلطان لا ينجو من الآثام ، كما أن راكب العجل لا يأمن العثار ،
ولا يجب أن يأمن غضب السلطان إن صدقه ، ولا عقوبته إن كذبه ، ولا يجترىء
عليه ، وإن أدناه ؛ لأن الحازم العاقل لا يشرب السم اتكالا على ما عنده من
الترياق والأدوية .

وإني لأستحب لمن امتحن بصحبة السلطان أن يعلم لزوم تقوى الله والعمل
الصالح ، كأنه يتعلم منه ، ويؤدبه كأنه يتأدب به ، ويتقى سخطاته ، والسخط إذا
كان عن علة كان الرضا عنه موجودا ، وإذا كان من غير علة ينقطع حينئذ الرجاء
ولا يجب أن يعلم كلَّ مآلئ الملك من أمورها ؛ لأن في معرفتهم إياها بعض الفتنة
وهيئاتها من ذا صحب السلطان فلم يفتن ، ومن اتبع الهوى فلم يعطب ، إن الشجرة
الحسنة ربما كان سبب هلاكها طيب ثمرتها ، وربما كان ذنب الطاووس الذي
فيه جماله سبب حنقه ؛ لأنه يتقله حتى يمنعه من الهرب ، ومن صحب السلطان لم
يأمن التغيير على نفسه ؛ لأن الأنهار إنما تكون عذبة ما لم تنصب إلى البحور ، فإذا
وقعت في البحور ملحت ، على أن تعود العلماء عن أبواب الملوك زيادة في نور
علمهم ، وكثرة غشياتهم إياهم غشاة على قلوبهم ، ومن صحب الملوك لم يأمن تغييرهم
ومن زایلهم لم يأمن تفقدهم ، وإن قطع الأمور دونهم لم يأمن فيها مخالفتهم ، وإن
عزم على شيء لم يجد بدا من مؤامرتهم ، وأسمح شيء بالملوك الخدعة .

ولقد حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ، حدثنا يحيى بن معين ،
حدثنا المبارك بن سعيد الثوري قال : كان يقال : خمس خلال هن أقبح شيء

(١) البث - بفتح الباء - الحزن .

بمن كنَّ فيه : الخدة في السلطان ، والكبر في ذى الحسب ، والبخل في الفنى ،
والحرص في العالم ، والفتوة في الشيخ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : رؤساء القوم أعظمهم هموما ، وأدومهم غموما ،
وأشغلهم قلوبا ، وأشهرهم عيوبا ، وأكثرهم عدواً ، وأشدهم أحزانا ، وأنكاهم
أشجانا ، وأكثرهم في القيامة حسابا ، وأشدهم — إن لم يعف الله عنهم — عذابا .
ومن أحسن ما يستمين به السلطان على أسبابه ، اتخاذ وزير غفيف ناصح على
ما تقدم ذكرنا له ؛ فإن الوزير إذا غفل الأمير ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإن
سوّلت له نفسه سبته صده ، وإن أراد طاعة نشطه ، فهو المحبب له إلى الناس ،
والمستجلب له دعاءهم .

ولقد أنشدني على بن محمد البسامي :

إذا نسي الأمير قضاء حق فإنَّ الذنب فيه للوزير
لأنَّ على الوزير، إذا تولى أمورَ الناس ، تذكيرَ الأمير

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على كل من يغشى السلطان وامتنح
بصحبه أن لا يعد شتمه شتما ، ولا إغلاظه إغلاظا ، ولا التقصير في حقه ذنبا ؛
لأن ربح العزة بسطت لسانه ويده بالغلظة ، فإن أنزله الوالى منزلة رفيعة من نفسه
فلا يتقنَّ بها ، وليجانب معه كلام الملتقى والإكثار من الدعاء في كل وقت ،
وكثرة الانبساط ، فربَّ كلمة أثارَت الوحشة ، بل يجتهد في توقيره وتعظيمه عند
الناس ، فإن غضب فليحتلَّ في تسكين غضبه باللين والمداراة ، ولا يكون سبباً
لتهيبجه .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا العلابي ، حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال :

بعث أبو جعفر إلى جعفر بن محمد قال : إني أستشيرك في أمر ، إني قد تأنيت أهل

المدينة مرة بعد أخرى فلا أراهم يرجعون ، ولا يُعْتَبَرُونَ^(١) . وقد رأيت أن أبعث فأحرق نخلها ، وأُفَوِّرَ عيونها . فاترى ؟ فسكت جعفر . فقال : مالك لا تكلم ؟ قال : إن أذنت لى تكلمت . قال : قل ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن سليمان أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف قَدَّرَ فغفر . وقد جعلك الله من النسل الذى يعفون ويصفحون . قال : فطفى . غضبه وسكن .

حدثنى محمد بن أبى على الخلابى ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد عن محمد بن حميد بن فروة عن أبيه قال : لما استقرت للأمون الخلافة ، دعا إبراهيم بن مهدي المعروف بابن شكلة ، فوقف بين يديه ، فقال : أنت المتوئب علينا تدعى الخلافة ؟ فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين ، أنت ولى الثأر ، تُحَكِّمُ فى القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب ، كما جعل كل ذى ذنب دونك ، فإن أخذت أخذت بحق ، وإن عفوت عفوت بفضل ، ولقد حضرت أبى وهو جدك أنى برجل كان جرمه أعظم من جرمى ، فأمر الخليفة بقتله وعنده المبارك بن فضالة ، فقال المبارك بن فضالة : إن رأى أمير المؤمنين أن يستأنى فى أمر هذا الرجل حتى أحده بحديث سمعته من الحسن يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : إيه يا مبارك ، قال : حدثنى الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش : ألا ليقيم العافون من الخلفاء ، فلا يقوم إلا من عفا ، فقال الخليفة له : يا مبارك ، قد قبلت الحديث ، وعفوت عنه ، أخرج أيها الرجل ، فلا سبيل لأخذ عليك ، قال الأمون : يا عم ، ها هنا ، يا عم ، ها هنا . »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على من ملك أمور المسلمين الرجوع إلى الله جل وعلا فى كل لحظة وطرفة ؛ لئلا يطغيه ما هو فيه من تسلطه ، بل يذكر

(١) يعنون - ضم حرف المضارعة - يزولون عني عليهم بترسيهم إياى .

عظمة الله وقدرته وسلطانه ، وأنه هو المنتقم عن ظلم ، والحجازي لمن أحسن ، فليزِم
في إمرته السلوك الذي يؤديه إلى اكتساب الخير في الدارين ، وليعتبر بمن كان
قبله من أشكاله ، فإنه لا محالة مسئول عن شكر ما هو فيه ، كما هو لا محالة مسئول
عن حيايه ، إذ المصطفى صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله تبارك وتعالى يوم
القيامة : ألم أحملك على الخير ، ورزقتك النساء ، وجعلتك ترأس وتربيعاً فيقول :
بلى ، فيقول : فأين شكر ذلك ؟ »

وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

يدبر أسبابَ الرجال مؤمراً إذا صلحت في الصدر أشقى وأبينُ
من العقل أن تحتاط فيما وابتته ونحسم ماتخشا ، والأمر بممكن

ذكر الدنيا وتقلبها بأهلها

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد السلام ، حدثنا عبد الله بن هانيء بن
عبد الرحمن بن أبي عبيدة ، حدثنا أبي عن عمه إبراهيم بن أبي عبيدة عن أم الدرداء
عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصبح معافى في
بدنه ، آمناً في مربه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا ^(١) يا ابن
جعشمُ يكفئك منها ماسد جوعتك ، ووارى عورتك ، فإن يكن ثوباً تلبسه
فذاك ، وإن كانت دابة تركبها فبيح فلق الخبز ، وماء الحب ، وما فوق الأزار
حساب عليك » .

(١) كذا في الأصل ، وليس لسراقة بن مالك بن جشم ذكر في الحديث ، ولعله
حديثان ، وفي الترغيب والترهيب : يروي عن ثوبان قال : قلت « يا رسول الله
ما يكفيني من الدنيا ؟ قال : ماسد جوعتك ، ووارى عورتك ، وإن كان لك بيت
يظلك فذاك ، وإن كانت لك دابة فبيح » رواه الطبراني في الأوسط .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يغتر بالدنيا وزهرتها ،
وحسنها وبهجتها ، فيشتغل بها عن الآخرة البقية ، والنعم الدائمة ، بل ينزلها حيث
أنزلها الله ؛ لأن عاقبتها لا محالة تصير إلى فناء ، يحزب عمراتها ، ويموت سكانها ،
وتذهب بهجتها ، وتبيد خضرتها ، فلا يبقى رئيس متكبر مؤمّر ، ولا فقير مسكين
محقر ، إلا ويجرى عليهم كأس المنايا ، ثم يصيرون إلى التراب ، فييلون حتى
يرجعون إلى ما كانوا عليه في البداية إلى الفناء ، ثم يرث الأرض ومن عليها
علام النبوء ، فالعاقل لا يركن إلى دار هذا ضتها ، ولا يطمئن إلى دنيا هذه صفتها ،
وقد ادخر له ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فيوضن
بقرك هذا القليل ، ويرضى بغوت ذلك الكثير .

حدثنا محمد بن المسيب بن إسحاق ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي قال :
سمعت بشر بن الحارث يقول :

لا تأس في الدنيا على فائتٍ وعندك الإسلام والعاقبة
إن فأت أمرٌ كنت تسعى له ففيها من فائتٍ كافية

وأشدنى الكريزي ، أشدنى شبيب بن أحمد سليمان بن يزيد العدوي :

أم تر أن المرء يودى شيا به وأن المنيا للرجال تشعبُ
فمن ذائق كأساً من الموت مرةً وآخر أخرى مثلها يترقبُ
لها منهم زادٌ حيث وسائق وكل يكأس الموت يوماً يشربُ
وما وارثٌ إلا سيورث ماله ولا سالبٌ إلا وشيكا سيئلبُ
ولا آلفٌ إلا سيتبع إلقه ولا نعمة إلا تبيد وتذهبُ
وما من مَعانٍ وللصائب حجة يعاورها المصران إلا سيعطبُ
أرى الناس أصنافاً أقاموا بقرية تقلبهم أيامها وتقلبُ
بدارٍ غرور حلوة يعمرونها وقد عابنوا فيها زوالاً وجربوا

بذمون دنيا لا يريحون دَرَّهَا قلم أر كاللدينا تدم وتحلب
تسرم طوراً ، وطوراً تَدِيْقِهِمْ مَضِيضَ مَكَوٍ حَرُّهَا يتلهب
حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الفلابي ، حدثنا محمد بن عبيد الله قال : عاد
رجل مريضاً فسمع قائلاً يقول من ناحية البيت :

نادربَّ الدارِ ذا المَالِ الذي جمع الدنيا بحرص : ما فعل ؟
فأجابه مجيب :

كان في دار سواها دارُهُ عطلته بالني ، ثم انتقل
لم يمتنع بالذي كان حوى من حطام المال ، إذ حلَّ الأجل
إنما الدنيا كظلي زائل طلعت شمسٌ عليه فاضمحل
قال أبو حاتم رضي الله عنه : رأيت على حجر بطبرستان مكتوب :

العيش لوتان : فخلو ومرّ والدهر نصفان : فريف^(١) وضر
والنطق جزآن : فبعر ، ودّر والناس اثنان : فنذل ، وحر
يومك يومان : فخير ، وشر نهـار يزول ، وليل بُكْرٍ
وكذاك الزمان على من مضى وكل السنين على ذا تمرّ
وأنشدني الأبرش :

إنما الدنيا نهارٌ ضوءها ضوء معارٍ
بينما عُصْنُكَ غُضٌّ ناعمٌ فيه اخضرار
إذ رماء زمانه فإذا فيه اصفرار
وكذاك الليل يأتي ثم يحويه النهار

وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

(١) الريف - بالكسر - أرض فيها زرع وخصب ، وسعة في المأكل والشرب .
والأبيات غير متسقة الوزن .

بالأتمّ الدهر إذا ما نيسا لانتم الدهر على غدّره
 الدهرُ مأمور له أمر ينصرف الدهر إلى أمره
 كم كافرٍ بالله أمواله تزداد أضعافاً على كفره
 ومؤمن ليس له درهم يزداد إيماناً على فقره
 لاخير فيمن لم يكن عاقلاً يسطر رجله على قدره

وأشدني الكريزي :

ما الدهر إلا لينةٌ ويومٌ والعيش إلا بقطةٌ ونومٌ
 يعيش قوم ، ويموت قوم والدهر قاضٍ ما عليه لوم

أنبأنا عبد الله بن محمد بن سلم ، حدثنا أحمد بن أبي الحواري ، حدثنا إسحاق الموصلي قال : قال أبو حازم : بضاعة الآخرة كالسدة ، فاستكثر منها في أوان كسادها ؛ فإنه لو جاء أوان نفاستها لم تصل منها لا إلى قليل ولا إلى كثير .
 قال أبو حاتم رضي الله عنه : الدنيا بحر طفّاح ، والناس في أمواجها يعمون ، وفي أمثال تضربها الأيام للأنام — وما أكثر أشباهها منها — لأن كل ما يصير إلى فناء منها يشبهها ، فمن أوتيَ من الدنيا أشياء ثلاثة فقد أوتي الدنيا بمخافيرها : الأمن ، والقوت ، والصحة ، لا يفتقر بشيء منها إلا كل خداع ، ولا يركن إليها إلا كل مناع .

فالعاقل يعلم أن ما لم يبق لغيره عليه غير باق ، وأن ما سلب عن غيره لا يترك عليه ، فالقصد إلى ما يعود بالنفع في الآخرة للعاقل من الدنيا ، أخرى من السلوك في قصد الضنّ بها ، والجمع لها من غير تقديم ما يقدم عليه في الآخرة من الأعمال الصالحة ، وترك الاعتزاز بها والاعتبار بتقلبها بأهلها ، ولا شيء أعظم خطراً من الحياة ، ولا غبن أعظم من إفنائها تغير حياة الأبد ، ومن اشتبهى أن يكون حراً فليجتنب الشهوات ، وإن كانت لذينة ، وليعلم أن كل لذية ليس بنافع ، ولكن

كل نافع هو اللذيذ ، وكل الشهوات مملوثة إلا الأرباح فإنها لا عمل ، وأعظم الأرباح الجنة ، والاستغناء بالله عن الناس .

واقعد أنشدني علي بن محمد البسامي :

فأعظم بصير للزمان ، فإنه على حالة المكروه ليس بدائم
تدورُ لنا أفلاكه بعجائب إذا ما انقضت كانت كأحلام نائم
سُرورٌ وهمٌّ وانتعاشٌ ، وسقطة إلى أجلٍ دانٍ لذلك هادم
وبالله دون الناس ، فاستغن واستغن إذا أنزلت إحدى الأمور العظام

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

والناس في هذه الدنيا على رتب هذا يحطُّ ، وذا يعلو فغير ترفعُ
فأخلصي الشكر فيما قد حُيتَ به وآثرِ الصبر ، كلُّ سوف ينقطع
وأنشدني المنتصر بن بلال :

فيوم علينا ويوم لنا ويوماً نساءً ، ويوماً نسرَّ
كذلك التقارض بين الأنام فخير بخير ، وشرٌّ بشرُّ

أخبارنا محمد بن عبد الله بن الجنيد ، حدثنا عبد الوارث بن عبد الله عن عبد الله عن مسعر عن معن بن عون قال : كم من مستقيل يوماً لا يستكمله ، ومنتظر غداً لا يدركه ، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره ، لأبغضتم الأمل وغروره .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : السبب المؤدى للعاقل إلى إنزاله الدنيا منزلتها ، ترك الركون إليها مع تقديم ما قدّر منها للعيش الدائم ، والنعيم المقيم هو ترك طول الأمل ، ومراقبة ورود الموت عليه في كل لحظة وطرفة ؛ لأن طول الآمال قطعت أعناق الرجال ، كالسراب أخلف من رجاء ، وخاب من رآه .

فالماعل يلزم تركها ، مع الاعتبار الدائم بمن مضى من الأمم السالفة ، والقرون للماضية ، كيف عفت آثارهم ، واضمحلت أنباؤهم ، فما بقي منهم إلا الذكر ، ولا

من ديارهم إلا الرسم ، فسبحان من هو قادر على بعثهم وجمعهم للجزاء والمعقاب .

ولقد أنشدنا عمرو بن محمد ، قال : أنشدنا الغلابي قال : أنشدني مهدي بن سابق :

كنا على ظهرها ، والميش ذو مهلٍ والدهر يجمعنا ، والدارُ والوطنُ
ففرق الدهر ذو التصريف أفتنا فاليوم يجمعنا في بطنها الكفن
كذلك الدهر لا يبقى على أحد تأتي بأقداره الأيامُ والزمنُ

وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

حتى متى يبقى حليفَ الأسي مستشعراً للدهر أحزانا
فلا يرُدُّ الحزنُ شيئا ، ولا يُعْتَبُ هذا الدهر إنسانا
قد يُقبل الدهر بسرَّاته طَوْرًا ، وقد يدبر أحيانا
فاصبر على ماجرٍ من حادث مازال غداراً وخوانا
وأحسن الظنَّ بمن لم يزل عليك مفضالاً ومنانا

وأنشدني عمرو بن محمد قال : أنشدنا الغلابي لابن أبي عيينة المهلبى :

مأراح يوم على حى ولا ابتكرا إلا رأى عبرة فيها إن اعتبرا
ولا أتت ساعة في الدهر فانصرفت حتى تؤثر في قوم لها غيرا
إن الليالي والأيام أنفسها عن غيب أنفسها لم تكتب الخبرا

أبانا على بن سعيد السكري ، حدثنا إبراهيم بن الجنيد ، حدثنا الحسن بن

سعيد الجرجاني قال : سمعت أبا مريم الصلت بن كاتم يقول : كانت امرأة من

بنى إسرائيل متعبدةً ، وكانت تفطر كل سبت ، فبينما هي ذات يوم قد وضعت

إفطارها بين يديها جعلت تقول : محب يحب حبيبه يتشاغل بالأكل عن خدمة

حبه ، فيوشك أن يقدم عليه رسول حبيبه وهو متشاغل بأكله عن خدمته ، فلا

تقرُّ عينه في لقائه ، فكثت كذلك مدة لا تقطر . قال : ثم وضعت إفطارها بين

يديها ، وجعلت تقول مثل ما كانت تقول ، وإذا شابُّ من ناحية البيت جميل

الوجه طيب الريح ، فقال : سلام عليك ورحمة الله يا حبيبة الله ، أو يا ولية الله ،
 قالت : وعليك السلام ، من أنت ؟ قال : أنا ملك الموت ، قالت : ياملك الموت ،
 أتأذن لي أن أسجد سجدة أناجي فيها ربي ، فإذا رأيتني قد فعلت ذلك قبضت
 روحي ؟ قال : لك ذلك ، قال : فتحت إبطارها ، ثم وثبت فسجدت ، فقبض
 روحها في اجتهادها رضى الله عنها .

ذكر الحث على لزوم ذكر الموت ، وتقديم الطاعات

حدثنا عبد الله بن محمد بن سليمان السعدي ، حدثنا يحيى بن أكرم ، ومحمود
 ابن غيلان قالا : حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي
 هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثروا ذكر هادم اللذات :
 الموت »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يضم إلى رعاية ما ذكرنا
 من شُعب العقل في كتابنا هذا لزوم ذكر الموت على الأوقات كلها ، وترك
 الاغترار بالدنيا في الأسباب كلها ، إذ الموت رَحَى دَوَّارَةٍ بين الخلق ، وكأس يُدارُ
 بها عليهم ، لا بد لكل ذي روح أن يشربها ويذوق طعمها ، وهو هادم اللذات ،
 ومنفص الشهوات ، ومكدر الأوقات ، ومزِيل المآلات .

ولقد أنشدني عبد العزيز بن سليمان :

أيا هادم اللذات، مامنك مهربٌ تحاذر نفسى منك ماسيئتيها
 رأيتُ المنايا قُسمت بين أنفس ونفسى سيأتى بعدهن نصيبها

وأنشدني الكريزى :

إنَّ من عاش آمناً في سرورٍ قاعدٌ من سروره في غرورٍ
 ما لمن يذكرُ المقابرَ والموتِ إذا كان عاقلاً من سرورٍ

حدثنا عمرو بن محمد الغلابي ، حدثنا مهدي بن سابق قال : قرىء على قصر
هذه الآيات :

هذي منازل أقوام عهدتهم في ظل عيش عجيب ، ماله خطر
صاحت بهم حادثات الدهر ، فانقلبوا إلى القبور ، فلا عين ، ولا أثر

حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني إبراهيم
ابن عبد الملك ، حدثني علي بن سلمة الحلبي قال : سمعت أبي يقول : كان معاوية
يقول « أنا والله من زرع قد استحصد » وتعى له عبد الله بن عامر بن كريز ،
والوليد بن عتبة ، وكان أحدهما أكبر منه ، والآخر دونه ، فقال :

إذا سار من خلف امرئ وأمامه وأفرد من إخوانه ، فهو سائر
حدثنا أحمد بن محمد بن مصعب الشافعي ، حدثنا عبد الله بن محمد قال : سمعت
عبيد الله بن مسلم بن زياد الهمداني قال : سمعت عمر بن ذر يقول :
ورث فتى من الحى داراً عن آبائه وأجداده فهدمها ، ثم ابتناها وشيدها ،
فأتي في منامه فقيل له :

إن كنت تطمع في الحياة فقد ترى أرباب دارك ما كانوا الأصوات
أني تحس من الأكارم ذكرهم ؟ خلت الديار وبادت الأصوات
قال : فأصبح الفتى مغتاطاً قد أمسك عن كثير مما كان يصنع ، وأقبل على
نفسه .

حدثنا عمر بن حفص البرازي ، حدثنا إسحاق بن الضيف ، حدثنا جعفر بن
عون قال : سمعت مسعراً يقول :

ومشيد داراً ليكن داره سكن القبور وداره لم يكن
وأنشدني ابن زنجي البشادي :

لو أنني أعطيت سؤلى لما سألت إلا العفر والعصافيه

فكم فتى قد بات في نعمة فسلَّ منها الليلةَ الثانية؟
 حدثنا حمزة بن داود بن سليمان ، بالأبلة ، حدثنا ذهل بن أبي شراعة القيسي ،
 قال : حدثتني سُكينة - وكانت علامة - قالت : قال لي أبو العتاهية : دخلت
 على هارون أمير المؤمنين ، فلما بَصَرَ بي قال : أبو العتاهية ؟ قلت : أبو العتاهية ،
 قال : الذي يقول الشعر ؟ قلت : الذي يقول الشعر . قال : عطني بأبيات شعر ،
 وأوجز ، فأنشدته :

لاتأمن الموت في طرف ولا نفسٍ ولو تمنعت بالحجاب والحرس
 واعلم بأن سهام الموت قاصدة لكل مُدْرِعٍ منا ومترس
 ترجو النجاة ، ولم تسلك مسالكها إن السفينة لاتجري على اليس
 قل : فخر منشيأ عليه ، أو كما قال .

حدثنا عمرو بن محمد : حدثنا الغلابي ، حدثنا أبو جعفر البغدادي قال : قرأت
 على باب قصر بالسند :

نزل الموت منزلاً سلب القوم وارتمل
 فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : مات أهل القصر كلهم ، فأصبحوا وهذا الكتاب على
 الباب لا يدري من كتبه ، وأنشدني البسامي :

قد يصح المريض بعد إياس كان منه ويهلكُ العواد
 ويصَاد القطا فينجو سليماً بعد هلك ، ويهلكُ الصياد
 قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل لا ينسى ذكر شيء هو مترقب له ، ومنتظر
 وقوعه من قدم إلى قدم ، ومن لحظة إلى شجرة ، فكم من مكرم في أهله ، معظم
 في قومه ، مبجل في جبرته ، لا يخاف الضيق في العيشة ، ولا الصنك في المصيبة ،
 إذ ورد عليه مدلل الملوك ، وقاهر الجبابرة ، وقاصم الطغاة ، فألقاه صريعاً بين الأحبة
 وجيرانه ، مفارقاً لأهل بيته وإخوانه ، لا يملكون له نفعاً ، ولا يستطيعون عنه

دفعاً . فكمن من أمة قد أبادها الموت ، وبلدة قد عطلها ، وذات جعل قد أرمها ،
وذى أب أيتمه ، وذى إخوة أفرده .

فالماقل لا يفتقر بحالة نهايتها تؤدى إلى ماقلنا ، ولا يركن إلى عيش مغبته ما ذكرنا
ولا ينسى حالة لا محالة هو مواقفها ، وما لاشك يأتيه ، إذ الموت طاب حيث
لا يعجزه المقيم ولا ينفلت منه الهارب . ولقد حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي ،
حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني سلمة بن شبيب حدثنا سهل بن عاصم قال : سمعت
الوضاح بن حسان يقول : سمعت ابن السكك يحدث قال : بينا صياد في الدهر الأول
يصطاد السمك ، إذ رمى بشبكة في البحر ، فخرج فيها جمجمة إنسان ، فجعل
الصياد ينظر إليها ويبكي ، ويقول : عزيز ، فلم تترك لعرك ، غنى ، فلم تترك لغناك
فقير ، فلم تترك لفقرك ، جواد ، فلم تترك لجودك ، شديد ، فلم تترك لشدتك ، عالم ،
فلم تترك لعلمك ؟ يردد هذا الكلام ويبكي .

وأشدنى الكريزى :

أموالنا لذوى الميراث نجمعها	ودورنا لخواب الدهر نبنيها
والنفس تكلف بالدينيا ، وقد علمت	أن السلامة فيها ترك ما فيها
فلا الإقامة تنجى النفس من تلف	ولا الفرار من الأحداث ينجيها
وكل نفس لها زورٌ يصبغها	من التنية يوما أو يمسيها

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الفلابي ، قال : سمعت ابن واقد المديني قال :
حدثنا عبد النعم الرياحي قال : فقد مالك بن دينار يوما ، فقالوا : أين كنت
يا أبا يحيى ؟ قال : خرجت إلى الأبله ، قالوا : ما أحسنُ ما رأيت ؟ قال : ما رأيتُ
شيئاً أعجبتُ به إلا أنى رأيت امرأة تصلى ، فقالوا له : يا أبا يحيى ، فما أعجبُ
شيء رأيت ؟ قال : رأيت بالبحرين قصرأ مشيداً ، وإذا على بابهِ مكتوب :
طلبتُ العيش أسمدَ ناعميه وعشتُ من المعاش والنعم

فلم ألبثُ وربَّ الناس طَوْرًا سلبتُ من الأقراب والحميم
وأنشدني الأبرش :

والنفس وإن كانت على وجل من المنية آمال تفويها
والمرءُ يَبْسُطها ، والدهر يقبضها والنفس تنشرها ، والموت يطويها
أبنانا حمزة بن داود بن سليمان بالأبلة ، حدثنا الهدادي ، حدثنا جليس الكلبي
عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : لقيني عمران بن حطان فقال لي : يا أعمى ،
إنني عالم بخلافك ، ولكنك رجل تحفظ ؟ فاحفظ عني هذه الأبيات :

حتى متى تقي النفس بكأسها ريب المنون ، وأنت لاهٍ ترتعُ ؟
أفقد رضيت بأن تعلقَ بانني وإلى المنية كلُّ يوم تدفعُ ؟
أحلام نوم ، أو كظل زائل إنَّ اللبيب يمثها لا يحدع
فترودنَّ ليوم فقرك دائباً واجمع لنفسك لا لغيرك تجمع
حدثنا محمد بن نصر بن نوفل المروزي ، قال : سمعت أبا داود السنجي يقول :
خرج أبو معاذ الذحوي يوماً على أصحابه فقال : إنه قد نُعيت إلى نفسي البارحة ،
أتاني آت فقال :

يا أيها الإنسان ، إنك ميتٌ عما قليل ، قم لنفسك واقعد
فكأن ما قد كان لم يك إذ مضى وكان ما هو كائن فكأن قد
حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا حرملة بن يحيى قال : سمعت الشافعي كثيراً

ما ينشد :

تمنى رجال أن أموت ، وإن أمت فتلك سبيلٌ لست فيها بأوحد
فقل للذي يبقى خلفَ الذي مضى : تهباً لأخرى مثلها فكأن قد

حدثنا أحمد بن محمد الشافعي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني إسماعيل

ابن عبد الله العجلي قال : أنشدنا رجل ونحن في المقابر :

ألا يا عسكر الأحياء ، هذا عسكر الموتى ،
أجابوا الدعوة الصغرى وهم منتظرو الكبرى
يحثون على الزاد وما زاد سوى التقوى
يقولون لكم : جدوا فهذا آخر الدنيا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن الله جل وعلا خلق آدم وذريته من الأرض ،
فأمشاهم على ظهرها ، فأكلوا من ثمارها ، وشربوا من أنهارها ، ثم لا محالة تنزل
المنية بهم ، وتفنيهم عن السعي والحركات ، مع تعطل الجثث والآلات ، ثم تعيدهم
إلى الأرض التي منها خلقهم ، حتى تأكل لحومهم ، كما أكلوا أثمارها ، وتشرب
دماءهم كما شربوا من أنهارها ، وتقطع أوصالهم كما مشوا على ظهرها ، فلقبر أول
منزل من منازل الآخرة ، وآخر منزل من منازل الدنيا ، فطوبى لمن مهد في دنياه
لقبره ، وقدم منها لآخريته ، فكم عقرت الأرض من عزيز وأقعدت الفير من أنيس .

حدثني محمد بن إبراهيم الخالدي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني محمد بن
عباس ، حدثنا إبراهيم بن يزيد قال : رأيت أعرابياً وقف على مقبرة وهو يقول :

لكل أناس مقبر بفنائهم فهم ينقصون ، والقبور تزيد
وما إن ترى داراً لحى قد أقفرت وقبرا لميت بالفناء جديد
فهم جيرة الأحياء ، أما محلهم فدان ، وأما الملقى فبيد

وأشدني أحمد بن عبد الله السرجي لعمر بن شبة في نفسه :

يا ابن سبعين وعشري وثمان كاملات
غرضاً للموت مشغو لا بجذ منى وهات
ويك ، لاتعلم ما تلقي به بعد المات
من صفار موبات وكبار مهلكات
يا ابن من قدمات من آبائه والأمهات

هل ترى من خالد من ذى طغاةٍ وعُتاةٍ ؟
إن من يتتاع بالديسن خبيسات الحياةِ
لغبي الرأي محضوف بطول الحسرات

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الفلابي ، حدثنا شعيب بن واقد المري عن
عبد المنعم الرياحي قال : سمعت صالح المري يقول : دخلت المقابر يوماً في شدة الحر
فنظرت إلى القبور خامدة ، كأنهم قوم صموت ، فقلت : يا سبحان الله ! من يجمع
بين أرواحكم وأجسامكم بعد افتراقها ، ثم يحبسكم وينشئكم من طول البلى ؟ قال :
فناداني مناد من بين تلك الحفر : يا صالح (٣٠ : ٢٥) ومن آياته أن تقوم السماءُ
والأرض بأسره ، ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم مخرجون) قال : فسقطت
والله نفسيكاً على .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرنا البير من الكثير من الآثار ، والتليل
من الجسم من الأخبار ، في كتابنا هذا بما نرجو أن القاصد إلى سلوك سبيل ذوى
الحجى ، والسالك مقصد سبيل أولى النهى ، يكون له فيها غنية إن تدبرها
واستمعها ، وإن كنا تنكبنا طرق السانيد ، ونخرج الحكايات ، وأناشيد الأشعار ،
إلا ما لم نجد بدا من إخراجها ، كالإيماء إلى الشيء ، والإشارة إلى القصد ، جعلنا
الله عن دعتة تبشير التوفيق إلى القيام بحقائق التحقيق إنه منتهى الغاية عند رجاء
المؤمنين ، والمأن على أولياته بمنازل للتقربين .

وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين الطيبين . والحمد لله
رب العالمين .

وجد في النسخة الأصلية ماصورته :

فرغ من نسخته بعون الله ورحمته العبد الفقير إلى عفوره أحمد بن محمد بن
سالم بن جناب النبي ، بالرها المحروسة ، يوم الثلاثاء حادى عشر المحرم سنة
ثمان وعشرين وستائة ، ختم الله له بخير ولوالديه ولجميع المسلمين ! .

فهرس

روضة العقلاء وثره الفضلاء

٢٨	ذكر استحباب افشاء السلام واظهار البشر والتبسم	٣	ترجمة الإمام ابن حبان
٨١	ذكر ما أبيح من المزاح للره وما كره له منه	١٣	مسند الكتاب
٨٥	ذكر استحباب الاعتزال من الناس عاماً	١٤	مقدمة »
٩٠	ذكر استحباب المؤاخاة للره مع الخاص	١٦	ذكر الحث على لزوم العقل وصفة العقل اللبيب
٩٨	ذكر كراهية المعادة للناس	٢٧	ذكر اصلاح السرير بلزوم تعوى الله تعالى
١٠٤	الحث على محبة الأخيار والزجر عن عشرة الأشرار	٣٤	ذكر الحث على لزوم العلم والمداومة على طلبه
١٠٨	ذكر كراهية التلون في الوداد بين المتواخين .	٤٣	ذكر الحث على لزوم الصمت وحفظ اللسان
١١٣	ذكر ائلاف الناس واختلافهم	٥٣	ذكر الحث على لزوم الصدق ومجانبة الكذب
١٢٠	الحث على زيارة الإخوان وإكرامهم	٥٨	ذكر الحث على لزوم الحياء وترك الفحة
١٢٤	ذكر صفة الأحق والجاهل	٦٤	ذكر الحث على لزوم التواضع ومجانبة الكبر
١٣١	الزجر عن التجسس وسوء الظن	٦٦	ذكر استحباب التعيب إلى الناس من غير مقارفة المآثم
١٣٥	ذكر الحث على مجانبة الحرص للعاقل	٧٣	ذكر استعمال لزوم المداراة وترك المداهنة مع الناس

- ١٣٩ ذكر الزجر عن التحاسد
والبغضاء
- ١٤٥ ذكر الحث على مجانبة الغضب
وكرهية المجلة
- ١٤٨ ذكر الزجر عن الطمع إلى الناس
- ١٥٢ » الحث على مجانبة المسألة
وكرهيتها
- ١٥٦ ذكر الحث على لزوم القناعة
- ١٦١ الحث على لزوم التوكل على
من ضمن الأرزاق
- ١٦٥ ذكر الحث على لزوم الرضا
بانشدائد والصبر عليها
- ١٧٤ ذكر الحث على الصوعن الجاني
- ١٨٠ » صفة الكريم والثلثم
- ١٨٥ » الزجر عن قبول قول الوشاة
- ١٩١ » استحباب قبول الاعتذار
من المعتذر
- ١٩٦ ذكر الحث على لزوم كتمان السر
- ٢٠٣ » الحث على لزوم النصيحة
للمسلمين كافة
- ٢٠٧ مطلب وصية الخطاب بن العلى
الخزرى ابنه
- ٢١٣ ذكر الزجر عن تهاجر المسلمين كافة
- ٢١٨ » الحث على لزوم الحلم عند
الأذى
- ٢٢٥ ذكر الحث على لزوم الرفق في
أمور وكرهية المجلة فيها
- ٢٢٨ ذكر الحث على تعلم الأدب
ولزوم الصراحة
- ٢٣٤ ذكر إباحة جمع المال للقائم بحقوقه
- ٢٤٠ » الحث على إقامة الروايات
- ٢٤٦ باب الحث على لزوم للسقاء
ومجانبة البخل
- ١٥٤ ذكر الزجر عن ترك قبول
الهدايا من الإخوان
- ٢٥٨ ذكر استحباب التفريج عن
الناس بقضاء الخواصج
- ٢٦٥ ذكر الحث على إعطاء السؤال
وطلب المعالي
- ٢٧١ ذكر الحث على الضيافة
وإطعام الطعام
- ٢٧٦ ذكر الحث على المجازاة على
الصنائع
- ٢٨١ ذكر الحث على سياسة الرياسة
ورعاية الرعية
- ٢٩١ ذكر الدنيا وتقلبها بأهلها
- ٢٩٣ » الحث على لزوم ذكر
الموت وتقديم الطاعات
(تم الفهرست)